فَتْحُ الغَفُورِ

بِأَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة: ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١ م

رقم الإيداع: ٢١٨٢٨ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي: ٣ـ ١٠٣ ـ ٣٩٠ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 -0502357979

فَتْحُ الغَفُورِ

بِأَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ



تَألِيفُ

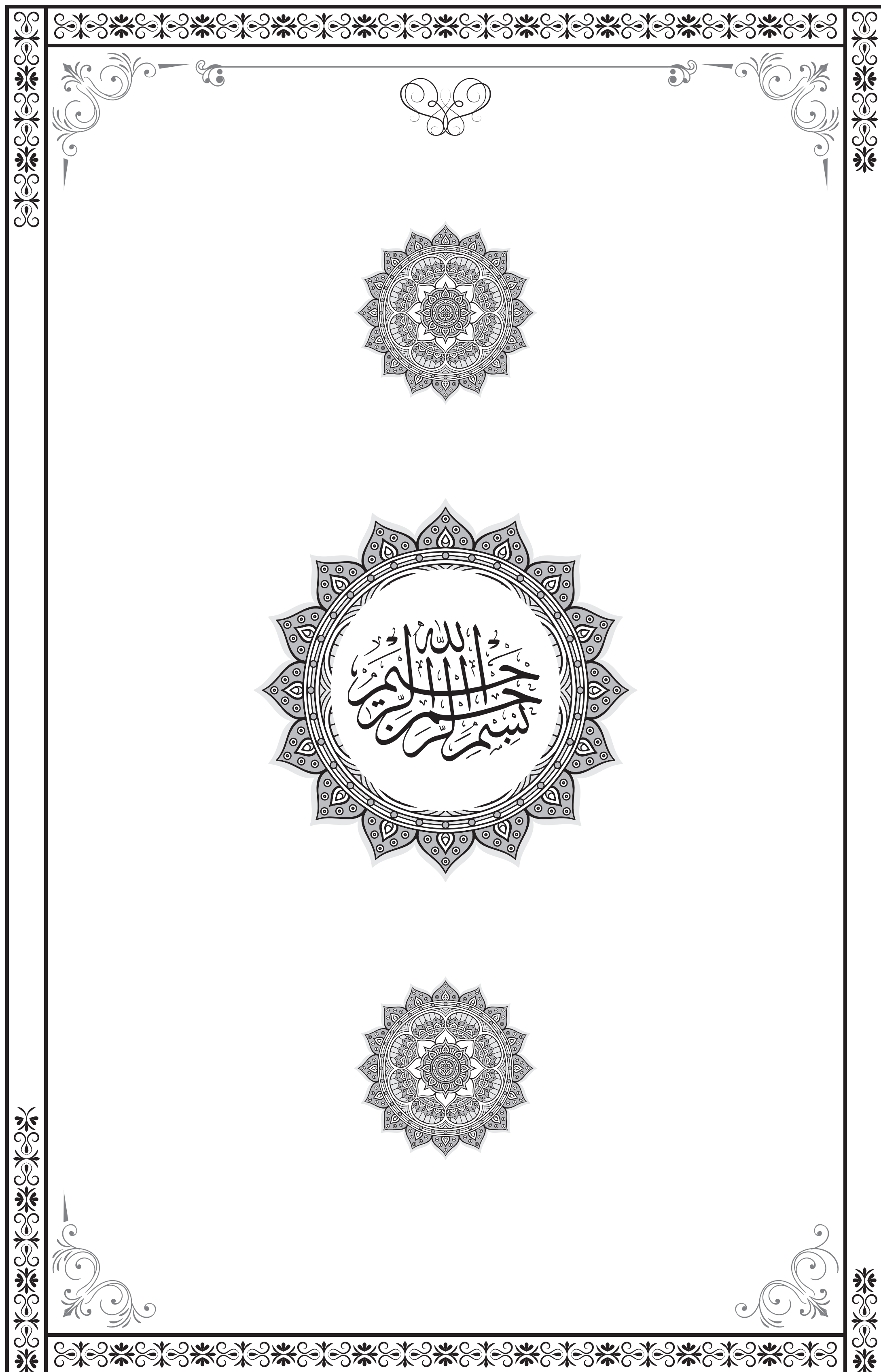
أَبِي حَفْصٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْأَثَرِيِّ

عفا الله عنه

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

الْإِهْدَاءُ

إِلَى شَيْخِنَا وَأُسْتَاذِنَا الْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُور:

أَبِي مُحَمَّدٍ رِفْعَتْ فَوْزِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُسْتَاذِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَعُلُومِهِ بِجَامِعَتَيْ أُمِّ الْقُرَى وَالْقَاهِرَةِ، وَرَئِيسِ قِسْمِ الشَّرِيعَةِ بِكُلِّيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ الْغَرَّاءِ سَابِقًا.

أُهْدِي هَذَا الْكِتَابَ حُبًّا وَوَفَاءً وَعِرْفَانًا وَتَقْدِيرًا.

وَأَسُوقُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا قَالَهُ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ: قَالَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاظَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ!!

وَكَتَبَ

تِلْمِيذُكُمْ/ أَبُو حَفْصِ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْأَثَرِيّ

«وَاسْتِعْبادُ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنَ اسْتِعْبادِ الْبَدَنِ، فإِنَّ مَنِ اسْتُعْبِدَ بَدَنُهُ وَاسْتُرِقَّ؛ لَا يُبَالِي إِذَا كانَ قَلْبُهُ مُسْتَرِيحًا مِنْ ذلكَ مُطْمَئِنًا، بَلْ يُمْكِنُهُ الِاحْتِيال فِي الخَلاصِ. وَأَمَّا إذا كانَ الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ الْمَلِكُ رِقِيقًا مُسْتَعْبَدًا مُتَيَّمًا لِغَيْرِ اللهِ فَهَذَا هُوَ الذُّلُّ وَالْأَسْرُ الْمَحْضُ، وَالْعُبُودِيَّةُ لِمَا اسْتَعْبَدَ الْقَلْبَ.

وَعُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَأَسْرُهُ هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الثَّوابُ وَالْعِقَابُ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ أَسَرَهُ كافِرٌ، أَوِ اسْتَرَقَّهُ فَاجِرٌ بِغَيْرِ حَقٍّ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلكَ، إِذَا كانَ قَائِمًا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَمَنِ اسْتُعْبِدَ بِحَقٍّ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ لَهُ أَجْرَانِ، وَلَوْ أُكْرِهَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكُفْرِ فَتَكَلَّمَ بِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلكَ، وَأَمَّا مَنِ اسْتُعْبِدَ قَلْبُهُ فَصَارَ عَبْدًا لِغَيْرِ اللهِ، فَهَذَا يَضُرُّهُ ذَلكَ، وَلَوْ كانَ فِي الظَّاهِرِ مَلِكَ النَّاسِ.

فَالْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ الْقَلْبِ، وَالْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ». **[شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ** رَحِمَهُ اللهُ **مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٠/١٨٦)]**

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّها الطَّلَلُ الْبَالِي وهل يَعِمْنَ مَنْ كَانَ فِي العُصرِ الْخَالِي
وَهَلْ يَعِمْنَ إِلّا سَعِيدٌ مُنَعّمٌ قَلِيلُ الهُمُومِ لَا يَبِيتُ بأَوْجَالِ

[امْرُؤ القَيْسِ]

وَكِلْمَةُ حَاسِدٍ مِنْ غَيْر جُرْمٍ سَمِعْتُ فَقُلتُ مُرِّي فَانْفذِينِي
وَعَابُوهَا عليَّ وَلَمْ تَعِبْنِي وَلَمْ يَنْدَ لَهَا أبدًا جَبِينِي

[حَاتِمٌ الطَّائِيُّ]

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ، وَعِزِّ جَلالِهِ، مِلْءَ سَمَائِهِ وَمِلْءَ أَرْضِهِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شَاءِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ، وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَفْنَى، عَدَدَ مَا حَمِدَهُ الحَامِدُونَ، وَعَدَدَ مَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَخِيرَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَسَفِيرِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَاتِحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمُخْرِجِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، الَّذِي بَعَثَهُ لِلْإِيمَانِ مُنَادِيًا، وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هَادِيًا، وَإِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَاعِيًا، وَبِكُلِّ مَعْرُوفٍ آمِرًا، وَعَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ نَاهِيًا، فَأَحْيَا بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَأَنَارَهَا بِهِ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وَأَلَّفَ بَيْنَهَا بَعْدَ شَتَاتِهَا، فَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ تَعَالَى حَقَّ جِهَادِهِ، حَتَّى عُبِدُ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ، وَبَلَغَ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»(١).

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ هِيَ الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ كِتَابِنَا الْمُبَارَكِ «**فَتْح الْغَفُورِ بِأَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ**»، نُقَدِّمُهَا لِإِخْوَانِنَا وَابْنَائِنَا مِمَّنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصِلَهُمْ هَذَا الْكِتَابُ.

---

(١) خاتمة كتاب «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» ط. المجمع).

وَقَدْ قُمْتُ بِضَبْطِ الْكِتَابِ كَامِلًا بِالشَّكْلِ، وَزِدْتُ فِيهِ فَصْلًا فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، مَعَ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْعَزْوِ وَالتَّحْقِيقِ، والْفَوَائِدِ وَالْأَمْثِلَةِ، مِمَّا زَادَ الْكِتَابَ نُورًا عَلَى نُورِهِ، وَجَمَالًا عَلَى جَمَالِهِ، وَبَهَاءً عَلَى بَهَائِهِ، «رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمُ التَّمَسُّكَ بِطَاعَتِهِ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ صِحَابَتُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ. وَجَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَحْيَا بِهِمُ السُّنَنُ، وَتَمُوتُ بِهِمُ الْبِدَعُ، وَتَقْوَى بِهِمْ قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَنْقَمِعُ بِهِمْ نُفُوسُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ»(١).

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَذِهِ الطَّبْعَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا أَكْثَرَ مِمَّا نَفَعَ بِسَابِقَتِهَا. وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَزَادًا لِيُمْنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. وَهُوَ خَيْرُ مَسْؤولٍ، وأَكْرَمُ مَأمُولٍ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وكتبه

أبو حفص بن العربي الأثري

عفا الله عَنْه

مصر ـ الْمَنْصُورة ـ السِّنْبِلَّاوِين

الجمعة/ السادس من شوَّال سنة ١٤٤١

المُوافق ٢٩ من مايو سنة ٢٠٢٠م

---

(١) مقتبس من مقدمة كتاب «الشريعة» للإمام الآجُرِّي رَحِمَهُ اللهُ.

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ؛ الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّلِ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنًى إِلَّا فِي الِافْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدًى إِلَّا فِي الِاسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَرَ، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَغَفَرَ، وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَإِذَا عُومِلَ أَثَابَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَأَمْلَاكُهَا، وَالنُّجُومُ وَأَفْلَاكُهَا، وَالْأَرْضُ وَسُكَّانُهَا، وَالْبِحَارُ وَحِيتَانُهَا، وَالنُّجُومُ، وَالْجِبَالُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ، وَالْآكَامُ وَالرِّمَالُ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَكُلُّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ

الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

عَلَّقَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ بِمُتَابَعَتِهِ، وَجَعَلَ شَقَاوَةَ الدَّارَيْنِ فِي مُخَالَفَتِهِ، فَلِأَتْبَاعِهِ الْهُدَى وَالْأَمْنُ وَالْفَلَاحُ وَالْعِزَّةُ وَالْكِفَايَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْوِلَايَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَطِيبُ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِمُخَالِفِيهِ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ وَالْخَوْفُ وَالضَّلَالُ وَالْخِذْلَانُ وَالشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١).

أَمَّا بَعْدُ

---

(١) مقتبس من مقدمة كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

فَهذِهِ هِي الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ لِكِتابِنَا الْمُبارَكِ «**فَتْح الْغَفُورِ بِأَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ**» نُقَدِّمُها لِأَهْلِ الْإِسْلامِ؛ بَلْ وَلِغَيْرِهم، في وَقتٍ ضَاقتْ فِيهِ صُدُورُ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ لِكَثْرَةِ الفِتَنِ، وَتَشَعُّبِ الْمُنغِّصَاتِ في عَصْرِنا !!!!

وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ مَا مُدِحَ بِهِ هَذَا الْكِتابُ الْمُبارَكُ، وَمَا نَالَهُ مِنْ ثَناءٍ، فَكَمْ مِنْ صَاحبِ – أَوْ صاحِبةِ – هَمٍّ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ ضِيقٍ، أَوْ كَرْبٍ، أَوْ بَلاءٍ، أَوْ مِحَنٍ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ، أَوْ دَرَسَهُ؛ فَأَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وضيقَهُ وكَرْبَه، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بِأَسْمائِهِ الْحُسْنَى وَصِفاتِهِ العُلَى أَنْ يُذْهِبَ أَحْزانَنَا، وَهُمُومَنَا، وَضِيقَنَا، وَكَرْبَنَا، وأَنْ يُبْدِلَهَا فَرَجًا، وَسِعَةً، وَرَحْمَةً، وَخَيْرًا، وَبَرَكَةً، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَقَدْ زِدتُّ فِيهِ زِيَادَاتٍ فِي الْعَزْوِ وَالتَّحْقِيقِ، وَفَصْلًا فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ، مَعَ تَصْحِيحِ أَخْطاءِ الطَّبْعَةِ الْأُولَى، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ !!

« فَيَا أَيُّهَا النَّاظِرُ اعْمَلْ فِيهِ بِشَرْطِ الْوَاقِفِ مِنَ اسْتِيفَاءِ النَّظَرِ بِعَيْنِ الْعِنَايةِ، وَكَمَالِ الدِّرَايَةِ، لَا يَحْمِلُكَ احْتِقَارُ مُؤَلِّفِهِ عَلَى التَّعَسُّفِ، وَلَا الْحَظُّ النَّفْسَانِيُّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَكَ عَنْ الْحَقِّ تَخَلُّف، فَإِنْ عَثرْتَ مِنْهُ عَلَى هَفْوَةٍ أَوْ هَفَواتٍ، أَوْ صَدَرْتَ فِيهِ عَنْ كَبْوَةٍ أَوْ كَبواتٍ، فَمَا أَنَا بِالْمُتَحاشِي عَنْ الْخَلَلِ، وَلَا بِالْمَعْصُومِ عَنْ الزَّلَلِ، وَلَا هُوَ بِأَوَّلِ قَارُورَةٍ كُسِرَتْ، وَلَا شُبْهَةٍ مَدْفُوعَةٌ زُبِرَتْ، وَمَنْ تَفَرَّدَ فِي سُلوكِ السَّبيلِ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَنالَهُ أَمْرٌ وَبِيلٌ، ومَنْ تَوَحَّدَ بِالذّهابِ فِي الشِّعَابِ وَالْقِفَارِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَلْقَاهُ الْأَهْوالُ وَالْأَخْطارُ. وَكُلُّ أَحَدٍ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْروكٌ، وَمَدْفُوعٌ إِلى مَنْهَجٍ مَعَ خَطَرِ الْخَطَأ مَسْلُوك. وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْخَطَأ إِلَّا مَنْ جعلَ التَّوفِيق دَلِيلَهُ فِي مُفْتَرَقاتِ السُّبُلِ، وَهُمُ الْأَنْبِياءُ وَالرُّسُلُ. فَرَحِمَ اللهُ امْرَءًا قَهَرَ هَواهُ، وَأَطَاعَ

الْإِنْصَافَ وَقَوَّاهُ، وَلَمْ يَعْتَمِدِ الْعَنْتَ، ولَا قَصَدَ قَصْدَ مَنْ إِذَا رَأَى حَسَنًا سَتَرَهُ، وَعَيْبًا أَظْهَرَهُ وَنَشَرَهُ.

وَلْيَتَأَمَّلهُ بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ، لَا بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَالِانْحِرافِ. فَمَنْ طَلَبَ عَيْبًا وجَّدَ وجَدَ، ومَنِ افْتَقَدَ زَلَلَ أَخِيهِ بِعَيْنِ الرِّضَا والْإِنْصَافِ فَقَدْ فَقَدَ، وَالْكَمَالُ مُحَالٌ لِغَيْرِ ذي الْجَلالِ»(١).

«وَاللهَ أَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِمَا أَوْصَانَا، وَالْعَوْنَ عَلَى مَا لَهُ قَصَدْنَا، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَبْنِيَ دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَمُنْتَهى الْغَايَةِ مِنْ كَرامَتِهِ، فِي أَعْلَى دَرَجَةِ الْأَبْرَارِ الْمُنْتَخَبِينَ الْأَخْيارِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَؤُفٌ رَحِيمٌ»(٢).

وَالْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِين.

وكتبه

أبو حفص بن العربي الأثري

عفا الله عَنْه

مصر ـ الْمَنْصُورة ـ السِّنْبِلَّاوِين

الأحد غُرَّة الْمُحرم سنة ١٤٣٨.

المُوافق ٢ من أكتوبر سنة ٢٠١٦م

---

(١) مقتبس من مقدمة كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للعلامة المناوي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) مقتبس من مقدمة كتاب «الثقات» للإمام أبي حاتم ابن حبان البستي رَحِمَهُ اللهُ.

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الْأُولَى

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْقَائِلِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]

وَالْقَائِلِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١ - ٤].

وَالصَّلاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ الْقَائِلِ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٤)، وأصله في البخاري (٥٢٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟!، قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»(٢).

وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: ﴿... رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [سورة طه: ٢٥- ٢٦].

فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَعِيشَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، مُرْتاحَ الْبَالِ،

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وابن حبان (٩٧٢)، والحاكم (١٩٠١ ط. دار التأصيل)، وغيرهم.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠، ١٥١١)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠) وغيرهم.

اغسل حَوْبَتي: أي: إثمي، واسلل سخيمة قلبي: أي تنقية القلب من الغل والحقد والحسد ونحوها، مما ينشأ من الصدر، ويسكن القلب من مساوئ الأخلاق.

مُطْمَئِنَّ الضَّمِيرِ، سَعِيدَ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ، وَلَكِنِ اخْتَلَفَتْ طَرَائِقُ الْبَشَرِ فِي الْبَحْثِ عَنْ السَّعَادَةِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ بَحَثَ عَنْهَا فِي الْمُلْكِ وَالرِّئَاسَةِ؛ فَانْحَرَفَ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ قَائِدُهُمْ إِلَى النَّارِ فِرْعَوْنُ الَّذِي قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة النازعات: ٢٤]. وَقَالَ ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [سورة القصص: ٣٨].

وَبَعْضُهُمْ بَحَثَ عَنْهَا فِي الْمَالِ وَالدُّنْيَا؛ فَانْحَرَفَ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ قَائِدُهُمْ إِلَى النَّارِ قَارُونُ الَّذِي قَالَ: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [سورة القصص: ٧٨].

فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة القصص: ٨١].

وَبَعْضُهُمْ بَحَثَ عَنْهَا فِي الْوِزَارَةِ وَالْمَنْصِبِ؛ فَانْحَرَفَ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ قَائِدُهُمْ إِلَى النَّارِ هَامَانُ، الَّذِي شَارَكَ فِرْعَوْنَ فِي عُتُوِّهِ وَإِجْرَامِهِ وَصَدِّهِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة القصص: ٣٨ – ٣٩].

فَكَانَتِ النِّهَايَةُ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة القصص: ٤٠– ٤٢].

وَبَعْضُهُمْ بَحَثَ عَنْهَا فِي الشُّهْرَةِ، وَمُخَالَفَةِ مَنْهَجِ اللهِ، وَالِاسْتِكْبَارِ عَلَى أوَامِرِهِ، وَاحْتِقَارِ عِبَادِهِ الْمُؤمِنِين، فَانْحَرَفَ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم.

وَهَؤُلَاءِ قَائِدُهُمْ إِلَى النَّارِ إِبْلِيسُ الَّذِي قَالَ عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [سورة الأعراف:١٢، وسورة ص: ٧٦].

وَبَعْضُهُمْ بَحَثَ عَنْهَا فِي الْجَاهِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ؛ فَانْحَرَفَ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ قَائِدُهُمْ إِلَى النَّارِ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ وَمَنْ كانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمِ مِنْ صَنَادِيدِ الْكُفْرِ.

وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ بَحْثَ عَنْ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَأَسْبابِ السَّعَادَةِ بَعِيدًا عَنْ مَنْهَجِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ يُصَابُ بِضِيقِ الصَّدْرِ، وَالْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مَعْلُومٌ. وَاللهُ الْمُسْتَعَان.

وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَالسَّعَادَةُ التَّامَّةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِين بِاللهِ إِيمَانًا يَقِينِيًّا، وَالْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى مَنْهَجِ رسُولِهِ ﷺ كُلٌّ بِحسبِ صِدْقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ وَإِخْلَاصِهِ، أَمَّا غَيْرُهُمْ فإِنْ حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ أَمْرٌ عَارِضٌ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَزُولَ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الزمر:٢٢].

مِنْ أَجْلِ هَذَا وَغَيْرِهِ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ الْمُبَارَكُ

« فَتْحُ الْغَفُورِ بِأَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ ».

سَائلًا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِها، وَأَنْ يَشْرَحَ بِهِ صُدُورَ الْخَلْقِ لِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَزَوْجي وَأَوْلَادِي ذُخْرًا يَوْمَ لِقَاه، وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

«اللهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمَنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللهُمَّ مَتِّعَنْا بِأَسْمَاعَنْا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْثَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

وكتبه

أبو حفص بن العربي الأثري

عفا الله عَنْه

مصر ـ الْمَنصورة ـ السِّنْبِلَّاوِين

فَصْلٌ

فِي أنْواعِ السَّعَادَاتِ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(١)-:

أنْوَاعُ السَّعَادَاتِ الَّتِي تُؤْثِرُهَا النُّفُوسُ ثَلَاثَةٌ:

١ـ سَعَادَةٌ خَارِجِيَّةٌ عَنْ ذَاتِ الْإِنِسَانِ، بَلْ هِيَ مُسْتَعَارَةٌ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، تَزُولُ بِاسْتِرْدَادِ الْعَارِيَةِ، وَهِيَ سَعَادَةُ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَتَوابِعِهِمَا، فَبَيْنَ الْمَرْءُ بِهَا سَعِيدًا مَلْحُوظًا بِالْعَنْايَةِ، مَرْمُوقًا بِالْأَبْصَارِ، إِذْ أَصْبَحَ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَذَلَّ مِنْ وَتَدٍ بِقَاعٍ يُشَجُّ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَالسَّعَادَةُ وَالْفَرَحُ بِهَذِهِ كَفَرَحِ الَاقْرَعِ بِجُمّةِ(٢) ابْنِ عَمِّهِ!!. وَالْجَمَالُ بِهَا كَجَمَالِ الْمَرْءِ بِثِيَابِهِ وَبِزِينَتِهِ، فَإِذَا جَاوَزَ بَصَرُكَ كِسْوَتَهُ فَلَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَان قَرْيَةٌ(٣) [أيْ: لَا يُوجَدُ شَيْءٌ].

السَّعَادَةُ الثَّانِيَةُ: السَّعَادَةُ فِي جِسْمِهِ وَبَدَنِهِ، كَصِحَّتِهِ، وَاعْتِدَالِ مِزَاجِهِ،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦٠-٣٦٤ ط. دار ابن عفان) باختصار وتصرف يسير.

(٢) الجُمَّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

[النهاية في غريب الحديث والأثر: مادة: جمم].

(٣) عبادان: جزيرة تحت البصرة قرب البحر الملح، وهي مثلثة الشكل، وإنما قالوا: ليس وراء عبادان قرية لأن وراءها بحرا. ومن عجائبها أن لا زرع بها ولا ضرع، وأهلها متوكلون على الله يأتيهم الرزق من أطراف الأرض. [آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١٩] لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢) دار صادر – بيروت.

وَتَنَاسُبِ أَعْضِائِهِ، وحُسْنْ تَرْكِيبِهِ، وَصَفَاءِ لَوْنِهِ، وَقُوَّةِ أَعْضَائِهِ، فَهَذِهِ أَلْصَقُ بِهِ مِنَ الْأُولَى، وَلَكِنْ هِي فِي الْحَقِيقَةِ خَارِجَةٌ عَنْ ذَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِنْسَانٌ بِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ، لَا بِجِسْمِهِ وَبَدَنِهِ، كَمَا قِيلَ:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ   فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

فَنِسْبَةُ هَذِهِ إِلِى رُوحِهِ وَقَلْبِهِ كِنِسْبَةِ ثِيَابِهِ وَلِبَاسِهِ إِلَى بَدَنِهِ، فَإِنَّ الْبَدَنَ ـ أَيْضًا- عَارِيَةٌ لِلرُّوحِ، وَآلَةٌ لَهُ، وَمَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِها، فَسَعَادَتُها بِصِحَّتِهِ، وَجَمَالِهِ وَحُسْنِهِ سَعَادَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ ذَاتِها وَحَقِيقَتِها.

السَّعَادَةُ الثَّالِثَةُ: هِيَ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ وَهِيَ سَعَادَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ وهي سَعَادَةُ الْعِلْمِ النَّافِعِ ثَمَرَتُهُ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْبَاقِيَةُ عَلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ، وَالْمُصَاحِبَةُ لِلْعَبْدِ فِي جَمِيعِ أَسْفَارِهِ، وَفِي دُورِهِ الثَّلَاثَةِ – أَعَنْي: دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبَرْزَخِ وَدَارَ الْقَرَارِ- وَبِهَا يَتَرَقَّى فِي مَعَارِجِ الْفَضْلِ، وَدَرَجَاتِ الْكَمَالِ.

أَمَّا الْأُولَى: فَإِنَّهَا تَصْحَبُهُ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مَالُهُ وَجَاهُهُ.

وَالثَّانِيَةُ: فَعُرْضَةٌ لِلزَّوَالِ وَالتَّبَدُّلِ بِنَكْسِ الْخَلْقِ وَالرَّدِّ إِلَى الضَّعْفِ.

فَلَا سَعَادَةَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّالِثَةِ، الَّتِي كُلَّمَا طَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ ازْدَادَتْ قُوَّةً وَعُلُوًّا - وَإِذَا عُدِمَ الْمَالُ وَالْجَاهُ ـ فَهِيَ مَالُ الْعَبْدِ وَجَاهُهُ، وَتَظْهَرُ قُوَّتُهَا وَأَثَرُهَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ الْبَدَنَ إِذَا انْقَطَعَتِ السَّعَادَتَانِ الْأَوَّلَتَانِ.

وَهَذِهِ السَّعَادَةُ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا، وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِهَا إِلَّا الْعِلْمُ بِها، فَعَادَتِ السَّعَادَةُ كلُّهَا إِلِى الْعِلْمِ وَمَا يَقْتَضِيهِ، وَاللهُ يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ، لَا مَانِعَ لِمَا

أعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ.

وَإِنَّمَا رَغِبَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ عَنْ اكْتِسَابِ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَتَحْصِيلِهَا لِوَعَرَةِ طَرِيقِهَا، وَمَرَارَةِ مَبَادِيها، وَتَعَبِ تَحْصِيلِها، وَأَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ؛ فَإِنَّها لَا تُحَصَّلُ إِلَّا بِالْجِدِّ الْمَحْضِ، بِخِلَافِ الأَوَّلَتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا حَظٌّ قَدْ يَحُوزُهُ غَيْرُ جَالِبِهِ، مِنْ مِيرَاثٍ، أَوْ هِبَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وأَمَّا سَعَادَةُ الْعِلْمِ فَلَا يُورِثُكَ إِيَّاهَا إِلَّا بَذْلُ الْوُسْعِ، وَصِدْقُ الطَّلَبِ، وَصِحَّةُ النِّيَّةِ.

وَمَنْ طَمَحَتْ هِمَّتُهُ إِلَى الْأُمُورِ الْعَالِيَةِ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسُدَّ عَلَى مَحَبَّتِهِ الطُّرُقَ الدَّنِيَّةَ.

وَهِيَ السَّعَادَةُ؛ وَإِنْ كَانَتْ فِي ابْتِدَائِها لَا تَنْفَكُّ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْكُرْهِ وَالتَّأَذِي، فَإِنَّها مَتَى أُكْرِهَتِ النَّفْسُ عَلَيْها، وَسِيقَتْ طَائِعَةً وَكارِهَةً إِلَيْهَا، وَصَبَرَتْ عَلَى لَأْوَائِهَا(١) وَشِدَّتِهَا، أَفْضَتْ مِنْهَا إِلَى رِيَاضٍ مُؤَنَّقَةٍ، وَمَقاعِدَ صِدْقٍ، وَمَقامٍ كَرِيمٍ يَجِدُ كُلَّ لَذَّةٍ دُونَها كَلَذَّةِ لَعِبِ الصَّبِيِّ بِالْعُصْفُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى لَذَّةِ الْمُلُوكِ، فَحِينَئِذٍ حَالُ صَاحِبِها كَمَا قِيلَ:

وَكُنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بِيَ الْهَوَى ... إِلَى غَايَةٍ مَا بَعْدَهَا لِي مَذْهَبُ

فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَعَايَنْتُ حُسْنَها ... تَيَقَّنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ

فَالْمَكَارِمُ مَنُوطَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَالسَّعَادَةُ لَا يُعْبَرُ إِلَيْهَا إِلَّا عَلَى جِسْرِ الْمَشَقَّةِ، وَلَا تُقْطَعُ مَسَافَتُهَا إِلَّا فِي سَفِينَةِ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ.

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. [النهاية في غريب الحديث والأثر: مادة: لأي].

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» رقم (٦١٢ / ١٧٥): عَنْ التَّابِعِيِّ يَحْيَى بْنْ أَبِي كَثِيرٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ] قَالَ: لَا يُنَالُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ[١].

وقدْ قِيل: مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ تَرَكَ الرَّاحَةَ.

فَيَا وَصْلَ الْحَبِيبِ أَمَا إِلَيْهِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ أَبَدًا طَرِيقُ

وَلَوْلَا جَهْلُ الْأَكْثَرِينَ بِحَلَاوَةِ هَذِهِ اللَّذَّةِ، وَعِظَمِ قَدْرِهَا؛ لَتَجَالَدُوا عَلَيْهَا بِالسُّيوفِ، وَلَكِنْ حُفَّتْ بِحِجَابٍ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَحُجِبُوا عَنْهَا بِحِجَابٍ مِنَ الْجَهْلِ، لِيَخْتَصَّ اللهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم.

---

(١) انظر شرح النووي: (٥/ ١١٣) تجد فائدة لطيفة حول سبب إيراد الإمام مسلم له في هذا الموضع.

فَصْلٌ

فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى طَلَبِ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَار

مِمَّا يَنْبَغِي الاِعْتِنَاءُ بِهِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَقَصْدًا وَإِرَادَةً: الْعِلْمُ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، بَلْ كُلَّ حَيَوَانٍ إِنَّمَا يَسْعَى فِيمَا يُحَصِّلُ لَهُ اللَّذَّةَ وَالنَّعِيمَ، وَطِيبَ الْعَيْشِ، وَيَنْدَفِعُ بِهِ عَنْهُ أَضْدَادُ ذَلِكَ.

وَهَذَا مَطْلُوبٌ صَحِيحٌ يَتَضَمَّنُ سِتَةَ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ النَّافِعِ لِلْعَبْدِ، الْمُلَائِمِ لَهُ، الَّذِي تَحْصُلُ لَهُ لَذَّاتُهُ وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ وَطِيبُ عَيْشِهِ.

الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: سُلُوكُ تِلْكَ الطَّرِيقِ.

الرَّابِعُ: مَعْرِفَةُ الضَّارِّ الْمُؤْذِي الْمُنَافِرِ الَّذِي يُنَكِّدُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ.

الْخَامِسُ: مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الَّتِي إِذَا سَلَكَهَا أَفْضَتْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ.

السَّادِسُ: تَجَنُّبُ ذَلِكَ.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ لَا تَتِمُّ لَذَّةُ الْعَبْدِ، وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ، وَصَلَاحُ حَالِهِ إِلَّا بِاسْتِكْمَالِهَا، وَمَا نَقَصَ مِنْهَا عَادَ عَلَيْهِ بِسُوءِ حَالِهِ، وَتَنْكِيدِ عَيْشِهِ(١).

---

(١) الطريق إلى الهداية للإمام ابن القيم ص (٤٢).

أَسْبَابُ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ

١- **أَعْظَمُهَا، وَأَصْلُهَا، وَأَسَاسُهَا تَوْحِيدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**، وَعَلَى حَسَبِ كَمَالِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَزِيَادَتِهِ، يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، فَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَى التَّوْحِيدِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضَرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ إِذْ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، وَلَا رَاحَةَ إِلَّا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَلَا حَيَاةَ وَلَا رَاحَةَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُلْحِدٍ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[سورة طه: ١٢٤].

وَلِذَلِكَ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ - أَعْظَمَ النَّاسِ انْشِرَاحًا فِي الصُّدُورِ، وَطُمَأْنِينَةً فِي الْقَلْبِ، وَرَاحَةً فِي الْبَالِ، مَعَ مَا كَانَ يُصِيبُهُمْ مِنْ أذى وَابْتِلَاءٍ وَمِحَنٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ لِعَظِيمِ تَوْحِيدِهِمْ، وَلِعَظِيمِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانُوا أَعْظَمَ النَّاسِ انْشِرَاحًا فِي الصُّدُورِ.

وَقَدْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ جَمِيعًا لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ** ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

«فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّذِي يَتَنَزَّهُ عَنْ تَقْدِيرِ خِلَافِهِ، وَمِنْهُ أَنَّهُ يَرْضَى وَيَغْضَبُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَنْتَقِمُ وَيَعْفُو، بَلْ هَذَا مُوجِبُ مُلْكِهِ الْحَقِّ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُلْكِ الْمَقْرُونِ بِالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَمْدِ، فَإِذَا زَالَ غَضَبُهُ سُبْحَانَهُ، وَتَبَدَّلَ بِرِضَاهُ؛

زَالَتْ عُقُوبَتُهُ، وَتَبَدَّلَتْ بِرَحْمَتِهِ، وَانْقَلَبَتِ الْعُقُوبَةُ رَحْمَةً، بَلْ لَمْ تَزَلْ رَحْمَةً، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ صِفَتُهَا وَصُورَتُهَا، كَمَا كَانَ عُقُوبَةُ الْعُصَاةِ رَحْمَةً، وَإِخْرَاجُهُمْ مِنَ النَّارِ رَحْمَةً، فَتَقَلَّبُوا فِي رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَقَلَّبُوا فِيهَا فِي الْآخِرَةِ، لَكِنْ تِلْكَ الرَّحْمَةُ يُحِبُّونَهَا وَتُوَافِقُ طَبَائِعَهُمْ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ يَكْرَهُونَهَا وَتَشُقُّ عَلَيْهِمْ، كَرَحْمَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي يَبْضَعُ لَحْمَ الْمَرِيضِ، وَيُلْقِي عَلَيْهِ الْمَكَاوِي لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْمَوَادَّ الرَّدِيئَةَ الْفَاسِدَةَ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا اعْتِبَارٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَإِنَّ الطَّبِيبَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْعَلِيلِ، وَهُوَ يُحِبُّهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ، وَلَمْ يَنْشَأْ فِعْلُهُ بِهِ عَنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا لَا يُسَمَّى عُقُوبَةً، وَأَمَّا عَذَابُ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا حَصَلَ بِغَضَبِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عُقُوبَةٌ مَحْضَةٌ.

قِيلَ: هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ لَا يُنَافِي كَوْنَهُ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِنْ كَانَ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَهَذَا كَإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فإِنَّهُ عُقُوبَةٌ وَرَحْمَةٌ وَتَخْفِيفٌ وَطُهْرَةٌ، فَالْحُدُودُ طُهْرَةٌ لِأَهْلِهَا وَعُقُوبَةٌ، وَهُمْ لَمَّا أَغْضَبُوا الرَّبَّ تَعَالَى وَقَابَلُوهُ بِمَا لَا يَلِيقُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ، وَعَامَلُوهُ أَقْبَحَ مُعَامَلَةٍ، وَكَذَّبُوهُ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَجَعَلُوا أَقَلَّ خَلْقِهِ وَأَخْبَثَهُمْ وَأَمْقَتَهُمْ لَهُ نِدًّا لَهُ، وَآلِهَةً مَعَهُ، آثَرُوا رِضَاهُمْ عَلَى رِضَاهُ، وَطَاعَتَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَهُوَ وَلِيُّ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَمَوْلَاهُمُ الْحَقُّ اشْتَدَّ مَقْتُهُ لَهُمْ، وَغَضَبُهُ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ يُوجِبُ كَمَالَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَقْدِيرُ خِلَافِهَا، وَيَسْتَحِيلُ تَخَلُّفُ آثَارِهَا وَمُقْتَضَاهَا عَنْهَا، بَلْ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ لِأَحْكَامِهَا، كَمَا أَنَّ نَفْيَهَا عَنْهُ تَعْطِيلٌ لِحَقَائِقِهَا، وَكِلَا التَّعْطِيلَيْنِ مُحَالٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

فَالْمُعَطِّلُونَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: عَطَّلَ صِفَاتِهِ.

وَالثَّانِي: عَطَّلَ أَحْكَامَهَا وَمُوجِبَاتِهَا.

وَكَانَ هَذَا الْعَذَابُ عُقُوبَةً لَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَدَوَاءً لَهُمْ مِنْ جِهَةِ الرَّحْمَةِ السَّابِقَةِ لِلْغَضَبِ، فَاجْتَمَعَ فِيهِ الْأَمْرَانِ، فَإِذَا زَالَ الْغَضَبُ بِزَوَالِ سَبَبِهِ، وَزَالَتِ الْمَادَّةُ الْفَاسِدَةُ بِتَغَيُّرِ الطَّبِيعَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهَا فِي الْجَحِيمِ بِمُرُورِ الْأَحْقَابِ عَلَيْهَا، وَحَصَلَتِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أَوْجَبَتِ الْعُقُوبَةَ عَمِلَتِ الرَّحْمَةُ عَمَلَهَا، وَطَلَبَتْ أَثَرَهَا مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ»(١).

«وَمِلَاكُ النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ كُتُبِ اللهِ تَعَالَى، وَبِتَحْقِيقِهِمَا بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِلَيْهِمَا رَغَّبَ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، كُلُّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ.

أَحَدُهُمَا: التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ الِاعْتِقَادِيُّ الْمُتَضَمِّنُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَنْزِيهَهُ فِيهَا عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَتَنْزِيهَهُ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ.

وَالتَّوْحِيدُ الثَّانِي: عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَجْرِيدُ مَحَبَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، وَخَوْفُهُ، وَرَجَاؤُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرِّضَى بِهِ رَبًّا وَإِلَهًا وَوَلِيًّا، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُ عَدْلًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ»(٢).

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢/ ٧٦٣ – ٧٦٤ ط. المجمع).

(٢) اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى حَرْبِ الْمُعَطِّلَةِ ص (٨٤ ط. المجمع).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيْطَانِ»** (١/ ٣٩-٦٩ ط. المَجمع. بتصرف واختصار):

الْبَابُ السَّادِسُ: فِي أَنَّهُ لَا سَعَادَةَ لِلْقَلْبِ، وَلَا لِذَّةَ، وَلَا نَعِيمَ، وَلَا صَلَاحَ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللهُ هُوَ إِلَهَهُ وَفَاطِرَهُ وَحْدَهُ، وَهُوَ مَعْبُودُهُ وَغَايَةُ مَطْلُوبِهِ، وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

مَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ: مِنْ مَلَكٍ أَوْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ حَيَوَانٍ، فَهُوَ فَقِيرٌ إِلَى جَلْبِ مَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ لَهُ إِلَّا بِتَصَوُّرِهِ لِلنَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَالْمَنْفَعَةُ مِنْ جِنْسِ النَّعِيمِ واللَّذَّةِ، وَالْمَضَرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْأَلَمِ وَالْعَذَابِ.

فَلَابُدَّ لَهُ مِنْ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ مَا هُوَ الْمَحْبُوبُ الْمُطْلُوبُ الَّذِي يَنْتَفَعُ بِهِ وَيَلْتَذُّ بِإِدْرَاكِهِ.

وَالثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْمُعِينِ الْمُوَصِّلِ الْمُحَصِّلِ لِذَلِكَ الْمَقْصُودِ.

وَبِإِزَاءِ ذَلِكَ أَمْرَانِ آخَرَانِ: **أَحَدُهُمَا:** مَكْرُوهٌ بَغِيضٌ ضَارٌّ.

وَالثَّانِي: مُعِينٌ دَافِعٌ لَهُ عَنْهُ. **فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاء:**

أَحَدُهَا: أَمْرٌ هُوَ مَحْبُوبٌ مَطْلُوبُ الْوُجُودِ.

الثَّانِي: أَمْرٌ مَكْرُوهٌ مَطْلُوبُ الْعَدَمِ.

الثَّالِثُ: الْوَسِيلَةُ إِلَى حُصُولِ الْمَطْلُوبِ الْمَحْبُوبِ.

الرَّابِعُ: الْوَسِيلَةُ إِلَى دَفْعِ الْمَكْرُوهِ.

فَهَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعَبْدِ، بَلْ وَلِكُلِّ حَيَوَانٍ لَا يَقُومُ وُجُودُهُ وَصَلَاحُهُ إِلَّا بِهَا.

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَاللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَقْصُودَ الْمَدْعُوَّ الْمَطْلُوبَ، الَّذِي يُرَادُ وَجْهُهُ، وَيُبْتَغَى قُرْبُهُ، وَيُطْلَبُ رِضَاهُ، وَهُوَ الْمُعِينُ عَلَى حُصُولِ ذَلِكَ. وَعُبُودِيَّةُ مَا سِوَاهُ، وَالِالْتِفَاتُ إِلَيْهِ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِ: هُوَ الْمَكْرُوهُ الضَّارُّ، وَاللهُ هُوَ الْمُعِينُ عَلَى دَفْعِهِ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ. فَهُوَ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ الْمُرَادُ. وَهُوَ الْمُعِينُ لِعَبْدِهِ عَلَى وُصُولِهِ إِلَيْهِ وَعِبَادَتِهِ لَهُ. وَالْمَكْرُوهُ الْبَغِيضُ إِنَّما يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهُوَ الْمُعِينُ لِعَبْدِهِ عَلَى دَفْعِهِ عَنْهُ.

فَالْأَمْرُ كُلُّهُ لَهُ، وَالْحَمْدُ كُلُّهُ لَهُ، وَالْمُلْكُ كُلُّهُ لَهُ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْهِ، لَا يُحْصِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَفَوْقَ كُلِّ مَا يُثْنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ.

فَإِنَّ الْعُبُودِيَّةَ تَتَضَمَّنُ الْمَقْصُودَ الْمَطْلُوبَ، لَكِنْ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَالْمُسْتَعَانُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، الْجَامِعَةِ لِمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، فَبِذِكْرِهِ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ، وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ، وَبِرُؤْيَتِه فِي الْآخِرَةِ تَقَرُّ عُيُونُهُمْ، وَيَتِمُّ نَعِيمُهُمْ، فَلَا يُعْطِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَقَرُّ لِعُيُونِهِمْ، وَلَا أَنْعَمُ لِقُلُوبِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِ مِنْهُ بِلَا وَاسِطَةٍ. وَلَمْ يُعْطِهِمْ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا خَيْرًا لَهُمْ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَقَرَّ لِعُيُونِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ،

وَمَحَبَّتِهِ وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ ، وَالتَّنَعُّمِ بِذِكْرِهِ.

فَإِنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى رَبِّهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ وَتَأَلُّهِهِمْ لَهُ، كَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ فِي خَلْقِهِ لَهُمْ، وَرِزْقِهِ إِيَّاهُمْ، وَمُعَافَاةِ أَبْدَانِهِمْ، وَسَتْرِ عَوَرَاتِهِمْ، وَأَمْنِ رَوعَاتِهِمْ، بَلْ حَاجَتُهُمْ إلى تَأَلُّهِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ أَعْظَمُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ لَهُمْ. وَلَا صَلَاحَ لَهُمْ، وَلَا نَعِيمَ، وَلَا فَلَاحَ، وَلَا لِذَّةَ، وَلَا سَعَادَةَ بِدُونِ ذَلِكَ بِحَالٍ. وَلَهَذَا كَانَتْ « لَا إِلٰه إِلَّا اللّٰهُ » أَحْسَنَ الْحَسَنَاتِ.

وَلِذَلِكَ يُحِبُّ سُبْحَانَهُ عَبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَيَفْرَحُ بِتَوْبَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ فِي ذَلِكَ أَعْظَمَ لَذَّةِ الْعَبْدِ وَسَعَادَتِهِ ونَعِيمِهِ، فَلَيْسَ فِي الْكَائِنَاتِ شَيْءٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ يَسْكُنُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ، وَيَأْنَسُ بِهِ، وَيَتَنَعَّمُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ، وَحَصَلَ لَهُ بِهِ نَوْعُ مَنْفَعَةٍ وَلِذَّةٍ، فَمَضَرَّتُهُ بِذَلِكَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَنْفَعَتِهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ اللَّذِيذِ، وَكَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلٰه غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ لَفَسَدَتَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢].

فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا كَانَ فِيهِ مَعْبُودٌ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ إِلَّا بِأَنْ يَخْرُجَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ مِنْ قَلْبِهِ، ويَكُونَ اللّٰهُ [تَعَالَى] وَحْدَهُ إِلَهَهُ وَمَعْبُودَهُ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَيَرْجُوهُ، وَيَخَافُهُ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيُنِيبُ إِلَيْهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ فَقْرَ الْعَبْدِ إِلَى أَنْ يَعْبُدَ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا لَيس لَهُ نَظِيرٌ فَيُقَاسُ بِهِ، وَلَكِنْ يُشْبِهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ حَاجَةَ الْجَسَدِ إِلَى الْغِذَاءِ وَالشَّرَابِ وَالنَّفَسِ، وَبَيْنَهُمَا فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْعَبْدِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ، وَلَا صَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِإِلَهِهِ الْحَقِّ الَّذِي لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ، فَلَا

يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ وَحُبِّهِ، وَهُوَ كَادِحٌ إِلَيْهِ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا صَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِتَوْحِيدِ مَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالسُّرُورِ بِغَيْرِهِ مَا حَصَلَ فَلَا يَدُومُ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ إلى نَوْعٍ، وَمِنْ شَخْصٍ إلى شَخْصٍ، وَيَتَنَعَّمُ بِهَذَا فِي حَالٍ، وبِهَذَا فِي حَالٍ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يَتَنَعَّمُ بِهِ هُوَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ أَلَمِهِ وَمَضَرَّتِهِ. وَأَمَّا إِلَهُهُ الْحَقُّ فَلَابُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وفِي كُلِّ حَالٍ، وَأَيْنَمَا كَانَ. فَنَفْسُ الْإِيمَانِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَإِجْلَالِهِ وَذِكْرِهِ هُوَ غِذَاءُ الْإِنْسَانِ وَقُوتُهُ، وَصَلَاحُهُ وَقِوَامُهُ، كَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ السُّنَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَشَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ وَالْجَنَانُ، لَا كَمَا يَقُولُهُ مَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ، وَبُخِسَ حَظُّهُ مَنَ الْإِحْسَانِ: إِنَّ عِبَادَتَهُ وَذِكْرَهُ وَشُكْرَهُ تَكْلِيفٌ وَمَشَقَّةٌ، لِمُجَرَّدِ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ، أَوْ لِأَجْلِ مُجَرَّدِ التَّعْوِيضِ بِالثَّوَابِ الْمُنْفَصِلِ كَالْمُعَاوَضَةِ بِالْأَثْمَانِ، أَوْ لِمُجَرَّدِ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا لِيَرْتَفِعَ عَنْ دَرَجَةِ الْبَهِيمِ مِنَ الْحَيَوَانِ، كَمَا هِيَ مَقَالَاتٌ لِمَنْ بُخِسَ حَظُّهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّحْمَنِ، وَقَلَّ نَصِيبُهُ مِنْ ذَوْقِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَفَرِحَ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ زَبَدِ الأَفْكَارِ وَزُبَالَةِ الْأَذْهَانِ، بَلْ عِبَادَتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ وَتَوْحِيدُهُ وَشُكْرُهُ قُرَّةُ عَيْنِ الْإِنْسَانِ، وَأَفْضَلُ لَذَّةٍ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ، وَأَطْيَبُ نَعِيمٌ نَالَهُ مَنْ كَانَ أَهْلًا لِهَذَا الشَّأْنِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ أَفْضَلَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَأَجَلَّهُ وَأَعْلَاه عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَسَمَاعُ خِطَابِهِ.

وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ؛ لأَنَّ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَقُرَّةِ الْعَيْنَ، فَوْقَ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالتَّمَتُّعِ

بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحُورِ الْعِينِ، وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَ اللَّذَّتَيْنِ وَالنَّعِيمَيْنِ أَلْبَتَّةَ.

وَكَمَا أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ لِنَعِيمِ مَا فِي الْجَنَّةِ إِلَى نَعِيمِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْأَعْلَى سُبْحَانَهُ، فَلَا نِسْبَةَ لِنَعِيمِ الدُّنْيَا إِلَى نَعِيمِ مَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ وَالْأُنْسِ بِهِ، بَلْ لَذَّةُ النَّظَرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ تَابِعَةٌ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، فَإِنَّ اللَّذَّةَ تَتْبَعُ الشُّعُورَ وَالْمَحَبَّةَ، فَكُلَّمَا كَانَ الْمُحِبُّ أَعْرَفَ بِالْمَحْبُوبِ، وَأَشَدَّ مَحَبَّةً لَهُ، كَانَ الْتِذَاذُهُ بِقُرْبِهِ وَرُؤْيَتِهِ وَوُصُولِهِ إِلَيْهِ أَعْظَمَ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْعَبْدِ نَفْعٌ وَلَا ضُرٌّ، وَلَا عَطَاءٌ وَلَا مَنْعٌ، وَلَا هُدًى وَلَا ضَلَالٌ، وَلَا نَصْرٌ وَلَا خِذْلَانٌ، وَلَا خَفْضٌ وَلَا رَفْعٌ، وَلَا عِزٌّ وَلَا ذُلٌّ، بَلِ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ تَعَلُّقَ الْعَبْدِ بِمَا سِوَى اللهِ تَعَالَى مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ، إِذَا أَخَذَ مَنْهُ فَوْقَ الْقَدْرِ الزَّائِدِ عَلَى حَاجَتِهِ، غَيْرَ مُسْتَعِينٍ بِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِذَا نَالَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ وَاللِّبَاسِ فَوْقَ حَاجَتِهِ ضَرَّهُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَحَبَّ سِوَى اللهِ مَا أَحَبَّ، فَلَابُدَّ أَنْ يُسْلَبَهُ وَيُفَارِقَهُ، فَإِنْ أَحَبَّهُ لِغَيْرِ اللهِ فَلَابُدَّ أَنْ تَضُرَّهُ مَحَبَّتُهُ وَيُعَذَّبَ بِمَحْبُوبِهِ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَالْغَالِبُ أَنَّهُ يُعَذَّبُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ.

وَمِنْ أَبْلَغِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا تَشْتِيتُ الشَّمْلِ، وَتَفَرُّقُ الْقَلْبِ، وَكَوْنُ الْفَقْرِ نُصْبَ عَيْنَيِ الْعَبْدِ لَا يُفَارِقُهُ، وَلَوْلَا سَكْرَةُ عشاق الدُّنْيَا بِحُبِّهَا لَاسْتَغَاثُوا مِنْ هَذَا الْعَذَابِ، عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَزَالُ يَشْكُو أَوْ يَصْرُخُ مِنْهُ.

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَهُوَ اشْتِغَالُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ بِتَحَمُّلِ أَنْكَادِ الدُّنْيَا وَمُجَاذَبَةِ أَهْلِهَا إِيَّاهَا، وَمُقَاسَاةِ مُعَادَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ بَعْضُ

السَّلَفِ(١): «مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ».
وَمُحِبُّ الدُّنْيَا لَا يَنْفَكُّ مِنْ ثَلَاثٍ: هَمٍّ لَازِمٍ، وَتَعَبٍ دَائِمٍ، وَحَسْرَةٍ لَا تَنْقَضِي، وَذَلِكَ أَنَّ مُحِبَّهَا لَا يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا طَمَحَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَا فَوْقَهُ.

وَأَهْلُ الدُّنْيَا وَعُشَّاقُهَا أَعْلَمُ بِمَا يُقَاسُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَأَنْوَاعِ الْأَلَمِ فِي طَلَبِهَا. وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ أَكْبَرَ هَمِّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَلَا يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، كَانَ عَذَابُهُ بِهَا بِحَسَبِ حِرْصِهِ عَلَيْهَا، وَشِدَّةِ اجْتِهَادِهِ فِي طَلَبِهَا.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَذَابَ أَهْلِهَا بِهَا فَتَأَمَّلْ حَالَ عَاشِقٍ فَانٍ فِي حُبِّ مَعْشُوقِهِ، وَكُلَّمَا رَامَ قُرْبًا مِنْ مَعْشُوقِهِ نَأَى عَنْهُ، وَلَا يَفِي لَهُ، وَيهْجُرُهُ وَيَصِلُ عَدُوَّهُ. فَهُوَ مَعَ مَعْشُوقِهِ فِي أَنْكَدِ عَيْشٍ، يَخْتَارُ الْمَوْتَ دُونَهُ، فَمَعْشُوقُهُ قَلِيلُ الْوَفَاءِ، كَثِيرُ الْجَفَاءِ، كَثِيرُ الشُّرَكَاءِ، سَرِيعُ الِاسْتِحَالَةِ، عَظِيمُ الْخِيَانَةِ، كَثِيرُ التَّلَوُّنِ، لَا يَأْمَنُ عَاشِقُهُ مَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا عَلَى مَالِهِ، مَعَ أَنَّهُ لَا صَبْرَ لَهُ عَنْهُ، وَلَا يَجِدُ عَنْهُ سَبِيلًا إِلَى سَلْوَةٍ تُرِيحُهُ، وَلَا وِصَالٍ يَدُومُ لَهُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْعَاشِقِ عَذَابٌ إِلَّا هَذَا الْعَاجِلُ لَكَفَى بِهِ، فَكَيْفَ إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّاتِهِ كُلِّهَا، وَصَارَ مُعَذَّبًا بِنَفْسِ مَا كَانَ مُلْتَذًا بِهِ عَلَى قَدْرِ لَذَّتِهِ بِهِ، الَّتِي شَغَلَتْهُ عَنْ سَعْيِهِ فِي طَلَبِ زَادِهِ، وَمَصَالِحِ مَعَادِهِ؟!

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَالضَّرَرُ حَاصِلٌ لَهُ بِمَحْبُوبِهِ: إِنْ وُجِدَ وَإِنْ فُقِدَ، فَإِنَّهُ إِنْ فَقَدَهُ عُذِّبَ بِفَوَاتِهِ، وَتَأَلَّمَ عَلَى قَدْرِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، أخرجه أبو الحسن المدائني في التعازي (٥٨)، وابن أبي الدنيا في الاعتبار (٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٢٠٩، ٣٨/ ٣٦٠)

تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وَإِنْ وَجَدَهُ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْأَلَمِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَمِنَ التَّنَكُّدِ فِي حَالِ حُصُولِهِ، وَمِنَ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ فَوَاتِهِ، أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا فِي حُصُولِهِ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ. وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالِاعْتِبَارِ وَالتَّجَارِبِ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ اعْتِمَادَ الْعَبْدِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَتَوَكُّلَهُ عَلَيْهِ يُوجِبُ لَهُ الضَّرَرَ مِنْ جِهَتِهِ هُوَ وَلَا بُدَّ، عَكْسَ مَا أَمَّلَهُ مِنْهُ، فَلَابُدَّ أَنْ يُخْذَلَ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي قَدَّرَ أَنْ يُنْصَرَ مِنْهَا، وَيُذَمُّ مِنْ حَيْثُ قَدَّرَ أَنْ يُحْمَدَ. وَهَذَا أَيْضًا كَمَا أَنَّهُ ثَابِتٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّجَارِبِ.

فَصَلَاحُ الْقَلْبِ وَسَعَادَتُهُ وَفَلَاحُهُ فِي عِبَادَةِ اللهِ [تَعَالَى] وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَهَلَاكُهُ وَشَقَاؤُهُ وَضَرَرُهُ الْعَاجِلُ وَالْآجِلُ فِي عِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ، عَزِيزٌ رَحِيمٌ؛ فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَى عَبْدِهِ مَعَ غِنَاهُ عَنْهُ، يُرِيدُ بِهِ الْخَيْرَ، وَيَكْشِفُ عَنْهُ الضُّرَّ، لَا لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ إِلَيْهِ مِنَ الْعَبْدِ، وَلَا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ، بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ وَإِحْسَانًا. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ لِيَتَكَثَّرَ بِهِمْ مِنْ قِلَّةٍ، وَلَا لِيَتَعَزَّزَ بِهِمْ مِنْ ذِلَّةٍ، وَلَا لِيَرْزُقُوهُ، وَلَا لِيَنْفَعُوهُ وَلَا لِيَدْفَعُوا عَنْهُ.

فَالْمَخْلُوقُ لَا يَقْصِدُ مَنْفَعَتَكَ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، بَلْ إِنَّمَا يَقْصِدُ انْتِفَاعَهُ بِكَ. وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَكَ لَا انْتِفَاعَهُ بِكَ، وَذَلِكَ مَنْفَعَةٌ مَحْضَةٌ لَكَ، خَالِصَةٌ مِنَ الْمَضَرَّةِ، بِخِلَافِ إِرَادَةِ الْمَخْلُوقِ نَفْعَكَ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْكَ، وَلَوْ بِتَحَمُّلِ مِنَّتِهِ.

فَتَدَبَّرْ هَذَا، فَإِنَّ مَلَاحَظَتَهُ تَمْنَعُكَ أَنْ تَرْجُوَ الْمَخْلُوقَ، أَوْ تُعَامِلَهُ دُونَ اللهِ، أَوْ تَطْلُبَ مِنْهُ نَفْعًا أَوْ دَفْعًا، أَوْ تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ انْتِفَاعَهُ

بِكَ لَا مَحْضَ نَفْعِكَ، وَهَذَا حَالُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْض، وَهُوَ حَالُ الْوَلَدِ مَعَ وَالِدِهِ، وَالزَّوْجِ مَعَ زَوْجَتِهِ، والْمَمْلُوكِ مَعَ سَيِّدِهِ، وَالشَّرِيكِ مَعَ شَرِيكِهِ. فالسعيد مَنْ عَامَلَهُمْ لِلهِ تَعَالَى لَا لَهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ لِلهِ، وَخَافَ اللهَ فِيهِمْ، وَلَمْ يَخَفْهُمْ مَعَ اللهِ، وَرَجَا اللهَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَرْجُهُمْ مَعَ اللهِ، وَأَحَبَّهُمْ لِحُبِّ اللهِ، وَلَمْ يُحِبَّهُمْ مَعَ اللهِ [تَعَالَى].

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: أَنَّ الْعَبْدَ الْمَخْلُوقَ لَا يَعْلَمُ مَصْلَحَتَكَ حَتَّى يُعَرِّفَهُ اللهُ تَعَالَى إِيَّاهَا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِهَا لَكَ، حَتَّى يُقْدِرَهُ اللهُ عَلَيْهَا، وَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ حَتَّى يَخْلُقَ اللهُ فِيهِ إِرَادَةً وَمَشِيئَةً. فَعَادَ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِمَنِ ابْتَدَأَ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الخير كُلُّهُ، وإِلَيْه يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ رَجَاءً وَخَوْفًا وَتَوَكُّلًا وَعُبُودِيَّةً: ضَرَرٌ مَحْضٌ، لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، وَمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ فَهُوَ [سُبْحَانَهُ] وَحْدَهُ الَّذِي قَدَّرَهَا وَيَسَّرَهَا وَأَوْصَلَهَا إِلَيْكَ.

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: أَنَّ غَالِبَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ قَضَاءَ حَوَائِجِهِمْ بِكَ، وإِنْ أَضَرَّ ذَلِكَ بِدِينِكَ وَدُنْيَاكَ، فَهُمْ إِنَّمَا غَرَضُهُمْ قَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ وَلَوْ بِمَضَرَّتِكَ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يُرِيدُك لَكَ، وُيُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيْكَ لَكَ لَا لِمَنْفَعَتِهِ، ويُرِيدُ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْكَ، فَكَيْفَ تُعَلِّقُ أَمَلَكَ وَرَجَاءَكَ وَخَوْفَكَ بِغَيْرِهِ؟!

وَجِمَاعُ هَذَا أَنْ «تَعْلَمَ أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، ولَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ».

خَاتِمَةٌ لِهَذَا الْبَابِ: لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ بَلْ وَكُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٍ بِالْإِرَادَةِ لَا يَنْفَكُّ عَنْ عِلْمٍ وَإِرَادَةٍ وَعَمَلٍ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ، وَلَهُ مُرَادٌ مَطْلُوبٌ، وَطَرِيقٌ

وَسَبَبٌ مُوَصِّلٌ إِلَيْهِ، مُعِينٌ عَلَيْهِ، وَتَارَةً يَكُونُ السَّبَبُ مِنْهُ، وَتَارَةً مِنْ خَارِجٍ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، وَتَارَةً مِنْهُ وَمِنَ الْخَارِجِ، فَصَارَ الْحَيُّ مَجْبُولًا عَلَى أَنْ يَقْصِدَ شَيْئًا وَيُرِيدُهُ، وَيَسْتَعِينَ بِشَيْءٍ، وَيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ مُرَادِهِ.

وَالمُرَادُ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا هُوَ مُرَادٌ لِنَفْسِهِ. وَالثَّانِي: مَا هُوَ مُرَادٌ لِغَيْرِهِ.

والمُسْتَعَانُ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا هُوَ مُسْتَعَانٌ بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي: مَا هُوَ تَبَعٌ لَهُ وَآلَةٌ.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ: مُرَادٌ لِنَفْسِهِ، وَمُرَادٌ لِغَيْرِهِ، ومُسْتَعَانٌ بِنَفْسِهِ، ومُسْتَعَانٌ بِكَوْنِهِ آلَةً وَتَبَعًا لِلْمُسْتَعَانِ بِنَفْسِهِ.

فَلَابُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ مَطْلُوبٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ مَحَبَّتُهُ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِ فِي حُصُولِ مَطْلُوبِهِ، وَالْمُسْتَعَانُ مَدْعُوٌّ وَمَسْئُولٌ ، وَالْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ كَثِيرًا مَا يَتَلَازَمَانِ، فَمَنِ اعْتَمَدَ الْقَلْبُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَنَصْرِهِ وَنَفْعِهِ خَضَعَ لَهُ، وَذَلَّ لَهُ، وَانْقَادَ لَهُ، وَأَحَبَّهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَإِنْ لَمْ يُحِبَّهُ لِذَاتِهِ، لَكِنْ قَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ حُكْمُ الْحَالِ حَتَّى يُحِبَّهُ لِذَاتِهِ، وَيَنْسَى مَقْصُودَهُ مِنْهُ. وَأَمَّا مَنْ أَحَبَّه الْقَلْبُ وأراده وقصده فقد لا يَسْتَعِينُ بِهِ، وَيَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ عَلَيْهِ، كَمَنْ أَحَبَّ مَالًا أَوْ مَنْصِبًا أَوِ امْرَأَةً، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّ مَحْبُوبَهُ قَادِرٌ عَلَى تَحصِيلِ غَرَضِهِ اسْتَعَانَ بِهِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مَحَبَّتُهُ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ.

فَالْأَقْسَامُ أَرْبَعَةٌ: مَحْبُوبٌ لِنَفْسِهِ وَذَاتِهِ، مُسْتَعَانٌ بِنَفْسِهِ. فَهَذَا أَعْلَى الْأَقْسَامِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلهِ وَحْدَهُ. وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَبَّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ، وَيُسْتَعَان بِهِ لِكَوْنِهِ آلَةً وَسَبَبًا.

الثَّانِي: مَحْبُوبٌ لِغَيْرِهِ ومُسْتَعَانٌ بِهِ أَيْضًا، كَالْمَحْبُوبِ الَّذِي هو قَادِرٌ عَلَى تَحصِيلِ غَرَضِ مُحِبِّهِ.

الثَّالِثُ: مَحْبُوبٌ مُسْتَعَانٌ عَلَيْهِ بِغَيْرِهِ.

الرَّابِعُ: مُسْتَعَانٌ بِهِ غَيْرُ مَحْبُوبٍ فِي نَفْسِهِ.

فَإِذَا عُرِفَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ مَنْ أَحَقُّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الأَرْبَعَةِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَأَنَّ مَحَبَّةَ غَيْرِهِ وَاسْتِعَانَتَهُ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ وَسِيلَةً إلى مَحَبَّتِهِ وَاسْتِعَانَتِهِ، وَإِلَّا كَانَتْ مَضَرَّةً عَلَى الْعَبْدِ، وَمَفْسَدَتُهَا أَعْظَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهَا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. انتهى.

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ جُزَيِّ الْغِرْنَاطِيُّ فِي «التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» ١٠٦/١:

«اعْلَمْ أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنَ الْقَلْبِ ظَهَرَتْ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ، مِنَ الْجِدِّ فِي طَاعَتِهِ وَالنَّشَاطِ لِخِدْمَتِهِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَالتَّلَذُّذِ بِمُنَاجَاتِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لقائِهِ، وَالْأُنْسِ بِذِكْرِهِ، وَالِاسْتِيحَاشِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْفِرَارِ مِنَ النَّاسِ، وَالِانْفِرَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَخُرُوجِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَلْبِ، وَمَحَبَّةِ كُلِّ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، وَإِيثَارِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهُ».

«شَجَرَةُ التَّوْحِيدِ الثَّابِتَةُ الرَّاسِخَةُ فِي الْقَلْبِ، الَّتِي فُرُوعُهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الصَّاعِدَةُ إِلَى السَّمَاءِ. وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ تُثْمِرُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كُلَّ وَقْتٍ، بِحَسَبِ ثَبَاتِهَا فِي الْقَلْبِ، وَمَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَهَا، وَإِخْلَاصِهِ فِيهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقِيقَتِهَا، وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهَا، وَمُرَاعَاتِهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا. فَمَنْ رَسَخَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي قَلْبِهِ بِحَقِيقَتِهَا الَّتِي هِيُ حَقِيقَتُهَا، وَاتَّصَفَ قَلْبُهُ بِهَا، وَانْصَبَغَ بِهَا بِصِبْغَةِ اللهِ الَّتِي لَا أَحْسَنَ صِبْغَةً مِنْهَا، فَعَرَفَ حَقِيقَةَ الإِلَهِيَّةِ

الَّتِي يُثْبِتُهَا قَلْبُهُ لِلهِ، وَيَشْهَدُ بِهَا لِسَانُهُ، وَتُصَدِّقُهَا جَوَارِحُهُ، وَنَفَى تَلْكَ الحَقِيقَةَ وَلَوَازِمَهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ، وَوَاطَأَ قَلْبُهُ لِسَانَهُ فِي هَذَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَانْقَادَتْ جَوَارِحُهُ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، طَائِعَةٍ سَالِكَةً سُبُلَ رَبِّهِ ذُلُلًا، غَيْرَ نَاكِبَةٍ عَنْهَا، وَلَا بَاغِيَةٍ سِوَاهَا بَدَلًا، كَمَا لَا يَبْتغِي الْقَلْبُ سِوَى مَعْبُودِهِ الْحَقِّ بَدَلًا، فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ عَلَى هَذَا اللِّسَانِ لَا تَزَالُ تُؤْتِي ثَمَرَهَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الصَّاعِدِ إِلَى اللهِ كُلَّ وَقْتٍ؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ هَذَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ الصَّاعِدَ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تُثْمِرُ كَلِمًا كَثِيرًا طَيِّبًا، يُقَارِنُهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، فَيَرْفَعُ الْعَمَلُ الصالحُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر: ١٠]، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُثْمِرُ لِقَائِلِهَا عَمَلًا صَالِحًا كُلَّ وَقْتٍ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ إِذَا شَهِدَ بِهَا الْمُؤْمِنُ عَارِفًا بِمَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، مُتَّصِفًا بِمُوجَبِهَا، قَائِمًا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ بِشَهَادَتِهِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ هَذَا الْعَمَلَ مِنْ هَذَا الشَّاهِدِ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ رَاسِخٌ فِي قَلْبِهِ، وَفُرُوعُهَا مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ، وَهِيَ مُخْرِجَةٌ لِثَمَرَتِهَا كُلَّ وَقْتٍ»(١).

«فَالتَّوْحِيدُ مَلْجَأُ الطَّالِبِينَ، وَمَفْزَعُ الْهَارِبِينَ، وَنَجَاةُ الْمَكْرُوبِينَ، وَغِيَاثُ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٩٩-٣٠٠ ط. دار ابن الجوزي).

الْمَلْهُوفِينَ، وَحَقِيقَتُهُ إِفْرَادُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ والتَّعظِيمِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ»(١).

«مَشْهَدُ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي هُوَ مَشْهَدُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمُ الْحُنَفَاءِ، وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ إِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ وَمُحَالٌ، كَمَا أَنَّ رُبُوبِيَّةَ مَا سِوَاهُ كَذَلِكَ، فَلَا أَحَدَ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤَلَّهَ وَيُعْبَدَ، وَيُصَلَّى لَهُ وَيُسْجَدَ، وَيَسْتَحِقَّ نَهَايَةَ الْحُبِّ مَعَ نَهَايَةِ الذُّلِّ لِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ الْمُطَاعُ وَحْدَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْمَأْلُوهُ وَحْدَهُ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَحْدَهُ، فَكُلُّ عُبُودِيَّةٍ لِغَيْرِهِ بَاطِلَةٌ وَعَنَاءٌ وَضَلَالٌ، وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لِغَيْرِهِ عَذَابٌ لِصَاحِبِهَا، وَكُلُّ غِنًى بِغَيْرِهِ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ، وَكُلُّ عِزٍّ بِغَيْرِهِ ذُلٌّ وَصَغَارٌ، وَكُلُّ تَكَثُّرٍ بِغَيْرِهِ قِلَّةٌ وَذِلَّةٌ، فَكَمَا اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ لِلْخَلْقِ رَبٌّ غَيْرُهُ، فَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلٰه غَيْرُهُ، فَهُوَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرَّغَبَاتُ، وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَهُ الطَّلَبَاتُ.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِلٰه آخَرَ، فإِنَّ الإِلَهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الْغَنِيُّ الصَّمَدُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الَّذِي حَاجَةُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى أَحَدٍ، وَقِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ، وَلَيْسَ قِيَامُهُ بِغَيْرِهِ»(٢).

فَهَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٨٥٦ ط. المجمع)

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٩١- ٩٢ ط. المجمع).

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾
أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ
﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩ – ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن
يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾
إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ
﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ
فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ
وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى
ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٣– ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ
إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ
مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ

عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ
﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ
إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ
إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا
يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا
كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم
مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن
تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ
يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن
كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا
قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب
مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا

عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾
وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى
ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي
وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ
صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾
قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ
يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [سورة هود: ٢٥ – ٤٨]

وَانْظُرْ: سُورَةَ نُوح.

هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى
ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾
قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ
بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ
أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ
عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة هود: ٥٠ – ٥٨].

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [سورة الممتحنة: ٤-٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن

لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا
رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ
وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾
وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ
أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟
إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ
إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا
وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ
وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤ – ٨٨]

وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَفْهَمَ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – كَانَ شَاكًّا، حَاشَا وَكَلَّا، بَلْ كَانَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فِي مَقَامِ الْمُنَاظَرَةِ لِقَوْمِهِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (٣ / ٢٩٢ ط. دار طيبة بالرياض):
وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ بُطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ وَالْأَصْنَامِ، فَبَيَّنَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مَعَ أَبِيهِ خَطَأَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الْأَرْضِيَّةِ، الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ إِلَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَإِنَّمَا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ بِعِبَادَةِ مَلَائِكَتِهِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الرِّزْقِ وَالنَّصْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنَ فِي هَذَا الْمَقَامِ خَطَأَهُمْ وَضَلَالَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ. انتهى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ

ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا
يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾
[سورة الأنبياء: ٥١– ٧٠]

إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ
فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الصافات: ١٠١– ١١١].

وَيَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ
فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ
لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ
وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠– ١٣٣].

وَشُعَيبٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى

دِيَـٰرِهِمۡ جَـٰثِمِينَ ﴾ [سورة هود: ٨٤– ٩٤].

وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ لَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[سورة طه: ٢٤– ٣٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ
ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣
لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا
صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ
قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن
تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ
وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾[سورة الأعراف
: ١٠٣ – ١٢٩].

بَلْ رَأى الْبَحْرَ أَمَامَهُ، وَالْعَدُوَّ خَلْفَهُ، فَقَالَ: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾ [سورة الشعراء: ٦٢]، فَأَنْجَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالْمَسِيحُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ
إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ
قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾سورة المائدة: ١١٦–١١٨]

إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُتَّقِينَ، مِسْكُ الْخِتَامِ مُحَمَّدٌ ﷺ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ؛ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١)!!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [سورة آل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، والترمذي (٣٠٩٦)، وأحمد (١١) وغيرهم.

عمران: ١٧٣ – ١٧٤].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم حِينَ قَالُوا: « **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ** »(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ يَوْمًا فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، (الشَّجَرِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ) فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ لَهُ: اللَّهُ قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ – ثَلَاثًا –، فَشَامَ السَّيْفَ (رَدَّهُ فِي غِمْدِهِ) وَجَلَسَ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ**». ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ»(٢).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٣ / ٣٨٧–٣٨٨):

وَالْخَوْف دَائِمًا مَعَ الشِّرْكِ، وَالْأَمْنُ دَائِمًا مَعَ التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَن خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ [صلى الله عليه وآله وسلم] أَنَّهُ قَالَ فِي مُحَاجَّتِهِ لِقَوْمِهِ: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ

(١) أخرجه البخاري: (٤٥٦٣، ٤٥٦٤) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٠، ٢٩١٣، ٤١٣٥، ٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣)، وأحمد (١٤٣٣٥، ١٤٩٢٨، ١٤٩٢٩، ١٥١٩٠) وغيرهم.

فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٨١].

فَحَكَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِحُكْمٍ فَصْلٍ فَقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]

وَقد صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَفْسِيرُ الظُّلْمِ فِيهَا بِالشِّرْكِ، وقَالَ: « **أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ** ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١)» [سورة لقمان: ١٣].

فَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأَمْنِ مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالشِّرْكُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الْمَخَاوِفِ، وَلِذَلِكَ مَنْ خَافَ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ سُلِّطَ عَلَيْهِ، وَكَانَ خَوْفُهُ مِنْهُ هُوَ سَبَبَ تَسْلِيطِهِ عَلَيْهِ، وَلَوْ خَافَ اللهَ دُونَهُ وَلَمْ يَخَفْهُ؛ لَكَانَ عَدَمُ خَوْفِهِ مِنْهُ، وَتَوَكُّلُهُ عَلَى اللهِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نَجَاتِهِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ رَجَا شَيْئًا غَيْرَ اللهِ حُرِمَ مَا رَجَاهُ مِنْهُ، وَكَانَ رَجَاؤُهُ غَيْرَ اللهِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ حِرْمَانِهِ، فَإِذَا رَجَا اللهَ وَحْدَهُ كَانَ تَوْحِيدُ رَجَائِهِ أَقْوَى أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِمَا رَجَاهُ، أَوْ بِنَظِيرِهِ، أَوْ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهُ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ. انتهى.

« وَالظُّلْمُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ دَوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ الشِّرْكُ بِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ ظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢ وأطرافه)، ومسلم (١٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٠)، والترمذي (٣٠٦٧)، وأحمد (٣٥٨٩، ٤٠٣١، ٤٢٤٠)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

يَسْتَوْفِيهِ كُلَّهُ، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ هَذَا الدِّيوَانَ أَخَفُّ الدَّوَاوِينِ وَأَسْرَعُهَا مَحْوًا، فَإِنَّهُ يُمْحَى بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ، وَالمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. بِخِلَافِ دِيوَانِ الشِّرْكِ فَإِنَّهُ لَا يُمْحَى إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ. وَدِيوَانُ الْمَظَالِمِ لَا يُمْحَى إِلَّا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا إِلَى أَرْبَابِهَا، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مِنْهَا.

وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ أَعْظَمَ الدَّوَاوِينِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى أَهْلِهِ فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَفْسٌ مُشْرِكَةٌ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ مِفْتَاحُ بَابِهَا، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِفْتَاحٌ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ بَابُهَا، وَكَذَلِكَ إِنْ أَتَى بِمِفْتَاحٍ لَا أَسْنَانَ لَهُ لَمْ يُمْكِنِ الْفَتْحُ بِهِ.

وَأَسْنَانُ هَذَا الْمِفْتَاح هِيَ: الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالزَّكَاةُ، وَالْحَجُّ، وَالْجِهَادُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، فَأَيُّ عَبْدٍ اتَّخَذَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِفْتَاحًا صَالِحًا مِنَ التَّوْحِيدِ وَرَكَّبَ فِيهِ أَسْنَانًا مِنَ الْأَوَامِرِ جاء يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَمَعَهُ مِفْتَاحُهَا الَّذِي لَا تُفْتَحُ إِلَّا بِهِ، فلم يُعِقْهُ عَنِ الْفَتْحِ عَائِقٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ ذُنُوبٌ وَخَطَايَا وَأَوْزَارٌ لَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ أَثَرُهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ بِالتَّوْبَةِ والِاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنَّهُ يُحْبَسُ عَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَتَطَهَّرَ مِنْهَا، وإِنْ لَمْ يُطَهِّرْهُ الْمَوْقِفُ وَأَهْوَالُهُ وَشَدَائِدُهُ، فَلَابُدَّ مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِيُخْرِجَ خُبْثَهُ فِيهَا، وَيَتَطَهَّرُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَوَسَخِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الطَّيِّبِينَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا طَيِّبٌ. وَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهَا دَارُ الْخُبْثِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَآكِلِ وَالمَشَارِبِ، ودارُ الْخَبِيثِينَ، فَاللهُ تَعَالَى يَجْمَعُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ إِلَى

بَعْضٍ، فَيَرْكُمُهُ[(١)] كَمَا يُرْكَمُ الشَّيْءُ الْمُتَرَاكِبُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ مَعَ أَهْلِهِ، فَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا خَبِيثٌ»[(٢)].

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٣/ ٣٥٥):

وَهَذَا فِعْلُ أُولِي الْعَزْمِ وَالْقُوَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَحَّ تَوَكُّلُهُمْ عَلَى اللهِ، وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ وَوَثِقُوا بِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يُصِيبَهُمْ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا وَهِيَ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَيُوجِدَهُمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَصِيرُوا إِلَى مَا كَتَبَهُ وَقَدَّرَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ تَطَيُّرَهُمْ لَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ عَنْهُمْ، بَلْ قَدْ يَكُونُ تَطَيُّرُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَجْرِي عَلَيْهِمْ بِهَا الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، فَيُعِينُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ جَرَى لَهُمُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ بِأَنَّ نُفُوسَهُمْ هِيَ سَبَبُ إِصَابَةِ الْمَكْرُوهِ لَهُمْ، فَطَائِرُهُمْ مَعَهُمْ. وَأَمَّا الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ الْمُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ الْعَالِمُونَ بِهِ وَبِأَمْرِهِ فَنُفُوسُهُمْ أَشْرَفُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِمَمُهُمْ أَعْلَى، وَثِقَتُهُمْ بِاللهِ وَحُسْنُ ظَنِّهِمْ بِهِ عُدَّةٌ لَهُمْ، وَقُوَّةٌ وَجُنَّةٌ مِمَّا يَتَطَيَّرُ بِهِ الْمُتَطَيِّرُونَ، وَيَتَشَاءَمُ بِهِ الْمُتَشَائِمُونَ، عَالِمُونَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين.

«فَإِنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى غَيْرِهِ، والشِّرْكَ بِهِ هُوَ أَعْظَمُ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ. بل فَسَادُ الْأَرْضِ فِي الْحَقِيقَة إِنَّمَا هُوَ بِالشِّرْكِ بِهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ.

---

(١) رَكَمَ الشَّيْءَ يَرْكُمُهُ: إِذا جَمَعه وأَلقى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. لسان العرب مادة: ر ك م]

(٢) الوابل الصيب ص (٤٠-٤٢ ط. المجمع). باختصار.

وَبِالْجُمْلَةِ فَالشِّرْكُ وَالدَّعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللهِ وَإِقَامَةُ مَعْبُودٍ غَيْرَهُ، وَمُطَاعٍ مُتَّبَعٍ غَيْرَ رَسُولِهِ ﷺ هُوَ أَعْظَمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا وَلَا لِأَهْلِهَا إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودَ، وَالدَّعْوَةُ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، وَالطَّاعَةُ وَالِاتِّبَاعُ لِرَسُولِهِ ﷺ لَيْسَ إِلَّا، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُ إِذَا أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَتِهِ وَخَلَافِ شَرْعِهِ فَلَا سَمْعَ لَهُ وَلَا طَاعَةَ(١)، فَاللهُ تَعَالَى أَصْلَحَ الْأَرْضَ بِرَسُولِهِ ﷺ وَدِينِهِ وَبِالْأَمْرِ بِتَوْحِيدِهِ، وَنَهَى عَنْ إِفْسَادِهَا بِالشِّرْكِ بِهِ، وَمُخَالَفَةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ فَسَبَبُهُ تَوحِيدُ اللهِ وَعِبَادَتُهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَقَحْطٍ وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا حَقَّ التَّدَبُّرِ، وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ مُنْذُ قَامَ إِلَى الْآنِ، وَإِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَجَدَ هَذَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٢).

«الشَّقَاءُ وَالْكُفْرُ يَنْشَأُ مِنْ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ تَارَةً، وَمِنْ عَدَمِ إِرَادَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ أُخْرَى، وَيَتَرَكَّبُ مِنْهُمَا، فَكُفْرُ الْيَهُودِ نَشَأَ مِنْ عَدَمِ إِرَادَةِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَإِيثَارِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ ضَلَالًا مَحْضًا، وَكُفْرُ

---

(١) إلى الله وحده المشتكى من أهل هذا الزمان!!!!!!.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١٥/ ٢٤-٢٥)، وبدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله (٣/ ٨٥٦-٨٥٧ ط. المجمع).

النَّصَارَى نَشَأ مِنْ جهلهم بِالْحَقِّ وَضَلَالِهِمْ فِيهِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ وَآثَرُوا الْبَاطِلَ عَلَيْهِ أَشْبَهُوا الْأُمَّةَ الْغَضَبِيَّةَ وَبَقَوْا مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ ضَالِّين.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الْهُدَى وَالْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ لَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَإِيثَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَانَ الْجَهْلُ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِالْحَقِّ، وَالْبَغْيُ يَمْنَعُهُ مِنْ إِرَادَتِهِ؛ كَانَ الْعَبْدُ أَحْوَجَ شَيْءٍ إِلَى أَنْ يَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى كُلَّ وَقْتٍ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ تَعْرِيفًا وَبَيَانًا، وَإِرْشَادًا وَإِلْهَامًا، وَتَوْفِيقًا وَإِعَانَةً، فَيُعَلِّمُهُ وَيُعَرِّفُهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُرِيدًا لَهُ قَاصِدًا لِاتِّبَاعِهِ، فَيَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنْ طَرِيقَةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ عَدَلُوا عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ وَعِلْمٍ، وَالضَّالِّينَ الَّذِينَ عَدَلُوا عَنْهُ عَنْ جَهْلٍ وَضَلَالٍ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْعُدَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّبَهَيْنِ غَايَةَ الْبُعْدِ، وَمَنْ تَصَوَّرَ الشَّبَهَيْنِ وَالْوَصْفَيْنِ، وَعَلِمَ أَحْوَالَ الْخَلْقِ عَلِمَ ضَرُورَتَهُ وَفَاقَتَهُ إِلَى هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي لَيْسَ لِلْعَبْدِ دُعَاءٌ أَنْفَعُ مِنْهُ وَلَا أَوْجَبُ مِنْهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى الْحَيَاةِ وَالنَّفَسِ؛ لِأَنَّ غَايَةَ مَا يُقَدَّرُ بِفَوْتِهِمَا مَوْتُهُ، وَهَذَا يَحْصُلُ لَهُ بِفَوْتِهِ شَقَاوَةُ الْأَبَدِ. فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ»(١).

«وَمَرَضُ الْقَلْبِ: أَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مَا خُلِقَ لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَإِيثَارِ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ شَهْوَةٍ.

فَلَوْ عَرَفَ الْعَبْدُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا، وَلَوْ

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله (٢ / ٤٤٠، ٤٤١ ط. المجمع). باختصار.

نَالَ كُلَّ حَظٍّ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَحَبَّةِ اللهِ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِلَذَّةٍ وَلَا نَعِيمٍ وَلَا قُرَّةِ عَيْنٍ، بَلْ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا مِنْ ذَلِكَ عَادَتْ تِلْكَ الْحُظُوظُ وَاللَّذَّاتُ عَذَابًا لَهُ وَلَابُدَّ، فَيَصِيرُ مُعَذَّبًا بِنَفْسِ مَا كَانَ مُنَعَّمًا بِهِ مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ حَسْرَةِ فَوْتِهِ، وَأَنَّهُ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، مَعَ شِدَّةِ تَعَلُّقِ رُوحِهِ بِهِ، وَمِنْ جِهَةِ فَوْتِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْفَعُ وَأَدْوَمُ، حَيْثُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ، فَالْمَحْبُوبُ الْحَاصِلُ فَاتَ، وَالْمَحْبُوبُ الْأَعْظَمُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ، وَكُلُّ مَنْ عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَلَابُدَّ، وَلَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ، فَمَنْ آثَرَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ فَقَلْبُهُ مَرِيضٌ، كَمَا أَنَّ الْمَعِدَةَ إِذَا اعْتَادَتْ أَكْلَ الْخَبِيثِ وآثَرَتْهُ عَلَى الطَّيِّبِ سَقَطَتْ عَنْهَا شَهْوَةُ الطَّيِّبِ، وَتَعَوَّضَتْ بِمَحَبَّةِ غَيْرِهِ.

وَقَدْ يَمْرَضُ الْقَلْبُ وَيَشْتَدُّ مَرَضُهُ، وَلَا يَعْرِفُ بِهِ صَاحِبُهُ؛ لِاشْتِغَالِهِ وَانْصِرَافِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ صَحَّتِهِ وَأَسْبَابِهَا، بَلْ قَدْ يَمُوتُ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ بِمَوْتِهِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا تُؤْلِمُهُ جِرَاحَاتُ الْقَبَائِحِ، وَلَا يُوجِعُهُ جَهْلُهُ بِالْحَقِّ وَعَقَائِدُهُ الْبَاطِلَةُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ فِيهِ حَيَاةٌ يَأْلَمُ بِوُرُودِ الْقَبِيحِ عَلَيْهِ، وَيَأْلَمُ بِجَهْلِهِ بِالْحَقِّ بِحَسَبِ حَيَاتِهِ. وَ «**مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ**»(١)

وَقَدْ يَشْعُرُ بِمَرَضِهِ، وَلَكِنْ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ تَحَمُّلُ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا؛ فَيُؤْثِرُ بَقَاءَ أَلَمِهِ عَلَى مَشَقَّةِ الدَّوَاءِ، فَإِنَّ دَوَاءَهُ فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَذَلِكَ أَصْعَبُ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ، وَلَيْسَ لَهَا أَنْفَعُ مِنْهُ.

وَتَارَةً يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، ثُمَّ يَنْفَسِخُ عَزْمُهُ، وَلَا يَسْتَمِرُّ مَعَهُ؛

---

(١) عجز بيت للمتنبي، وصدره: مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ .

لِضَعْفِ عِلْمِهِ وَبَصِيرَتِهِ وَصَبْرِهِ، كَمَنْ دَخَلَ فِي طَرِيقٍ مَخُوفٍ مُفْضٍ إِلَى غَايَةِ الْأَمْنِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ صَبَرَ عَلَيْهِ انْقَضَى الْخَوْفُ وَأَعْقَبَهُ الْأَمْنُ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى قُوَّةِ صَبْرٍ، وَقُوَّةِ يَقِينٍ بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، وَمَتَى ضَعُفَ صَبْرُهُ ويَقِينُهُ رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَتَحَمَّلْ مَشَقَّتَهَا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ عَدِمَ الرَّفِيقَ، وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الوِّحْدَةِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبَ النَّاسُ فَلِي بِهِمْ أُسْوَةٌ!!. وَهَذِهِ حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْلَكَتْهُمْ، فَالْبَصِيرُ الصَّادِقُ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنْ قِلَّةِ الرَّفِيقِ وَلَا مِنْ فَقْدِهِ إِذَا اسْتَشْعَرَ قَلْبُهُ مُرَافَقَةَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ، ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [سورة النساء: ٦٩]، فتفرُّدُ الْعَبْدِ فِي طَرِيقِ طَلَبِهِ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الطَّلَبِ.

فَإِنَّ الْحَقَّ إِذَا لَاحَ وَتَبَيَّنَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَاهِدٍ يَشْهَدُ بِهِ. وَالْقَلْبُ يُبْصِرُ الْحَقَّ كَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ الشَّمْسَ؛ فَإِذَا رَأَى الرَّائِي الشَّمْسَ لَمْ يَحْتَجْ فِي عِلْمِهِ بِهَا وَاعْتِقَادِهِ أَنَّهَا طَالِعَةٌ إِلَى مَنْ يَشْهَدُ بِذَلِكَ وَيُوَافِقُهُ عَلَيْهِ»(١).

«أَعْظَمُ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَلَذَّاتِهَا: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ مِنْهُ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ.

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا، فَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُحَصِّلُ هَذِهِ اللَّذَّةَ هُوَ أَعْظَمُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا عَلَى الإِطْلَاقِ، وَهُوَ لَذَّةُ مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ وَلَذَّةُ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا الْعَالِي؛ وَنِسْبَةُ لَذَّاتِهَا الْفَانِيَةِ إِلَيْهِ كَتَفْلَةٍ فِي بَحْرٍ، فَإِنَّ الرُّوحَ

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/ ١١٢- ١١٤ ط. المجمع). باختصار.

وَالْقَلْبَ وَالْبَدَنَ إِنَّمَا خُلِقَ لِذَلِكَ. فَأَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ [سُبْحَانَهُ]، وأَلَذُّ مَا فِي الْجَنَّةِ رُؤْيَتُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ. فَمَحَبَّتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ [سُبْحَانَهُ] قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَبَهْجَةُ الْقُلُوبِ، وَنَعِيمُ الدُّنْيَا وَسُرُورُهَا. بَلْ لَذَّاتُ الدُّنْيَا الْقَاطِعَةُ عَنْ ذَلِكَ تَنْقَلِبُ آلَامًا وَعَذَابًا، وَيَبْقَى صَاحِبُهَا فِي الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ، فَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ إِلَّا بِاللهِ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ**».

فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله **في** «**الوابل الصيب**» **ص (١٤٨-١٥٤ ط.** المجمع): «وَهَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ، وَيَنْفَتِحُ بِهِ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ سِرِّ الْقَدَرِ وَحِكْمَتِهِ، وَاللهُ تَعَالَى الْمُوَفِّقُ.

وَهَذَا النُّورُ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هُوَ الَّذِي أَحْيَاهُمْ

---

(١) الداء والدواء ص (٥٤٢، ٥٤٣-٥٤٤ ط. المجمع).

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد رقم (٦٦٤٤، ٦٨٥٤)، والترمذي (٢٦٤٢)، والطيالسي (٢٤٠٥)، والبزَّار (٢١٤٥ زوائده)، والطبراني (١٤٥٥٧)، وابن حبان (٦١٦٩، ٦١٧٠)، والحاكم (٨٣ ط. دار التأصيل) وغيرهم. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ قَدْ تَدَاوَلَهُ الأَئِمَّةُ، وَقَدِ احْتَجَّا بِجَمِيعِ رُوَاتِهِ، ثُمَّ لَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلاَ أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً.

وَهَدَاهُمْ، فَأَصَابَتِ الْفِطْرَةُ مِنْهُ حَظَّهَا، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَسْتَقِلَّ بِتَمَامِهِ وَكَمَالِهِ أَكْمَلَهُ لَهُمْ، وَأَتَمَّهُ بِالْوَحْيِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالنُّورِ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ، فَأَدْرَكَتْهُ الْفِطْرَةُ بِذَلِكَ النُّورِ السَّابِقِ الَّذِي حَصَلَ لَهَا يَوْمَ إِلْقَاءِ النُّورِ، فَانْضَافَ نُورُ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ إِلَى نُورِ الْفِطْرَةِ، نُورٌ عَلَى نُورٍ، فَأَشْرَقَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْوُجُوهُ، وَحَيِيَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ، وَأَذْعَنَتْ بِهِ الْجَوَارِحُ لِلطَّاعَاتِ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا، فَازْدَادَتْ بِهِ الْقُلُوبُ حَيَاةً إِلَى حَيَاتِهَا. ثُمَّ دَلَّهَا ذَلِكَ النُّورُ عَلَى نُورٍ آخَرَ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وأَجَلُّ، وَهُوَ نُورُ الصِّفَاتِ الْعُلْيَا الَّذِي يَضْمَحِلُّ فِيهِ كُلُّ نُورٍ سِوَاهُ، فَشَاهَدَتْهُ بِبَصَائِرِ الْإِيمَانِ مُشَاهَدَةً نِسْبَتُهَا إِلَى الْقَلْبِ نِسْبَةَ الْمَرئِيَّاتِ إِلَى الْعَيْنِ؛ وَذَلِكَ لِاسْتِيلَاءِ الْيَقِينِ عَلَيْهَا، وَانْكِشَافِ حَقائِقِ الْإِيمَانِ لَهَا، حَتَّى كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَارِزًا، وَإِلَى اسْتِوَائِهِ عَلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِه، وَكَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُدَبِّرُ أَمْرَ الْمَمَالِكِ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَقْضِي وَيُنَفِّذُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيُداوِلُ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُقَلِّبُ الدُّوَلَ، فَيَذْهَبُ بِدَوْلَةٍ، وَيَأْتِي بِأُخْرَى.

وَالرُّسُلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنَ صَاعِدٍ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، وَنَازِلٍ مِنْ عِنْدِهِ بِهِ، وَأَوَامِرُهُ وَمَرَاسِيمُهُ مُتَعَاقِبَةٌ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَوْقَاتِ، نَافِذَةٌ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ كَمَا شَاءَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَشَاءُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَشَاءُ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَلَا تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ، وَأَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ نَافِذٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا، وفِي الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا وَمَا تَحْتَهَا، وَفِي الْبِحَارِ وَالْجَوِّ، وَفِي سَائِرِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ وَذَرَّاتِهِ، يُقَلِّبُهَا وَيُصَرِّفُهَا،

وَيُحْدِثُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَحِكْمَةً، وَوَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتِ، فَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ. بَلْ يَسْمَعُ ضَجِيجَهَا بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا عَلَى تَفَنُّنِ حَاجَاتِهَا، فَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ ذَوِي الْحَاجَاتِ. وَأَحَاطَ بَصَرُهُ بِجَمِيعِ الْمَرْئِيَّاتِ، فَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، فَالْغَيْبُ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ، فَالسِّرُّ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ الْعَبْدِ، وَخَطَرَ بِقَلْبِهِ، وَلَمْ تَتَحَرَّكْ بِهِ شَفَتَاهُ، وَأَخْفَى مِنْهُ مَا لَمْ يَخْطرْ بِقَلْبِهِ بَعْدُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَخْطرُ بِقَلْبِهِ كَذَا وَكَذَا فِي وَقْتِ كَذَا وَكَذَا.

وَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَلَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، ولَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَلَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، شَمَلَتْ قَدْرَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَعَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى كُلِّ حَيٍّ.

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٩].

يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيُفَرِّج هَمًّا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَيُغْنِي فَقِيرًا، وَيُعَلِّمُ جَاهِلًا، وَيَهْدِي ضَالًّا، وَيُرْشِدُ حَيْرَانًا، وَيُغِيثُ لَهْفَانًا، وَيَفُكُّ عَانِيًا، وَيُشْبِعُ جَائِعًا، وَيَكْسُو عَارِيًا، وَيَشْفِي مَرِيضًا، وَيُعَافِي مُبْتَلًى، وَيَقْبَلُ تَائِبًا، وَيَجْزِي مُحْسِنًا، وَيَنْصُرُ مَظْلُومًا، وَيَقْصِمُ جَبَّارًا، وَيُقِيلُ عَثْرَةً، وَيَسْتُرُ عَوْرَةً، وَيُؤَمِّنُ رَوْعَةً، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ.

لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

يَمِينُهُ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا [لَا تُنْقِصُهَا] نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ(١) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ.

قُلُوبُ الْعِبَادِ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ، وَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، يَقْبِضُ سَمَوَاتِهِ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَأَنَا الَّذِي أُعِيدُهَا كَمَا بَدَأْتُهَا. لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، وَلَا حَاجَةٌ يُسْأَلُهَا أَنْ يُعْطِيَهَا.

لَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ، وَأَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَحَيَّهُمْ وَمَيِّتَهُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَحَيَّهُمْ وَمَيِّتَهُمْ، وَرَطِبَهُمْ وَيَابِسَهُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُوهُ فَأَعْطَى كُلًّا مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

وَلَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْأَرْضِ كُلَّهَا ـ مِنْ حِينِ وُجِدَتْ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا ـ

(١) سحاء: دائمة الصب والهطل بالعطاء. [النهاية في غريب الحديث: مادة: سحح].

أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرُ ـ وَرَاءَهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ تَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ ـ مِدَادٌ، فَكُتِبَ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَذَلِكَ الْمِدَادُ، لَفَنِيتِ الْأَقْلَامُ وَنَفِدَ الْمِدَادُ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَكَيْفَ تَفْنَى كَلِمَاتُهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَهِيَ لَا بِدَايَةَ لَهَا وَلَا نِهَايَةَ؟! والْمَخْلُوقُ لَهُ بِدَايَةٌ ونِهَايَةٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْفَنَاءِ وَالنَّفَادِ، وَكَيْفَ يُفْنِي الْمَخْلُوقُ غَيْرَ الْمَخْلُوقِ؟!

هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ. تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَوْلَى مَنْ شُكِرَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَعْفَى مَنْ قَدِرَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَعْدَلُ مَنِ انْتَقَمَ. حُكْمُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَعَفْوُهُ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَمَغْفِرَتُهُ عَنْ عِزَّتِهِ، وَمَنْعُهُ عَنْ حِكْمَتِهِ، وَمُوَالَاتُهُ عَنْ إِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ.

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْفَرْدُ فَلَا نِدَّ لَهُ، وَالْغَنِيُّ فَلَا ظَهِيرَ لَهُ، وَالصَّمَدُ فَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَالْعَلِيُّ فَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، وَكُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ إِلَّا مُلْكُهُ، وَكُلُّ ظِلٍّ قَالِصٌ إِلَّا ظِلُّهُ، وَكُلُّ فَضْلٍ مُنْقَطِعٌ إِلَّا فَضْلُهُ. لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ. يُطَاعُ فَيَشْكُرُ، وَيُعْصَى فَيَتَجَاوَزُ وَيَغْفِرُ. كُلُّ نقمةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ. أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَى حَفِيظٍ، حَالَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي، ونَسَخَ الْآثَارَ، وَكَتَبَ الْآجَالَ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالْغَيْبُ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ. عَطَاؤُهُ كَلَامٌ، وَعَذَابُهُ كَلَامٌ. ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

فَإِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْقَلْبِ أَنْوَارُ هَذِهِ الصِّفَاتِ اضْمَحَلَّ عِنْدَهَا كُلُّ نُورٍ، وَوَرَاءَ هَذَا مَا لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، وَلَا تَنَالُهُ عِبَارَةٌ. انتهى.

«الْغَايَةُ الَّتِي لَا غَايَةَ وَرَاءَهَا وَلَا نَهَاية بَعْدَهَا الْفَنَاءُ فِي تَوْحِيدِ الإلَهِيَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَفْنَى بِمَحَبَّةِ رَبِّهِ عَنْ مَحَبَّةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَبِتَأَلُّهِهِ عَنْ تَأَلُّهِ مَا سِوَاهُ، وَبِالشَّوْقِ إِلَيْهِ وَإِلَى لَقَائِهِ عَنِ الشَّوْقِ إلى مَا سِوَاهُ، وَبِالذُّلِّ لَهُ، وَالْفَقْرِ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مَعْبُودَهُ وإِلَهَهُ وَمَحْبُوبَهُ عَنِ الذُّلِّ وَالْفَقْرِ إلى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكَذَلِكَ يَفْنَى بِخَوْفِهِ وَرَجائِهِ عَنْ خَوْفِ مَا سِوَاهُ وَرَجائِهِ، فَيَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ مَا يَصْلُحُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ»(١).

وَقَالَ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٣/ ٥٩ ط. المجمع):

«مَشْهَدُ التَّوْحِيدِ وَهُوَ أَجَلُّ الْمَشَاهِدِ وَأَرْفَعُهَا. فَإِذَا امْتَلأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَمُعَامَلَتِهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ وَابْتَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّهِ وَالْأُنْسِ بِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ. وَسَكَنَ إِلَيْهِ. وَاشْتَاقَ إِلَى لِقَائِهِ، وَاتَّخَذَهُ وَلِيًّا دُونَ مَا سِوَاهُ، بِحَيْثُ فَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَهُ كُلَّهَا. وَرَضِيَ بِهِ وَبِأَقْضِيَتِهِ. وَفَنِيَ بِحُبِّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَذِكْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ: فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مُتَّسَعٌ لِشُهُودِ أَذَى النَّاسِ لَهُ أَلْبَتَّةَ. فَضْلًا عَنْ أَنْ يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ وَسِرُّهُ بِتَطَلُّبِ الانْتِقَامِ وَالْمُقَابَلَةِ. فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ مَا يُغْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ وَيُعَوِّضُهُ مِنْهُ. فَهُوَ قَلْبٌ جَائِعٌ غَيْرُ شَبْعَانَ. فَإِذَا رَأَى أَيَّ طَعَامٍ رَآهُ هَفَتْ إِلَيْهِ نَوَازِعُهُ. وَانْبَعَثَتْ إِلَيْهِ دَوَاعِيهِ. وَأَمَّا مَنِ امْتَلَا قَلْبُهُ بِأَعْلَى الْأَغْذِيَةِ وَأَشْرَفِهَا فَإِنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا دُونَهَا.

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٦٠ ط. المجمع).

وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». انتهى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١).

فَقَضَاءُ اللهِ نَافِذٌ لَا مَحَالَةَ؛ عَلَى مَنْ يَقْبَلُهُ وَمَنْ يَرْفُضُهُ، لَكِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، فَهَذَا يُؤْجَرُ وَيَسْعَدُ، وَهَذَا يَأْثَمُ وَيَشْقَى.

فَارْضَ عَنْ رَبِّكَ – أَيُّهَا الْعَبْدُ – وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم رَسُولًا**»(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/ ٥١ ط. المجمع):

«الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا السَّالِكُونَ، وَأَمَّهَا الْقَاصِدُونَ، وَلَحَظَ إِلَيْهَا الْعَامِلُونَ. هُوَ مَشْهَدُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالِابْتِهَاجِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِهِ، فَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦) وغيرهما. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣)، وأحمد (١٧٧٨، ١٧٧٩) وغيرهم.

جَوَارِحُهُ وَيَسْتَوْلِي ذِكْرُهُ عَلَى لِسَانِ مُحِبِّهِ وَقَلْبِهِ، فَتَصِيرُ خَطَرَاتُ الْمَحَبَّةِ مَكَانَ خَطَرَاتِ الْمَعْصِيَةِ، وَإِرَادَةُ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَمَرْضَاتِهِ مَكَانَ إِرَادَةِ مَعَاصِيهِ وَمَسَاخِطِهِ، وَحَرَكَاتُ اللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ بِالطَّاعَاتِ مَكَانَ حَرَكَاتِهَا بِالْمَعَاصِي، قَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَلَهَجَ لِسَانُهُ بِذِكْرِهِ، وَانْقَادَتِ الْجَوَارِحُ لِطَاعَتِهِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ فِي مَصَايِدِ الشَّيْطَانِ»** (٢/٩٤٤-٩٥٠ ط. المجمع): «مَحَبَّةُ اللهِ سَبْحَانَهُ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالرِّضَى بِهِ وَعَنْهُ: أَصْلُ الدِّينِ، وَأَصْلُ أَعْمَالِهِ وَإِرَادَتِهِ، كَمَا أَنَّ مَعْرِفَتَهُ وَالْعِلْمَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَجَلُّ عُلُومِ الدِّينِ كُلِّهَا. فَمَعْرِفَتُهُ أَجَلُّ الْمَعَارِفِ، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ أَجَلُّ الْمَقَاصِدِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَدْحُهُ وَتَمْجِيدُهُ أَشْرَفُ الْأَقْوَالِ، وَذَلِكَ أَسَاسُ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ [ﷺ]: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٣].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي أَصْحَابَهُ إِذَا أَصْبَحُوا أَنْ يَقُولُوا «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ** [ﷺ]**، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»(١).

وَذَلِكَ هُوَ حَقِيقَةُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَعَلَيْهَا قَامَ دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي هُوَ دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَلَيْسَ لِلهِ دِينٌ سِوَاهُ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٥٣٦٠، ١٥٣٦٣، ١٥٣٦٤، ١٥٣٦٧)، والنسائي في «الكبرى»(٩٧٤٣-٩٧٤٦)، وابن أبي شيبة(٣١٢٤٥ تحقيق الشثري)، والدارمي (٢٧٣٠)، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٤) مِن حديث عبد الرحمن بن أبْزى رضي الله عنه.

أحَدٍ دِينًا غَيْرَهُ. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

فَمَحَبَّتُهُ تعالَى، بَلْ كَوْنُهُ أحَبَّ إلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ عَلَى الْإطْلَاقِ، مِنْ أعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ، وَأكْبَرِ أصُولِهِ، وَأجَلِّ قَوَاعِدِهِ، وَمَنْ أحَبَّ مَعَهُ مَخْلُوقًا مِثْلَ مَا يُحِبُّهُ، فَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ، وَلَا يُقْبَلُ مَعَهُ عَمَلٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وَإذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يَكُونُ مِنْ أهْلِ الْإيمَانِ حَتَّى يَكُونَ [عَبْدُ] اللهِ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، وَمَحَبَّتُهُ تَبَعٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ، فَمَا الظَّنُّ بِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ؟! وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقِ الْجِنَّ وَالْإنْسَ إلَّا لِعِبَادَتِهِ، الَّتِي تَتَضَمَّنُ كَمَالَ تَعْظِيمِهِ وَالذُّلَّ لَهُ، وَلِأجْلِ ذَلِكَ أرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ. وَعَلَى ذَلِكَ وُضِعَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَأُسِّسَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَانْقَسَمَ النَّاسُ إلَى شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَكَمَا أنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَيْسَ كَمَحَبَّتِهِ وَإجْلَالِهِ مَحَبَّةٌ وَإجْلَالٌ وَمَخَافَةٌ.

فَالْمَخْلُوقُ كُلَّمَا خِفْتَهُ اسْتَوْحَشْتَ مِنْهُ، وَهَرَبْتَ مِنْهُ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ كُلَّمَا خِفْتَهُ أنِسْتَ بِهِ وَفَرَرْتَ إلَيْهِ. وَالْمَخْلُوقُ يُخَافُ ظُلْمُهُ وَعُدْوَانُهُ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ إنَّمَا يُخَافُ عَدْلُهُ وَقِسْطُهُ.

وَكَذَلِكَ الْمَحَبَّةُ فَإنَّ مَحَبَّةَ الْمَخْلُوقِ إذَا لَمْ تَكُنْ لِلّٰهِ فَهِيَ عَذَابٌ لِلمُحِبِّ وَوَبَالٌ عَلَيْهِ، وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِهَا مِنَ التَّألُّمِ أعْظَمُ مِمَّا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ.

وَكُلَّمَا كَانَتْ أَبْعَدِ عَنِ اللهِ كَانَ أَلَمُهَا وَعَذَابُهَا أَعْظَم.

هَذَا إِلَى مَا فِي مَحَبَّتِهِ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْكَ، وَالتَّجَنِّي عَلَيْكَ، وَعَدَمِ الْوَفَاءِ لَكَ، إِمَّا لِمُزَاحَمَةِ غَيْرِكَ مِنَ الْمُحِبِّينَ لَهُ، وَإِمَّا لِكَرَاهَتِهِ وَمُعَادَاتِهِ لَكَ، وَإِمَّا لِاشْتِغَالِهِ عَنْكَ بِمصَالِحِهِ، وَمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ، وَإِمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ.

وَأَمَّا مَحَبَّةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ فَشَأْنُهَا غَيْرُ هَذَا الشَّأْنِ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ خَالِقِهَا وَفَاطِرِهَا، فَهُوَ إِلَهُهَا وَمَعْبُودُهَا، وَوَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، وَرَبُّهَا وَمُدَبِّرُهَا وَرَازِقُهَا، وَمُمِيتُهَا وَمُحْيِيهَا. فَمَحَبَّتُهُ نَعِيمُ النُّفُوسِ، وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، وَسُرُورُ النُّفُوسِ، وَقُوتُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْعُقُولِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَعِمَارَةُ الْبَاطِنِ فَلَيْسَ عِنْدَ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ، وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ، وَالْعُقُولِ الزَّاكِيَةِ أَحْلَى، وَلَا أَلَذَّ، وَلَا أَطْيَبَ، وَلَا أَسَرَّ، وَلَا أَنْعَمَ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْحَلَاوَةُ الَّتِي يَجِدُهَا الْمُؤْمِنُ فِي قَلْبِهِ بِذَلِكَ فَوْقَ كُلِّ حَلَاوَةٍ، وَالنَّعِيمُ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ أَتَمُّ مِنْ كُلِّ نَعِيمٍ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي تَنَالُهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ. وَوَجْدُ هَذِهِ الْأُمُورِ وَذَوْقُهَا هُوَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ وَضَعْفِهَا، وَبِحَسَبِ إِدْرَاكِ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ أَكْمَلَ، وَإِدْرَاكُ الْمَحْبُوبِ أَتَمَّ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ أَوْفَرَ، كَانَتِ الْحَلَاوَةُ وَاللَّذَّةُ وَالسُّرُورُ وَالنَّعِيمُ أَقْوَى.

فَمَنْ كَانَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ أَعْرَفَ، وَفِيهِ أَرْغَبَ، وَلَهُ أَحَبَّ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ وَجَدَ مِنْ هَذِهِ الْحَلَاوَةِ فِي قَلْبِهِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالذَّوْقِ وَالْوجْدِ، وَمَتَى ذَاقَ الْقَلْبُ ذَلِكَ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ حُبًّا لِغَيْرِهِ، وَلَا أُنْسًا بِهِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ حُبًّا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً وَذُلًّا، وَخُضُوعًا

وَرِقًّا لَهُ، وَحُرِّيَّةً عَنْ رِقِّ غَيْرِهِ. فَالْقَلْبُ لَا يُفْلِحُ، وَلَا يَصْلُحُ، وَلَا يَتَنَعَّمُ، وَلَا يَبْتَهِجُ، وَلَا يَلْتَذُّ، وَلَا يَطْمَئِنُّ، وَلَا يَسْكُنُ، إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَحُبِّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ جَمِيعُ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهَا، بلْ لَا تَزِيدُهُ إِلَّا فَاقَةً وَقَلَقًا، حَتَّى يَظْفَرَ بمَا خُلِقَ لَهُ، وَهُيِّئَ لَهُ: مِنْ كَوْنِ اللهِ وَحْدَهُ نِهَايَةَ مُرَادِهِ، وَغَايَةَ مَطالِبِهِ. فَإِنَّ فِيهِ فَقْرًا ذَاتِيًّا إِلَى رَبِّهِ وَإِلَهِهِ، مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ وَمَحْبُوبُهُ وَإِلَهُهُ وَمَطْلُوبُهُ، كَمَا أَنَّ فِيهِ فَقْرًا ذَاتِيًّا إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ. وَكُلَّمَا تَمَكَّنَتْ مَحَبَّةُ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ وَقَوِيَتْ فِيهِ أَخْرَجَتْ مِنْهُ تَأَلُّهَهُ لِمَا سِوَاهُ وَعَبُودِيَّتَهُ لَهُ.

وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ لِلهِ تَعَالَى. وَطُمَأْنِينَةٌ بِذِكْرِهِ، وَتَنَعُّمٌ بِمَعْرِفَتِهِ، وَلَذَّةٌ وَسُرُورٌ بِذِكْرِهِ، وَشَوْقٌ إِلَى لِقَائِهِ، وَأُنْسٌ بِقُرْبِهِ، وَإِنْ لَمْ يُحِسَّ بِهِ ؛ لِاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِغَيْرِهُ، وَانصِرَافِهِ إِلَى مَا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، فَوُجُودُ الشَّيْءِ غَيْرُ الْإِحْسَاسِ وَالشُّعُورِ بِهِ. وَقَوَّةُ ذَلِكَ وَضَعْفُهُ، وَزِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ هُوَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِهِ، وَزَيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ. وَمَتَى لَمْ يَكُنِ اللهُ وَحْدَهُ غَايَةَ مُرَادِ الْعَبْدِ وَنَهَايَةَ مَقْصُودِهِ، وَهُوَ الْمُحْبُوبُ الْمُرَادُ لَهُ بِالذَّاتِ وَالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيُرِيدُهُ وَيَطْلُبُهُ تَبَعًا لِأَجْلِهِ، لَمْ يَكُنْ قَدْ حَقَّقَ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالشِّرْكِ بِقَدْرِهِ، وَلَهُ مِنْ مُوجِبَاتِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ وَالْعَذَابِ بِحَسَبِ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَوْ سَعَى فِي هَذَا الْمَطْلُوبِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَاسْتَفْتَحَ مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ فِي حُصُولِهِ، مُتَيَقِّنًا أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِتَوْفِيقِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَإِعَانَتِهِ، لَا طَرِيقَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَطْلُوبُهُ؛ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. فَلَا يُوَصِّلُ

إِلَيْهِ سِوَاهُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَلَا يُعْبَدُ إِلَّا بِإِعَانَتِهِ، وَلَا يُطَاعُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير: ٢٨ – ٢٩].

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا، فَالْعَبْدُ فِي حَالِ مَعْصِيَتِهِ وَاشْتِغَالِهِ عَنْهُ بِشَهْوَتِهِ وَلَذَّتِهِ، تَكُونُ تِلْكَ اللَّذَّةُ وَالْحَلَاوَةُ الْإِيمَانِيَّةُ قَدِ اسْتَتَرَتْ عَنْهُ وَتَوَارَتْ، أَوْ نَقَصَتْ، أَوْ ذَهَبَتْ. فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً كَامِلَةً لَمَا قَدَّمَ عَلَيْهَا لَذَّةً وَشَهْوَةً، لَا نِسْبَةَ بَيْنَهَا بِوَجْهٍ مَا، بَلْ هِيَ أَدْنَى مِنْ حَبَّةِ خَرْدَلٍ بَالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

فَإِنَّ ذَوْقَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَمُبَاشَرَتَهُ لِقَلْبِهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْخَسِيسُ، وَيَنْهَاهُ عَمَّا يُشَعِّثُهُ وَيُنْقِصُهُ.

وَلِهَذَا تَجِدُ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ مُنِيبًا إِلَيْهِ، مُطْمَئِنًّا بِذِكْرِهِ، مُشْتَاقًا إِلَى لِقَائِهِ مُنْصَرِفًا عَنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَلَا يُعَوِّلُ عَلَيْهَا، وَيَرَى اسْتِبْدَالَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ فِيهِ كَاسْتِبْدَالِ الْبَعْرَ الْخَسِيسَ بِالْجَوْهَرِ النَّفِيسِ، وَبَيْعِهِ الذَّهَبَ بِأَعْقَابِ الجَزَرِ، وَبَيْعِهِ الْمِسْكَ بِالرَّجِيعِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والنسائي (٤٨٧٠، ٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٥٦٥٩، ٥٦٦٠)، والترمذي (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، وأحمد (٧٣١٨، ٨٢٠٢، ٨٨٩٥، ٩٠٠٧، ١٠٢١٦) وغيرهم مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، إِنَّمَا يَصْبُو إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ، وَيَمِيلُ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُ، يَنْفِرُ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَاللَّذَاتِ الْكَامِلَةِ، كَمَا يَنْفِرُ الجُعَلُ مِنْ رَائِحَةِ الْوَرْدِ. وَشَاهَدْنَا مَنْ يُمْسِكُ بِأَنْفِهِ عِنْدَ وُجُودِ الْمِسْكِ وَيَتَكَرَّهُ بِهَا، لِمَا يَنَالُهُ بِهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ.

فَمَنْ خُلِقَ لِلْعَمَلِ فِي الدِّبَاغَةِ لَا يَجِيءُ مِنْهُ الْعَمَلُ فِي صِنَاعَةِ الطِّيبِ، وَلَا يَلِيقُ، وَلَا يَتَأَتَّى مِنْهُ. وَالنَّفْسُ لَا تَتْرُكُ مَحْبُوبًا إِلَّا لِمَحْبُوبٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا مِنْهُ، أَوْ لِلْخَوْفِ مِنْ مَكْرُوهٍ هُوَ أَشَقُّ عَلَيْهَا مِنْ فَوَاتِ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ.

فَالذَّنْبُ يُعْدَمُ لِعَدَمِ الْمُقْتَضِي لَهُ تَارَةً، وَلِاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَلِوُجُودِ الْمَانِعِ تَارَةً، وَمِنْ خَوْفِ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهُ تَارَةً.

فَالْأَوَّلُ: حَالُ مَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ ذَوْقِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِهِ وَالتَّنَعُّمِ بِهِ، مَا عَوَّضَ قَلْبَهُ عَنْ مَيْلِهِ إِلَى الذُّنُوبِ.

وَالثَّانِي: حَالُ مَنْ عِنْدَهُ دَاعٍ وَإِرَادَةٌ لَهَا، وَعِنْدَهُ إِيمَانٌ وَتَصْدِيقٌ بِوَعْدِ اللهِ تَعَالَى وَوَعِيدِهِ، فَهُوَ يَخَافُ إِنْ وَاقَعَهَا أَنْ يَقَعَ فِيمَا هُوَ أَكْرَهُ إِلَيْهِ، وَأَشَقُّ عَلَيْهِ.

فَالْأَوَّلُ لِلنُّفُوسِ الْمُطْمَئِنَّةِ إِلَى رَبِّهَا. وَالثَّانِي لِأَهْلِ الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ.

وَهَاتَانِ النَّفْسَانِ هُمَا الْمَخْصُوصَتَانِ بِالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي النَّفْسِ الْأُولَى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [سورة الفجر: ٢٧ — ٣٠].

وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟

ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة النحل: ١١٠].

فَالنُّفُوسُ ثَلَاثَةٌ: نَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ إِلَى رَبِّهَا. وَهِيَ أَشْرَفُ النُّفُوسِ وَأَزْكَاهَا.

وَنَفْسٌ مُجَاهِدَةٌ صَابِرَةٌ.

وَنَفْسٌ مَفْتُونَةٌ بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى، وَهِيَ النَّفْسُ الشَّقِيَّةُ، الَّتِي حَظُّهَا الْأَلَمُ وَالْعَذَابُ، وَالْبُعْدُ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَالْحِجَابُ».

وَقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٣ /٣٦٥ ط. المجمع):

مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا يَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ.وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ. وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ. وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهَا. وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا وَتُبَوِّؤُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا. انتهى.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «زَادِ الْمَعَادِ» (٢/٢٥)، و (٢/٢٩ –٣٠** ط. المجمع):

الْإِنَابَةُ إِلَى اللهِ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى]، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالتَّنَعّمُ بِعِبَادَتِهِ، فَلَا شَيْءَ أَشْرَحُ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ. حَتّى إِنَّهُ لَيَقُولُ

أَحْيَانًا: إنْ كُنْتُ فِي الْجَنّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، فَإِنّي إذًا فِي عَيْشٍ طَيّبٍ.

وَلِلْمَحَبّةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصّدْرِ، وَطِيبِ النّفْسِ، وَنَعِيمُ الْقَلْبِ، لَا يَعْرِفُهُ إلّا مَنْ لَهُ حِسٌّ بِهِ، وَكُلّمَا كَانَتْ الْمَحَبّةُ أَقْوَى وَأَشَدَّ، كَانَ الصّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ، وَلَا يَضِيقُ إلّا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَطَّالِينَ الْفَارِغِينَ مِنْ هَذَا الشّأْنِ، فَرُؤْيَتُهُمْ قَذَى عَيْنِهِ، وَمُخَالَطَتُهُمْ حُمَّى رُوحِهِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصّدْرِ الْإِعْرَاضُ عَنِ اللهِ [تَعَالَى]، وَتَعَلّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَمَحَبّةُ سِوَاهُ؛ فَإِنّ مَنْ أَحَبّ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ عُذّبَ بِهِ، وَسُجِنَ قَلْبُهُ فِي مَحَبّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْهُ، وَلَا أَكْسَفَ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا، وَلَا أَتْعَبُ قَلْبًا.

فَهُمَا مَحَبّتَانِ، مَحَبّةٌ هِيَ جَنّةُ الدّنْيَا، وَسُرُورُ النّفْسِ، وَلَذّةُ الْقَلْبِ، وَنَعِيمُ الرّوحِ وَغِذَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا، بَلْ حَيَاتُهَا وَقُرّةُ عَيْنِهَا، وَهِيَ مَحَبَّةُ اللهِ وَحْدَهُ بِكُلّ الْقَلْبِ، وَانْجِذَابُ قُوَى الْمَيْلِ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْمَحَبّةُ كُلّهَا إلَيْهِ.

وَمَحَبّةٌ هِيَ عَذَابُ الرُّوحِ، وَغَمُّ النّفْسِ، وَسِجْنُ الْقَلْبِ، وَضِيقُ الصّدْرِ، وَهِيَ سَبَبُ الْأَلَمِ وَالنّكَدِ وَالْعَنَاءِ، وَهِيَ مَحَبّةُ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ.

« صَاحِبُ هَذِهِ الْحَالَةِ مُسْتَرِيحُ النَّفْسِ، سَاكِنُ الْبَالِ، مُجْتَمِعُ الشَّمْلِ، فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا، مُتَوَحّدُ الْوِجْهَةِ، فَهُوَ بِذَلِكَ طَيّبُ الْمَحْيَا، مُجَازًى فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل: ٩٧](١)».

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ» ص (٥٤٩ ط. المجمع):

---

(١) الموافقات للشاطبي (١/ ٣٤٩ ط. دار ابن عفان)، و(٢ / ٥٢٢ ط. المغربية).

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ (أيْ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) هِيَ الَّتِي تُنَوِّرُ الْوَجْهَ، وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَتُحْيِي الْقَلْبَ، وَكَذِلِكَ مَحَبَّةُ كَلَامِ اللهِ، فَإِنَّهُ مِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّةِ اللهِ.

وقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– **في «طَرِيقِ الْهِجْرَتَيْنِ» ص (١١٩ ط. المجمع):**

الْعَبْدُ لَا فَرَحَ لَهُ أَعْظَمُ مِنْ فَرَحِهِ بِوُجُودِ رَبِّهِ، وَأُنْسِهِ بِهِ، وَطَاعَتِهِ لَهُ، وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ، وَطُمَأْنِينَتِهِ بِذِكْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِهِ بِمَعْرِفَتِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ. فَلَيْسَ فِي الْكَائِنَاتِ مَا يَسْكُنُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ، وَيَتَنَعَّمُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ وَأَحَبَّهُ- وَإِنْ حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ مِنَ اللَّذَّةِ وَالمَوَدَّةِ وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِوُجُودِهِ- فَفَسَادُهُ بِهِ وَمَضَرَّتُهُ وَعَطَبُهُ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ أَكْلِ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ اللَّذِيذِ الشَّهِيِّ، الَّذِي هُوَ عَذْبٌ فِي مَبْدَئِهِ، وَعَذَابٌ فِي نِهَايَتِهِ.

فَإِنَّ قِوَامَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلِيقَةِ بِأَنْ تَأْلَهَ الْإِلَهَ الْحَقَّ، فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ أُخَرُ غَيْرَ اللهِ لَمْ يَكُنْ إِلَهًا حَقًّا، إِذِ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، فَلَوْ تَأَلَّهَتْ غَيْرَهُ لَفَسَدَتْ كُلَّ الْفَسَادِ بِانْتِفَاءِ مَا بِهِ صَلَاحُهَا، إِذْ صَلَاحُهَا بِتَأَلُّهِ الْإِلَهِ الْحَقِّ.

ثُمَّ قالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ص (١٢٠-١٢١):

اعْلَمْ أَنَّ حَاجَةَ الْعَبْدِ إِلَى أَنْ يَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا فِي مَحَبَّتِهِ، وَلَا فِي خَوْفِهِ، وَلَا فِي رَجَائِهِ، وَلَا فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَلَا فِي الْعَمَلِ لَهُ، وَلَا فِي الْحَلِفِ بِهِ، وَلَا فِي النَّذْرِ لَهُ، وَلَا فِي الْخُضُوعِ لَهُ، وَلَا فِي التَّذَلُّلِ وَالتَّعْظِيمِ وَالسُّجُودِ وَالتَّقَرُّبِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَةِ الْجَسَدِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا. بَلْ لَيْسَ لِهَذِهِ الْحَاجَةِ نَظِيرٌ تُقَاسُ بِهِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْعَبْدِ قَلْبُهُ

وَرُوحُهُ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا إِلَّا بِإِلَهِهَا الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَلَا تَطْمَئِنُّ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَهِيَ كَادِحَةٌ إِلَيْهِ كَدْحًا فَمُلَاقِيَتُهُ، وَلَابُدَّ لَهَا مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا إِلَّا بِمَحَبَّتِهَا وَعُبُودِيَّتِهَا لَهُ، وَرِضَاهُ وَإِكْرَامُهُ لَهَا. وَلَوْ حَصَلَ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالسُّرُورِ بِغَيْرِ اللهِ مَا حَصَلَ لَمْ يَدُمْ لَهُ ذَلِكَ. بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ، وَمِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ، وَيَتَنَعَّمُ بِهَذَا فِي وَقْتٍ ثُمَّ يَتَعَذَّبُ بِهِ وَلَابُدَّ فِي وَقْتٍ آخَرَ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يَتَنَعَّمُ بِهِ وَيَلْتَذُّ بِهِ غَيْرَ مُنْعِمٍ لَهُ وَلَا مُلِذٍّ، بَلْ قَدْ يُؤْذِيهِ اتِّصَالُهُ بِهِ، وَوُجُودُهُ عِنْدَهُ، وَيَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَإِنَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِمُلَابَسَتِهِ مِنْ جِنْسِ مَا يَحْصُلُ لِلْجَرَبِ مِنْ لَذَّةِ الْأَظْفَارِ الَّتِي تَحُكُّه، فَهِيَ تُدْمِي الجِلْدَ وَتُحْرِقُهُ وَتَزِيدُ فِي ضَرَرِهِ، وَهُوَ يُؤْثِرُ ذَلِكَ لِمَا لَهُ فِي حَكِّهَا مِنَ اللَّذَّةِ، وَهَكَذَا مَا يَتَعَذَّبُ بِهِ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّةِ غَيْرِ اللهِ، هُوَ عَذَابٌ عَلَيْهِ وَمَضَرَّةٌ وَأَلَمٌ فِي الحَقِيقَةِ، لَا تَزِيدُ لَذَّتُهُ عَلَى لَذَّةِ حَكِّ الجَرَبِ، وَالْعَاقِلُ يُوَازِنُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَيُؤْثِرُ أَرْجَحَهُمَا وَأَنْفَعَهُمَا، والله الْمُوَفِّقُ الْمُعِينُ، وَلَهُ الحُجَّةُ الْبَالِغَةُ كَمَا لَهُ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ إِلَهَ الْعَبْدِ الَّذِي لَابُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَكُلِّ دَقِيقَةٍ وَكُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ فَهُوَ الْإِلَهُ الحَقُّ الَّذِي كُلُّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ، الَّذِي أَيْنَمَا كَانَ فَهُوَ مَعَهُ، وَضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ وَحَاجَتُهُ إِلَيْهِ لَا تُشْبِهُهَا ضَرُورَةٌ وَلَا حَاجَةٌ، بل هِيَ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ. انتهى.

«كُلُّ مُرَادٍ إِنْ لَمْ يُرَدْ لِأَجْلِهِ [سُبْحَانَهُ] وَيَتَّصِلْ بِهِ فَهُوَ مُضْمَحِلٌّ مُنْقَطِعٌ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى وَلَيْسَ الْمُنْتَهَى إِلَّا إِلَى الَّذِي انْتَهَت إِلَيْهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، فَانْتَهَتْ إِلَى خَلْقِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ؛ فَهُوَ غَايَةُ كُلِّ مَطْلُوبٍ، وَكُلُّ مَحْبُوبٍ لَا يُحَبُّ لِأَجْلِهِ فَمَحَبَّتُهُ عَنَاءٌ وَعَذَابٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ لِأَجْلِهِ

فَهُوَ ضَائِعٌ وَبَاطِلٌ، وَكُلُّ قَلْبٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهُوَ شَقِيٌّ مَحْجُوبٌ عَنْ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ. فَلَيْسَ وَرَاءَهَ سُبْحَانَهُ غَايَةٌ تُطْلَبُ، وَلَيْسَ دُونَهُ غَايَةٌ إِلَيْهَا الْمُنْتَهَى. وَتَحْتَ هَذَا سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ إِلَّا بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِمَّا يُحَبُّ وَيُرَادُ فَمُرَادٌ لِغَيْرِهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ إِلَّا وَاحِدٌ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَهَى إِلَى اثْنَيْنِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاء الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ اثْنَيْنِ.

فَمَنْ كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ وَرَغْبَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ بَطَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَزَالَ عَنْهُ وَفَارَقَهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، وَمن كَانَ انْتِهَاءُ مَحَبَّتِهِ وَرَغْبَتِهِ وَرَهْبَتِهِ وَطَلَبِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ ظَفِرَ بِنَعِيمِهِ وَلَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ وَسَعَادَتِهِ أَبَدَ الْآبَادِ»(١).

وقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ» ص (١١١ ط. المجمع):

فَمَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَتُهُ، وَدَوَامُ ذِكْرِهِ، وَالسُّكُونُ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَيْهِ، وَإِفْرَادُهُ بِالْحُبِّ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْمَعَامَلَةِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَوْلِي عَلَى هُمُومِ الْعَبْدِ وَعَزَمَاتِهِ وَإِرَادَتِهِ، هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ نَعِيمٌ، وَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِ الْمُحِبِينَ، وَحَيَاةُ الْعَارِفِينَ، وَإِنَّمَا تَقَرُّ أَعْيُنُ النَّاسِ بِهِمْ عَلَى حَسَبِ قُرَّةِ أَعْيُنِهِمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، **فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ.** انتهى.

---

(١) الفوائد ص (٢٩٣ ط. المجمع).

وَصَدَقَ سَيِّدُ الْخَلْقِ ﷺ إِذْ قَالَ: « **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (١٠/ ٢١٣)**:

وَإِنَّمَا دِينُ الْحَقِّ هُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ، وَهُوَ تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ اللهِ بِكُلِّ دَرَجَةٍ، وَبِقَدْرِ تَكْمِيلِ الْعُبُودِيَّةِ تَكْمُلُ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَكْمُلُ مَحَبَّةُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ، وَبِقَدْرِ نَقْصِ هَذَا يَكُونُ نَقْصُ هَذَا، وَكُلَّمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ حُبٌّ لِغَيْرِ اللهِ كَانَتْ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اللهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَكُلَّمَا كَانَ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اللهِ كَانَ فِيهِ حُبٌّ لِغَيْرِ اللهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ. وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لَا تَكُونُ لِلَّهِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ.

ثم قَالَ رَحِمَهُ اللهُ **في (١٠/٢١٥)، وفي « الْفَتَاوَى الْكُبْرَى» (٥/٢٠٣)**:

فَإِنَّ الْمُخْلِصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ وَعُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ لِغَيْرِهِ، وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ، إِذْ لَيْسَ عِنْدَ الْقَلْبِ لَا أَحْلَى وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ وَلَا أَلْيَنَ وَلَا أَنْعَمَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ الْمُتَضَمِّنِ عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ، وَمَحَبَّتَهُ لَهُ، وإِخْلَاصَهُ الدِّينَ لَهُ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْجِذَابَ الْقَلْبِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣)، والنسائي (٤٩٨٧– ٤٩٨٩)، والترمذي (٢٦٢٤)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٠٢، ١٢١٢٢، ١٢٧٦٥، ١٢٧٨٣، ١٣١٥١، ١٣١٥٢، ١٣٩١٢، ١٣٩٥٩) وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

إِلَى اللهِ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ مُنِيبًا إِلَى اللهِ، خَائِفًا مِنْهُ، رَاغِبًا، رَاهِبًا.

وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ **في (١٠/١٩٣)، وفي «الْفَتَاوَى الْكُبْرَى» (٥/ ١٨٨):**

فَكلَّمَا ازْدَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلهِ ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً ازْدَادَ لَهُ حُبًّا وَحُرِّيَّةً عَمَّا سِوَاهُ.

وَقَدْ فَقُهَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، عِنْدَمَا قَالَ مُخَاطِبًا: أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ حَرْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ، فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهُ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطَ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ»**(١).

بَلِ الْإِيمَانُ الْيَقِينِيُّ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ يُحَرِّكُ الصَّخْرَ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ:**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧ وأطرافه)، ومسلم (١٧٧٣) وغيرهما من حديث أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بشاشته القلوب: أنسه ولطفه. [مشارق الأنوار للقاضي عياض ١/ ١٠١].

اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ(١) بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالحِلَابِ(٢) فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ(٣) عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ(٤) أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ

---

(١) ناء ونأى: بَعُدَ. [النهاية مادة: ن وأ].

(٢) الحلاب: اللبن الذي يُحلب. [النهاية مادة: ح ل ب].

(٣) يتضاغون: يصيحون ويبكون. [النهاية مادة: ض غ و].

(٤) الفَرَق: مكيال يسع اثني عشر مُدًّا، ومقداره عند الجمهور (٦ كيلو تقريبا). انظر: المكاييل والموازين ص (٤٥).

أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ»(١).

بَلْ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ فِي غَايَةِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَرَاحَةِ الْقَلْبِ وَهُوَ يَبْذُلُ نَفْسَهُ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»**، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»**، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الَانْصَارِيُّ [رضي الله عنه]: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! **قَالَ: «نَعَمْ»**، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟»** قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، **قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»**، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥، ٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣) وغيرهما. وقد خرَّجته، وتكلمتُ على طرقه في كتابنا «**ضوء القمر على مسند ابن عمر**» للإمام الطرسوسيِّ رقم (٨٧) بما قد لا تراه في غير هذا الموضع. والله المستعان.

حَتَّى قُتِلَ»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «**فِي الْجَنَّةِ**» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»(٢).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «**أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ**»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**»(٣).

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي [رضي الله عنه]، وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ هَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ»(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقَالُوا: أَنِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١)، وأحمد (١٢٣٩٧) وغيرهما.
واستدركه الحاكم (٥٩٢٢ ط. دار التأصيل) فوهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩)، والنسائي (٣١٥٤)، وأحمد (١٤٣١٤) وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٨) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٠) وغيرهما.

(٤) أخرجه مسلم(١٩٠٢)، والترمذي(١٦٥٩)، وأحمد(١٩٥٣٨، ١٩٦٨٠) وغيرهم
واستدركه الحاكم (٢٤٢٣ ط. دار التأصيل) فوهم.

ابْعَثْ مَعَنْا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالَ لَهُمْ الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فقَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ [رضي الله عنه] جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ [رضي الله عنهما] حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَةِ بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالَ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمُ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ، فقَالُوا: تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ: أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ [رضي الله عنه]: أَيُّهَا القَوْمُ: أَمَّا أَنَا فَلَا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠١، ٢٨١٤، ٣٠٦٤، ٤٠٩٠، ٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧ كتاب الإمارة ١٤٧) واللفظ له، وغيرهما.

أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ (ابْنُ عَدِيٍّ)، وَزَيْدُ ابْنُ الدَّثِنَةِ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ نَوْفَلٍ خُبَيْبًا، وَكَانَ خُبَيْبٌ [ﷺ] هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسًى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالمُوسَى بِيَدِهِ، قَالَتْ: فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟! مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، قَالَتْ: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ [ﷺ]: دَعُونِي أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسِبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الحَارِثِ، فَكَانَ خُبَيْبٌ [رضي الله عنه] هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا، فَاسْتَجَابَ اللهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ [رضي الله عنه] يَوْمَ أُصِيبَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ -حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ- أَنْ يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ [رضي الله عنه] مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا»(١).

وَهَكَذَا يَبْذُلُ أَهْلُ الْإِيمَانِ -فِي كُلِّ عَصْرٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ- نُفُوسَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُنْشَرِحَةً صُدُورُهُمْ، مُطْمَئِنَّةً قُلُوبُهُمْ، مُرْتَاحَةً ضَمَائِرُهُمْ، لَا يُبَالُونَ بِكَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَلَا مَكْرِ الْمَاكِرِينَ، وَلَا إِفْسَادِ الْمُفْسِدِينَ، وَلَا نِفَاقِ الْمُنَافِقِينَ، وَلَا ظُلْمِ الظَّالِمِين.

فَلَا أَعْظَمَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ باللهِ فِي شَرْحِ الصُّدُورِ، وَإِرَاحَةِ الْقُلُوبِ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

بَلْ هُنَاكَ مَنِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ بِالْمُنَاظَرَةِ حَوْلَ التَّوْحِيدِ:

حَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُونٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ حُمَيْدٍ الْوَزِيرِ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَبْغِيهِ، وَكَانَ يُجِلُّ مُحَمَّدًا وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْبِرُهُ، وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْمُنَاظَرَةَ، وَأَحْضَرَ مَعَهُمْ شَيْخًا قَدِمَ مِنَ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ الْكِسَائِيِّ الصَّغِيرِ، وَكَانَ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَيَذْهَبُ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩، ٤٠٨٦، ٧٤٠٢)، وأحمد (٧٩٢٨، ٨٠٩٦) وغيرهما.

الِاعْتِزَالِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُمَيْدٍ الْوَزِيرُ لِمُحَمَّدٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَشْرِقِ، وَقَدْ تَنَاظَرَ مَعَهُ هَؤُلَاءِ فَنَاظِرْهُ أَنْتَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: تَقُولُ أَيُّهَا الشَّيْخُ أَوْ تَسْمَعُ؟! فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: قُلْ يَا بُنَيَّ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَرَأَيْتَ كُلَّ مَخْلُوقٍ هَلْ يَذِلُّ لِخَالِقِهِ؟! فَسَكَتَ الشَّيْخُ وَلَمْ يَحِرْ جَوَابًا!! وَمَضَى وَقْتٌ طَوِيلٌ وَانْحَصَرَ وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ!!! فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: كَمْ سَنَةً أَتَتْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟! فَقَالَ لَهُ: ثَمَانُونَ سَنَةً. فَقَالَ ابْنُ سَحْنُونٍ لِلْوَزِيرِ ابْنِ حُمَيْدٍ: قَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ مَوْتِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ إِذَا جَاوَزَ السَّنَةَ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَذَا الشَّيْخُ لَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً مَيِّتٌ فِي عِدَادِ الْمَوْتَى فَقَدْ سَقَطَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ بِإِجْمَاعٍ!! ثُمَّ قَامَ!!.

فَسُرَّ بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ حُمَيْدٍ وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ.

فَسُئِلَ ابْنُ سَحْنُونٍ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَعْنَى سُؤَالِهِ هَذَا فَقَالَ: إِنْ قَالَ: إِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَذِلُّ لِخَالِقِهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْقُرْآنَ ذَلِيلًا، لِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤١-٤٢]، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَذِلُّ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَذْهَبُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ(١).

وَهَذَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ فِي غَايَةِ

---

(١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (١/ ٤٤٨-٤٤٩).

الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ، بَعَثَهُ السُّلْطَانُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ فِي رِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ إِذَا هُوَ يُدْخَلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابٍ قَصِيرٍ، فَفَهِمَ أَنَّ مُرَادَهُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْحَنِيَ كَهَيْئَةِ الرَّاكِعِ لِلْمَلِكِ، فَدَخَلَ الْبَابَ بِظَهْرِهِ وَجَعَلَ يَمْشِي الْقَهْقَرَى إِلَى نَحْوِ الْمَلِكِ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ الْمَلِكُ مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ، فَعَظَّمَهُ. وَيُذْكَرُ أَنَّ الْمَلِكَ أَحْضَرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ آلَةَ الطَّرَبِ الْمُسَمَّاةِ بِالْأُرْغُلِ، لِيَسْتَفِزَّ عَقْلَهُ بِهَا، فَلَمَّا سَمِعَهَا الْبَاقِلَّانِيُّ خَافَ أَنْ تَظْهَرَ مِنْهُ حَرَكَةٌ نَاقِصَةٌ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو جَهْدًا أَنْ جَرَحَ رِجْلَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ الْكَثِيرُ، فَاشْتَغَلَ بِالْأَلَمِ عَنِ الطَّرَبِ، وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النَّقْصِ وَالْخِفَّةِ ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ مِنْ كَمَالِ عَقْلِهِ، ثُمَّ اسْتَكْشَفَ الْمَلِكُ عَنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَرَحَ نَفْسَهُ بِمَا أَشْغَلَهُ عَنِ الطَّرَبِ، فَتَحَقَّقَ وُفُورَ عِلْمِهِ وَعُلُوَّ فَهْمِهِ. وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ بِحَضْرَةِ مَلِكِهِمْ، فَقَالَ: مَا فَعَلَتْ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا فِيمَا رُمِيَتْ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ؟! فَقَالَ مُجِيبًا لَهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ: هُمَا امْرَأَتَانِ ذُكِرَتَا بِسُوءٍ؛ مَرْيَمُ وَعَائِشَةُ، فَبَرَّأَهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ [رضي الله عنها] ذَاتَ زَوْجٍ وَلَمْ تَأْتِ بِوَلَدٍ، وَأَتَتْ مَرْيَمُ بِوَلَدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ. يَعْنِي أَنَّ عَائِشَةَ [رضي الله عنها] أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْ مَرْيَمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَإِنْ تَطَرَّقَ فِي الذِّهْنِ الْفَاسِدِ احْتِمَالٌ إِلَى هَذِهِ فَهُوَ إِلَى تِلْكَ أَسْرَعُ، وَهُمَا بِحَمْدِ اللهِ مُبَرَّأَتَانِ مِنَ السَّمَاءِ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فَانْقَطَعَ الطَّاغِيَةُ وَلَمْ يَحِرْ جَوَابًا(١).

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩-٣٨٠)، وتبيين كذب المفتري ص (٢١٨- ٢١٩)، وتاريخ الإسلام (٩/ ٦٤ بشار)، والبداية والنهاية (١٥/ ٥٤٩).

=

وَهَذِهِ مُنَاظَرَةٌ بَيْنَ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَايْنِي، وَالْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُعْتَزِلِيِّ.

قَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ فِي ابْتِدَاءِ جُلُوسِهِ لِلْمُنَاظَرَةِ: سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ!! فَقَالَ الْأُسْتَاذُ مُجِيبًا: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ. فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَفَيَشَاءُ رَبُّنَا أَن يُعْصَى؟! فَقَالَ الْأُسْتَاذُ: أَيُعْصَى رَبُّنَا قَهْرًا؟! فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى، وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ؟! فَقَالَ الْأُسْتَاذُ: إِن كَانَ مَنعَكَ مَا هُوَ لَك فَقَدْ أَسَاءَ، وَإِنْ مَنعَكَ مَا هُوَ لَهُ فَيَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ!!. فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْجَبَّارِ(١).

=

وما أحارَ جوابًا: ما رَدَّ. [القاموس المحيط مادة: ح و ر]

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٦١-٢٦٢).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ: «**ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ**، فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصّدْرِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَلِلْغَفْلَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضِيقِهِ، وَحَبْسِهِ، وَعَذَابِهِ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي «رَوْضَةِ الْمُحِبِّين» ص (٣٧١-٣٧٢ ط. المجمع): «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، واللَّهَجُ بِذِكْرِهِ وَحَدِيثِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ سَبْحَانَهُ عَبَادَهُ بِذِكْرِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَأَمَرَهُمْ بِذِكْرِهِ أَخْوَفَ مَا يَكُونُونَ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[سورة الأنفال: ٤٥].

وَالْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِهِمْ أَحْبَابَهُمْ وَقْتَ الْمَخَاوِفِ وَمُلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (عَنْتَرَةُ):

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا ... بَرِقَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

فَعَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ ذِكْرُ الْمَحْبُوبِ عِنْدِ الرَّغَبِ وَالرَّهَبِ».

«دَوَامُ الذِّكْرِ لَمَّا كَانَ سَبَبًا لِدَوَامِ الْمَحَبَّةِ وَكَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَقَّ بِكَمَالِ الْحُبِّ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ كَانَ كَثْرَةُ ذِكْرِهِ مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْعَبِدِ، وَكَانَ عَدُوُّهُ حَقًّا هُوَ الصَّادُ لَهُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ

(١) زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله (٢/ ٢٥ ط. الرسالة)، و(٢/ ٣٠ ط. المجمع).

سُبْحَانَهُ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْفَلَاحِ»(١).

«وَالذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا تَرَكَ الْمَاءَ؟!»(٢).

«قِلَّةُ التَّوْفِيقِ وَفَسَادُ الرَّأْيِ، وَخَفَاءُ الْحَقِّ، وَفَسَادُ الْقَلْبِ، وَخُمُولُ الذِّكْرِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ، ونَفْرَةُ الْخَلْقِ، وَالْوَحْشَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَمَحْقُ الْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ والعُمرِ، وَحِرْمَانُ الْعِلْمِ، وَلِبَاسُ الذُّلِّ، وإِدَالَةُ الْعَدُوِّ، وَضِيقُ الصَّدْرِ، وَالِابْتِلَاءُ بِقُرَنَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ الْقَلْبَ وَيُضَيِّعونَ الْوَقْتِ، وَطُولُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَضَنْكُ الْمَعِيشَةِ، وَكَسْفُ الْبَالِ: تَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْغَفَلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، كَمَا يَتَوَلَّدُ الزَّرْعُ عَنِ الْمَاءِ، وَالإِحْرَاقُ عَنِ النَّارِ. وَأَضْدَادُ هَذِهِ تَتَوَلَّدُ عَنِ الطَّاعَةِ»(٣).

«وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ سَبَبَ الْمَحَبَّةِ دَوَامَ الذِّكْرِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَلْهَجْ بِذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ الدَّرْسُ وَالْمُذَاكَرَةُ، كَمَا أَنَّهُ بَابُ الْعِلْمِ، فَالذِّكْرُ بَابُ الْمَحَبَّةِ، وَشَارِعُهَا الْأَعْظَمُ، وَصِرَاطُهَا الْأَقْوَمُ»(٤).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَاصِفًا الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ص (٥٢٨ ط. المجمع).

(٢) الوابل الصيب ص (٩٦ ط. المجمع)، نقله عن شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابنِ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) الفوائد ص (٤٧ ط. المجمع).

(٤) الوابل الصيب ص (٩٤-٩٥ ط. المجمع).

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد: ٢٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْشَرِحْ صَدْرُهُ، وَيَخْشَعْ قَلْبُهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد: ١٦]

بَلْ تَوَعَّدَ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ بِالْوَيْلِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الزمر: ٢٢].

وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ بِالْعَذَابِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الجن: ١٧].

وَجَعَلَهُمْ مِنْ إِخْوَةِ الشَّيَاطِينِ وَقُرَنَائِهِمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [سورة الزخرف: ٣٦].

وَالَّذِينَ يَصُدُّونَ الْعِبَادَ عَنْ ذِكْرِ الله هُمُ الشَّيَاطِينُ، كَمَا قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[سورة المائدة: ٩١]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾[سورة المجادلة: ١٩] .

بَلْ جعَلَ الْغَافِلَ عَنْ الذِّكْرِ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة المنافقون: ٩].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٢٣/٨ ط. دار طيبة):

«يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنْ أَنْ تَشْغَلَهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ عَنْ ذَلِكَ وَمُخْبِرًا لَهُمْ بِأَنَّهُ مَنِ التَّلَهِي بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا عَمَّا خُلِقَ لَهُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يَخْسَرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». أهـ.

وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى الذِّكْرَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة الحج: ٣٤ – ٣٥].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وابن ماجه (٣٧٩١)، وأحمد (٩٧٧٢) وغيرهم

نَسَبُهُ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟! قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٣٦٤٣ مختصرًا)، والترمذي (٢٦٤٦، ٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، وأحمد (٧٤٢٧، ٩٢٧٤) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠)، =

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا، قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ سُنَنَ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

بَلْ هُوَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ:

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ]: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ،**

=

وأحمد (٧٤٢٤، ٧٤٢٥، ٧٤٢٦، ٨٧٠٤، ٨٧٠٥، ٨٩٧٢) وغيرهم.

والعجب أن الحاكم استدركه (١٨٤٥ ط. دار التأصيل).

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٧٦٨٠، ١٧٦٩٨)، والترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٩٣٥)، وابن حبان (٨١٤)، والحاكم (١٨٤٦ ط. دار التأصيل).

فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ!! وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ. وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (١٧١٧٠، ١٧٨٠٠)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، =

وانْظُرْ وتَفَكَّرْ وَتَدَبَّر فِي هَذَا الْحَدِيثِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، فَتَفَرَّقُوا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ [عَزَّ وَجَلَّ]، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

« وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ إِلَّا بِالذِّكْرِ، فَمَثَلِ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(٢).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(٣).

«الذِّكْرُ يُنَوِّرُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ وَالْأَعْضَاءَ، وَهُوَ نُورُ الْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ، وَفِي الْبَرْزَخِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤).

«رَوَى: مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ [﵀]، عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْنٍ [﵀]، قَالَ: ذِكْرُ

=

والطيالسي (١٢٥٧، ١٢٥٨)، وأبو يعلى (١٥٧١)، وابن خزيمة (٩٣٠، ١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (٤١٠، ٤١١ ط. دار التأصيل) وغيرهم.

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٩٠٥٢، ١٠٦٨٠، ١٠٨٢٥)، وأبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٤٣، ١٠٣٤٨ ط. دار التأصيل)، والبزار (٩١٠٢)، والحاكم (١٨٣٢، ١٨٣٣، ١٨٣٥ ط. دار التأصيل)، وغيرهم.

(٢) الوابل الصيب ص (٩٣ ط. المجمع).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٧). وغيره

(٤) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ص (١٥٤ ط. المجمع).

النَّاسِ دَاءٌ، وَذِكْرُ اللهِ دَوَاءٌ.

قُلْتُ [الذَّهَبِيُّ]: إِيْ وَاللهِ، فَالعجَبُ مِنَّا، وَمِنْ جَهلِنَا، كَيْفَ نَدَعُ الدَّوَاءَ، وَنقتحِمُ الدَّاءَ؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [سورة البَقَرَةُ: ١٥٢]، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة العَنْكَبُوْتُ: ٤٥]، وَقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرَّعْدُ: ٢٨] وَلَكِنْ لاَ يَتَهَيَّأُ ذَلِكَ إِلاَّ بِتوفِيْقِ اللهِ، وَمَنْ أَدْمَنَ الدُّعَاءَ، وَلاَزَمَ قَرْعَ البَابِ، فُتِحَ لَهُ.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَوْنٍ قَدْ أُوتِيَ حِلْمًا وَعِلْمًا، وَنَفْسُهُ زَكِيَّةٌ تُعِيْنُ عَلَى التَّقوَى، فَطُوْبَى لَهُ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ» ص (٩٢ ط. المجمع):

« وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ النُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهُمَا، وَجَلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُوهُ حَتَّى يَدَعَهُ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ، فَإِذَا تُرِكَ الذِّكْرُ صَدِأَ، فَإِذَا ذَكَرَ جلَّاهُ. وَصَدَأ الْقَلْبِ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ وَالذَّنْبِ، وَجَلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ بِالِاسْتِغْفَارِ والذِّكْرِ».

وَقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ» ص (١٠٨-١١٠ ط. المجمع)

« وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا يُجَازَى بِهِ الْمُحْسِنُ مِنَ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَسُرُورِهِ، وَلَذَّتِهِ بِمُعَامَلَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَاعَتِهِ، وَذِكْرِهِ، وَنَعِيمِ رُوحِهِ بِمَحَبَّتِه وَذِكْرِهِ، وَفَرَحِهِ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْظَم مِمَّا يَفْرَحُ الْقَرِيبُ مِنَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٦٩).

السُّلْطَانِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ بِسُلْطَانِهِ. وَمَا يُجَازَى بِهِ الْمُسِيءُ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ، وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَتَشَتُّتِهِ، وَظُلْمَتِهِ، وَحَزَازَتِهِ، وَغَمِّهِ، وَهَمِّهِ، وَحُزْنِهِ، وَخَوْفِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَكَادُ مَنْ لَهُ أَدْنَى حِسٍّ وَحَيَاةٍ يَرْتَابُ فِيهِ، بَلِ الْغُمُومُ وَالْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ وَالضِّيقُ عُقُوبَاتٌ عَاجِلَةٌ، وَنَارٌ دُنْيَوِيَّةٌ، وَجَهَنَّمُ حَاضِرَةٌ. وَالْإِقْبَالُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ، وَامْتِلَاءُ الْقَلْبِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَاللَّهَجُ بِذِكْرِهِ، وَالْفَرَحُ وَالسُّرُورُ بِمَعْرِفَتِهِ ثَوَابٌ عَاجِلٌ، وَجَنَّةٌ حَاضِرَةٌ، وَعَيْشٌ لَا نِسْبَةَ لِعَيْشِ الْمُلُوكِ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةَ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ لِي مَرَّةً: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟! أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي، أَيْنَ رُحْتُ فَهِيَ مَعِي لَا تُفَارِقُنِي. إِنَّ حَبْسِي خَلْوَةٌ، وَقَتْلِي شَهَادَةٌ، وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةٌ.

وَكَانَ يَقُولُ فِي مَحْبَسِهِ فِي الْقَلْعَةِ: لَوْ بَذَلْتُ لَهُمْ مِلْءَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِنْدَي شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ. أَوْ قَالَ: مَا جَزَيْتُهُمْ عَلَى مَا تَسَبَّبُوا لِي فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ. وَنَحْو هَذَا.

وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ – وَهُوَ مَحْبُوسٌ –: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». مَا شَاءَ اللهُ.

وقَالَ لِي مَرَّةً: الْمَحْبُوسُ مَنْ حُبِسَ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، وَالْمَأْسُورُ مَنْ أَسَرَهُ هَوَاهُ. وَلَمَّا أُدْخِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَصَارَ إِلَى دَاخِلِ سُورِهَا، نَظَرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة

الحديد: ١٣]. وَعَلِمَ اللهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطْيَبَ عَيْشًا مِنْهُ قَطُّ، مَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْعَيْشِ، وَخِلَافِ الرَّفَاهِيَةِ وَالنَّعِيمِ، بَلْ ضِدَّها، وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْإِرْجَافِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا، وَأَسَرِّهِمْ نَفْسًا، تَلُوحُ نَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَى وَجْهِهِ. وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الْخَوْفُ، وَسَاءَتْ مِنَّا الظُّنُون، وَضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ، أَتَيْنَاهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ، وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَيَذْهَب ذَلِكَ كُلُّهُ، وَيَنْقَلِب انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَيَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً. فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دَارِ الْعَمَلِ، فَآتَاهُمْ مِنْ رَوْحِهَا وَنَسِيمِهَا وَطِيبِهَا مَا اسْتَفْرَغَ قُوَاهُمْ لِطَلَبِهَا، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا.

وَكَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

وقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا!! قِيلَ: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟! قَالَ: مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَتُهُ، وَذِكْرُهُ». انتهى

وَتَدَبَّرْ مَعِي - رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- أَدْعِيَةَ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥، ٦٣٤٦، ٧٤٢٦، ٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠)، والترمذي (٣٤٣٥)، وابن ماجه (٣٨٨٣)، وأحمد (٢٠١٢، ٢٢٩٧، ٢٣٤٤، ٢٣٤٥، ٢٤١١، ٢٥٣١، ٢٥٣٧، ٢٥٦٨، ٣١٤٧، ٣٣٥٤) وغيرهم.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « **دَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي دَعَا بِهَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي كُرْبَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**»(١).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: « **اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « **مَا قَالَ أَحَدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا** "، قَالُوا: **يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟** قَالَ: «**أَجَلْ، لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(٣).

وَتَفَكَّرْ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِأَهْلِ الذِّكْرِ:

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٤٦٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦)، والترمذي (٣٥٠٥)، وأبو يعلى (٧٠٧، ٧٧٢)، والحاكم (١٨٨٦-١٨٨٨، ٣٤٨٩، ٤١٧٢، ٤١٧٨ ط. دار التأصيل)، وغيرهم.

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٢٧٠٨٢)، وأبو داود (١٥٢٥)، والنسائي في« عمل اليوم والليلة» (٦٤٩)، وابن ماجه (٣٨٨٢) وغيرهم.

(٣) تقدم تخريجه في المقدمة.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: « **«سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»** **قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»**(١).

وَتَفَكَّرْ فِي حَالِ مَنْ شَرَحَ اللهُ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ وبِالذِّكْرِ، فَمِنْهُمْ:

أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فَقَدْ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى مَعَ الصِّبْيَانِ، وَيَقُوْلُ: اذْكُرِ اللهَ حَتَّى يَرَى الجَاهِلُ أَنَّكَ مَجْنُوْنٌ(٢).

وَرَحِمَ اللهُ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ حَيْثُ يَقُولُ: لَوْ رَأَيْتُ الجَنَّةَ عِيَانًا مَا كَانَ عِنْدِي مُسْتَزَادٌ، وَلَوْ رَأَيْتُ النَّارَ عِيَانًا مَا كَانَ عِنْدِي مُسْتَزَادٌ(٣).

وَعَنْ لُقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ ﵀، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ [﵀]: أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَوْصِنِي يَا أَبَا مُسْلِمٍ، قَالَ: اذْكُرِ اللهَ تَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ وَحَجَرٍ، فَقَالَ: زِدْنِي، قَالَ: اذْكُرِ اللهَ حَتَّى يَحْسَبَكَ النَّاسُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ مَجْنُونًا، قَالَ: فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يُكْثِرُ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَرَآهُ رَجُلٌ يَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَمَجْنُونٌ صَاحِبُكُمْ هَذَا؟! فَسَمِعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بِالْجُنُونِ يَا ابْنَ أَخِي، وَلَكِنْ هَذَا دَوَاءُ الْجُنُونِ(٤).

وَمِنْهُمْ: حَسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ الدِّمَشْقِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) وغيره.

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٢٩ / ١٤١)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٠).

(٣) تاريخ دمشق (٢٩/ ١٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩).

(٤) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ١٤١-١٤٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: كَانَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ، يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِي المَسْجِدِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: مَا أَدْرَكْتُ أَحداً أَشَدَّ اجْتِهَادًا، وَلَا أَعمَلَ مِنْ حَسَّانِ بنِ عَطِيَّةَ(٢).

وَمِنْهُمْ: خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ الكَلَاعِيُّ الْحِمْصِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

عَنْ سَلَمَةَ بنِ شَبِيْبٍ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بنُ مَعْدَانَ [رَحِمَهُ اللهُ] يُسَبِّحُ فِي اليَوْمِ أَرْبَعِيْنَ أَلْفَ تَسبِيْحَةٍ، سِوَى مَا يَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ، فَلَمَّا مَاتَ فَوُضِعَ عَلَى سَرِيْرِهِ لِيُغَسَّلَ، جَعَلَ بِأُصْبُعِهِ كَذَا يُحَرِّكُهَا، يَعْنِي: بِالتَّسْبِيْحِ(٣).

وَعَنْ عُمَرَ بنِ جُعْثُمٍ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بنُ مَعْدَانَ [رَحِمَهُ اللهُ] إِذَا قَعَدَ، لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُم يَذْكُرُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ؛ هَيْبَةً لَهُ(٤).

وَمِنْهُمْ: عُمَيْرُ بنُ هَانِئٍ العَنْسِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابنُ يَزِيْدَ بنِ جَابِرٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَرَاكَ لَا تَفْتُرُ عَنِ الذِّكرِ، فَكَم تُسَبِّحُ؟ قَالَ: مئَةَ أَلفٍ، إِلَّا أَنْ تُخطِئَ الْأَصَابِعُ(٥).

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بنُ حَرْبٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ دَلَّوَيْه رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ أَحْمَدُ بنُ حَرْبٍ [رَحِمَهُ اللهُ] إِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدِي

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٧٠)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٣١١)، وسير النبلاء (٥/ ٤٦٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٧٠)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٣١١)، وسير النبلاء (٥/ ٤٦٧).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢١٠)، وتاريخ دمشق (١٨/ ١٤٥)، وسير النبلاء (٤/ ٥٤٠).

(٤) انظر: تاريخ دمشق (١٨/ ٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٨).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٨٩-٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢١).

الحَجَّامِ لِيُحْفِيَ شَارِبَهُ، يُسَبِّحُ، فَيَقُوْلُ لَهُ الحَجَّامُ: اسْكُتْ سَاعَةً. فَيَقُوْلُ: اعْمَلْ أَنْتَ عَمَلَكَ. وَرُبَّمَا قَطَعَ مِنْ شَفَتِهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ(١).

وَمِنْهُمْ: أَبُو الحَسَنِ البَاهِلِيُّ البَصْرِيُّ، تِلْمِيْذُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ– رَحِمَةُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا–: قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ البَاقلَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ مِنْ شِدَّةِ اشتغَالِهِ بِاللهِ مثلَ مجنُوْنٍ أَوْ وَالِهٍ(٢).

وَمِنْهُمْ: شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ – **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** – : وَالذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا تَرَكَ الْمَاءَ؟!(٣).

وَقَالَ العلّامة ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – :

وَحَضَرْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ مَرَّةً صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنَ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، وَقَالَ: هَذِهِ غَدْوَتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ هَذَا الْغَدَاءَ لَسَقَطَتْ قُوَّتِي. أَوْ كَلَامًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا.

وَقَالَ لِي مَرَّةً: لَا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي وَإِرَاحَتِهَا لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لِذِكْرٍ آخَر. أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ(٤).

وَمِنْهُمْ سَمَاحَةُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٤).

(٣) انظر: الوابل الصيب ص(٩٦ ط. المجمع) لابن القيم – رحمه الله تعالى –.

(٤) انظر: الوابل الصيب ص (٩٦ ط. المجمع).

اللهُ تَعَالَى، فَقَدْ رَأى مِنْهُ النَّاسُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ مِنْ وَلَعِهِ بِالذِّكْرِ، وَجَاءَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا يُثْلِجُ الصُّدُورَ، وَيُرِيحُ الْأَفْئِدَةَ، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ الْقَاصِي وَالدَّانِي، وَسَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ، فَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ.

وأختمُ بما قَالَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **في «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٣/٢٥٨-٢٦٠): مَنْزِلَةُ الذِّكْرِ**: وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَى الَّتِي مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ، وَفِيهَا يَتَّجِرُونَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ. وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مِنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ، وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ الطَّرِيقِ، وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمُ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمُ ... فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

بِهِ يَسْتَدْفِعُونَ الْآفَاتِ، وَيَسْتَكْشِفُونَ الْكُرُبَاتِ، وَتَهُونُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْمُصِيبَاتُ، إِذَا أَظَلَّهُمُ الْبَلَاءُ فَإِلَيْهِ مَلْجَؤُهُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَازِلُ فَإِلَيْهِ مَفْزَعُهُمْ. فَهُوَ رِيَاضُ جَنَّتِهِمُ الَّتِي فِيهَا يَتَقَلَّبُونَ، وَرُؤُوسُ أَمْوَالِ سَعَادَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ. يَدَعُ الْقَلْبَ الْحَزِينَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا، وَيُوصِّلُ الذَّاكِرَ إِلَى الْمَذْكُورِ، بَلْ يَدَعُ الذَّاكِرَ مَذْكُورًا. وَفِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ عُبُودِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَ«الذِّكْرُ» عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ،بَلْ هُمْ مَأْمُورُونَ بِذِكْرِ مَعْبُودِهِمْ وَمَحْبُوبِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ. فَكَمَا أَنَّ

الْجَنَّةَ قِيعَانٌ وَهُوَ غِرَاسُهَا، فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بُورٌ وَخَرَابٌ وَهُوَ عِمَارَتُهَا وَأَسَاسُهَا. وَهُوَ جِلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا، وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِغْرَاقًا: ازْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا، وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلِسَانِهِ: نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. بِهِ يَزُولُ الْوَقْرُ عَنِ الْأَسْمَاعِ، وَالْبَكَمُ عَنِ الْأَلْسُنِ، وَتَنْقَشِعُ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَبْصَارِ. زَيَّنَ اللهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ، فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ: كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ. وَهُوَ بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ(١): فِي الصَّلَاةِ وَفِي الذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ. أهـ.

وَبِالذِّكْرِ يَصْرَعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ، كَمَا يَصْرَعُ الشَّيْطَانُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ. وَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا خَلَا الْعَمَلُ عَنِ الذِّكْرِ كَانَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلِلذِّكْرِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ ذَكَرَهَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ وَرَافِعِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» ص (٩٤-٢١٥ ط. المجمع) نَذْكُرُهَا بِاخْتِصَارٍ:

وَفِي الذِّكْرِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ فَائِدَةٍ:

---

(١) **(إسناده ضعيف)** أخرجه أبو نعيم في «حليـة الأوليـاء» (٦/ ١٧١) و(١٠/ ١٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣٤).

(**إحداها**): أَنَّهُ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَقْمَعُهُ وَيَكْسِرُهُ.

(**الثانية**): أَنَّهُ يُرْضِي الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ.

(**الثالثة**): أَنَّهُ يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ عَنِ الْقَلْبِ.

(**الرابعة**): أَنَّهُ يَجْلِبُ لِلْقَلْبِ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالْبَسْطَ.

(**الخامسة**): أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ.

(**السادسة**): أَنَّهُ يُنَوِّرُ الْوَجْهَ وَالْقَلْبَ.

(**السابعة**): أَنَّهُ يَجْلِبُ الرِّزْقَ.

(**الثامنة**): أَنَّهُ يَكْسُو الذَّاكِرَ الْمَهَابَةَ وَالْحَلَاوَةَ وَالنَّضْرَةَ.

(**التاسعة**): أَنَّهُ يُورِثُهُ الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِسْلَامِ، وَقُطْبُ رَحَى الدِّينِ، وَمَدَارُ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ سَبَبَ الْمَحَبَّةِ دَوَامَ الذِّكْرِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَلْهَجْ بِذِكْرِهِ؛ فَإِنَّهُ الدَّرْسُ وَالْمُذَاكَرَةُ، كَمَا أَنَّهُ بَابُ الْعِلْمِ، فَالذِّكْرُ بَابُ الْمَحَبَّةِ، وَشَارِعُهَا الْأَعْظَمُ، وَصِرَاطُهَا الْأَقْوَمُ.

(**العاشرة**): أَنَّهُ يُورِثُهُ الْمُرَاقَبَةَ حَتَّى يُدْخِلَهُ فِي بَابِ الْإِحْسَانِ، فَيَعْبُدُ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَلَا سَبِيلَ لِلْغَافِلِ عَنِ الذِّكْرِ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ، كَمَا لَا سَبِيلَ لِلْقَاعِدِ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ.

(**الحادية عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُهُ الْإِنَابَةَ، وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَتَى أَكْثَرَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ بِذِكْرِهِ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ رُجُوعَهُ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، فَيَبْقَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَفْزَعَهُ وَمَلْجَأَهُ، وَمَلَاذَهُ وَمُعَاذَهُ، وَقِبْلَةَ قَلْبِهِ، وَمَهْرَبَهُ عِنْدَ النَّوَازِلِ وَالْبَلَايَا.

(**الثانية عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُهُ الْقُرْبَ مِنْهُ، فَعَلَى قَدْرِ ذِكْرِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ قُرْبُهُ مِنْهُ، وَعَلَى قَدْرِ غَفْلَتِهِ يَكُونُ بُعْدُهُ مِنْهُ.

(**الثالثة عشرة**) أَنَّهُ يفتح له بَابًا عظيمًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَعْرِفَةِ، وَكُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ ازْدَادَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

(**الرابعة عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُهُ الْهَيْبَةَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِجْلَالَهُ؛ لِشِدَّةِ اسْتِيلَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ، وَحُضُورِهِ مَعَ اللهِ تَعَالَى، بِخَلَافِ الْغَافِلِ؛ فَإِنَّ حِجَابَ الْهَيْبَةِ رَقِيقٌ فِي قَلْبِهِ.

(**الخامسة عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُهُ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢].

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ إِلَّا هَذِهِ وَحْدَهَا لَكَفَى بِهَا فَضْلًا وَشَرَفًا.

(**السادسة عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُ حَيَاةَ الْقَلْبِ.

(**السابعة عشرة**) أَنَّهُ قُوتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَإِذَا فَقَدَهُ الْعَبْدُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْجِسْمِ إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُوتِهِ.

(**الثامنة عشرة**) أَنَّهُ يُورِثُ جَلَاءَ الْقَلْبِ مِنْ صَدَاهُ.

(**التاسعة عشرة**) أَنَّهُ يَحُطُّ الْخَطَايَا وَيُذْهِبُهَا. فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ، وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.

(**العشرون**) أَنَّهُ يُزِيلُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ الْغَافِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْشَةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا بِالذِّكْرِ.

(**الحادية والعشرون**) أَنَّ مَا يَذْكُرُ بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَلَالِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ، يُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ عِنْدَ الشِّدَّةِ.

(**الثانية والعشرون**) أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِذِكْرِهِ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ فِي الشِّدَّةِ.

(**الثالثة والعشرون**) أَنَّهُ مَنْجَاةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى.

(**الرابعة والعشرون**) أَنَّهُ سَبَبُ نُزُولِ السَّكِينَةِ، وَغِشْيَانِ الرَّحْمَةِ، وَحُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ.

(**الخامسة والعشرون**) أَنَّهُ سَبَبُ اشْتِغَالِ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ وَالْفُحْشِ وَالْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَذِكْرِ أَوَامِرِهِ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ أَوْ بِبَعْضِهَا، فَلَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْهَا أَلْبَتَّةَ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

(**السادسة والعشرون**) أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَجَالِسَ اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ مَجَالِسُ الشَّيَاطِينِ. فَلْيَتَخَيَّرِ الْعَبْدُ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْهِ، وَأَوْلَاهُمَا بِهِ، فَهُوَ مَعَ أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(**السابعة والعشرون**) أَنَّهُ يَسْعَدُ الذَّاكِرُ بِذِكْرِهِ، وَيَسْعَدُ بِهِ جَلِيسُهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَارَكُ أَيْنَمَا كَانَ. وَالْغَافِلُ وَاللَّاغِي يَشْقَى بِلَغْوِهِ وَغَفْلَتِهِ، وَيَشْقَى بِهِ مُجَالِسُهُ.

(**الثامنة والعشرون**) أَنَّهُ يُؤَمِّنُ الْعَبْدَ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ الْعَبْدُ فِيهِ رَبَّهُ تَعَالَى كَانَ عَلَيْهِ حَسْرَةً وَتِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(**التاسعة والعشرون**) أَنَّهُ مَعَ الْبُكَاءِ فِي الْخَلْوَةِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللهِ تَعَالَى الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَرِّ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ، وَالنَّاسُ فِي حَرِّ الشَّمْسِ قَدْ صَهَرَتْهُمْ فِي الْمَوقِفِ. وَهَذَا الذَّاكِرُ مُسْتَظِلٌّ بِظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ.

(الثلاثون) أَنَّ الِاشْتِغَالَ بِهِ سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلُ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ.

(الحادية والثلاثون) أَنَّهُ أَيْسَرُ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّهَا وَأَفْضَلِهَا، فَإِنَّ حَرَكَةَ اللِّسَانِ أَخَفُّ حَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ وَأَيْسَرُهَا، وَلَوْ تَحَرَّكَ عُضْوٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ بِقَدْرِ حَرَكَةِ لِسَانِهِ لَشَقَّ عَلَيْهِ غَايَةَ الْمَشَقَّةِ، بَلْ لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ.

(الثانية والثلاثون) أَنَّهُ غِرَاسُ الْجَنَّةِ.

(الثالثة والثلاثون) أَنَّ الْعَطَاءَ وَالْفَضْلَ الَّذِي رُتِّبَ عَلَيْهِ لَمْ يُرَتَّبْ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

(الرابعة والثلاثون) أَنَّ دَوَامَ ذِكْرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوجِبُ الْأَمَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فإِنَّ نِسْيَانَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوجِبُ نِسْيَانَ نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا.

(الخامسة والثلاثون) أَنَّ الذِّكْرَ يُسَيِّرُ الْعَبْدَ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، وَفِي سُوقِهِ، وَفِي حَالِ صِحَّتِهِ وَسِقَمِهِ، وَفِي حَالِ نَعِيمِهِ وَلَذَّتِهِ، وَمَعَاشِهِ، وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَاضْطِجَاعِهِ، وَسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ، فَلَيْسَ فِي الْأَعْمَالِ شَيْءٌ يَعُمُّ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالَ مِثْلَهُ، حَتَّى إِنَّهُ يُسَيِّرُ الْعَبْدَ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَسْبِقُ الْقَائِمَ مَعَ الْغَفْلَةِ، فَيُصْبِحُ هَذَا وَقَدْ قَطَعَ الرَّكْبَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ، وَيُصْبِحُ ذَلِكَ الْقَائِمُ الْغَافِلُ فِي سَاقَةِ الرَّكْبِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

(السادسة والثلاثون) أَنَّ الذِّكْرَ نُورٌ لِلذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا، وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَمَا اسْتَنَارَتِ الْقُلُوبُ

وَالْقُبُورُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

(السابعة والثلاثون) أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الْأُمُورِ، وَطَرِيقُ عَامَّةِ الطَّائِفَةِ وَمَنْشُورُ الوَلَايَةِ، فَمَنْ فُتِحَ لَهُ فِيهِ فَقَدْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّخُولِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَتَطَهَّرْ، وَلْيَدْخُلْ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجِدْ عِنْدَهُ كُلَّ مَا يُرِيدُ، فَإِنْ وَجَدَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَاتَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

(الثامنة والثلاثون) فِي الْقَلْبِ خَلَّةٌ وَفَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ أَلْبَتَّةَ إِلَّا ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا صَارَ الذِّكْرُ شِعَارَ الْقَلْبِ بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ الذَّاكِرَ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ، وَاللِّسَانُ تَبَعٌ لَهُ، فَهَذَا هُوَ الذِّكْرُ الَّذِي يَسُدُّ الْخَلَّةَ، وَيُغْنِي الْفَاقَةَ، فَيَكُونُ صَاحِبُهُ غَنِيًّا بِلَا مَالٍ، عَزِيزًا بِلَا عَشِيرَةٍ، مَهِيبًا بِلَا سُلْطَانٍ. فإذا كان غَافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بِضِدِّ ذَلِكَ، فَقِيرٌ مَعَ كَثْرَةِ جِدَّتِهِ، ذَلِيلٌ مَعَ سُلْطَانِهِ، حَقِيرٌ مَعَ كَثْرَةِ عَشِيرَتِهِ.

(التاسعة والثلاثون) أَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ، وَيُفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَيُقَرِّبُ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ الْقَرِيبَ، فَيَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهُمُومِهِ وَعُزُومِهِ، وَالْعَذَابُ كُلُّ الْعَذَابِ فِي تَفْرِقَتِهَا وَتَشَتُّتِهَا عَلَيْهِ، وَانْفِرَاطِهَا لَهُ، وَالْحَيَاةُ كُلُّ الْحَيَاةِ وَالنَّعِيمُ فِي اجْتِمَاعِ قَلْبِهِ وَهَمِّهِ، وَعَزْمِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ، وَالْغُمُومِ، وَالْأَحْزَانِ، وَالْحَسَرَاتِ عَلَى فَوْتِ حُظُوظِهِ وَمَطَالِبِهِ.

وَيُفَرِّقُ أيضًا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ وَخطَايَاهُ وَأَوْزَارِهِ، حَتَّى تَتَسَاقَطَ عَنْهُ، وَتتَلَاشَى، وَتَضْمَحِلَّ.

وَيُفَرِّقُ أيضًا مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ لَا يَزَالُ يَبْعَثُ لَهُ سَرِيَّةً، وَكُلَّمَا كَانَ أَقْوَى طَلَبًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَشَدَّ تَعَلُّقًا بِهِ وَإِرَادَةً لَهُ كَانَتِ السَّرِيَّةُ أَكْثَفَ وَأَكْثَرَ وَأَعْظَمَ شَوْكَةً، بِحَسَبِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنْ مَوَادِّ الْخَيْرِ وَالْإِرَادَةِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَفْرِيقِ هَذَا الْجَمْعِ إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ.

وَأَمَّا تَقْرِيبُهُ الْبَعِيدَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْآخِرَةَ الَّتِي يُبَعِّدُهَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَالْأَمَلُ، فَلَا يَزَالُ يَلْهَجُ بِالذِّكْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَهَا وَحَضَرَهَا، فَحِينَئِذٍ تَصْغُرُ فِي عَيْنِهِ الدُّنْيَا، وَتَعْظُمُ فِي قَلْبِهِ الْآخِرَةُ.

وَيُبَعِّدُ الْقَرِيبَ إِلَيْهِ، وهي الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ، فإِنَّ الْآخِرَةَ مَتَى قَرُبَتْ مِنْ قَلْبِهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ هَذِهِ مَرْحَلَةً بَعُدَ مِنْ هَذِهِ مَرْحَلَةً، وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

(الأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ ينبه الْقَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ، وَيُوقِظُهُ مِنْ سِنَتِهِ[(١)]. وَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الْأَرْبَاحُ والْمَتَاجِرُ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخُسْرَان، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَعَلِمَ مَا فَاتَهُ فِي نَوْمَتِهِ شَدَّ الْمِئْزَرَ، وَأَحيَا بَقِيَّةَ عُمْرِهِ، وَاسْتَدَرَكَ مَا فَاتَهُ، وَلَا تَحْصُلُ يَقَظَتُهُ إِلَّا بِالذِّكْرِ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ نَوْمٌ ثَقِيلٌ.

(الحادية والأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ الْمَعَارِفَ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا السَّالِكُونَ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ ثِمَارِهَا إِلَّا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ، وَكُلَّمَا عَظُمَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ وَرَسَخَ أَصْلُهَا كَانَ أَعْظَمَ لِثَمَرَتِهَا، فَالذِّكْرُ يُثْمِرُ

---

(١) السِّنَة: النُّعاس، وهو دون النوم. [تفسير الطبري ٤/ ٥٣١-٥٣٢ ط. هجر]

المَقَامَاتِ كُلِّهَا، مِنَ الْيَقَظَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ مَقَامٍ، وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي يَنْبَنِي ذَلِكَ المَقَامُ عَلَيْهَا، كَمَا يُبْنَى الْحَائِطُ على أُسِّهِ، وَكَمَا يَقُومُ السَّقْفُ عَلَى حَائِطِهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِنْ لَمْ يَسْتَيْقِظْ لَمْ يُمْكِنْهُ قَطْع مَنَازِلِ السَّيْرِ، ولَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا بِالذِّكْرِ، فَالْغَفْلَةُ نَوْمُ الْقَلْبِ أَوْ مَوْتُهُ.

(الثانية والأربعون) أَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ، وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ. وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ غَيْرُ مَعِيَّةِ الْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ الْعَامَّةِ، فَهِيَ مَعِيَّةٌ بِالْقُرْبِ وَالْوَلَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّوْفِيقِ.

(الثالثة والأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ، وَنَفَقَةَ الْأَمْوَالِ، وَالْحَمْلَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَعْدِلُ الضَّرْبَ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(الرابعة والأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَمَا شَكَرَ اللهَ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ.

(الخامسة والأربعون) أَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْمُتَّقِينَ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ اتَّقَاهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَجَعَلَ ذِكْرَهُ شِعَارَهُ.

(السادسة والأربعون) أَنَّ فِي الْقَلْبِ قَسْوَةً لَا يُذِيبُهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُدَاوِيَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ بِذِكْرِ الله تَعَالَى.

(السابعة والأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ الْقَلْبِ وَدَوَاؤُهُ، وَالْغَفْلَةُ مَرَضُهُ، فَالْقُلُوبُ مَرِيضَةٌ وَشِفَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

(الثامنة والأربعون) أَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مَوالَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَأْسُهَا، وَالْغَفْلَةُ أَصْلُ مُعَادَاتِهِ وَأُسُّهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَذْكُرُ رَبَّه عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى

يُحِبَّهُ فَيُوَالِيه، وَلَا يَزَالُ يَغْفَلُ عَنْهُ حَتَّى يُبْغِضَهُ وَيُعَادِيهِ.

(التاسعة والأربعون) أَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى. فَالذِّكْرُ جَلَّابٌ لِلنِّعَمِ، دَفَّاعٌ لِلنِّقَمِ.

وَمَادَّةُ الْإِيمَانِ وَقُوَّتُهُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا، وَأَكْثَرَ ذِكْرًا، كَانَ دَفْعُ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ وَدِفَاعُهُ أَعْظَمَ، وَمَنْ نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْرًا بِذِكْرٍ، وَنِسْيَانًا بِنِسْيَانٍ.

(الخمسون) أَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ، وَمَنْ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ فَقَدْ أَفْلَحَ كُلَّ الْفَلَاحِ، وَفَازَ كُلَّ الْفَوْزِ.

(الحادية والخمسون) أَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوْطِنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ؛ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ.

(الثانية والخمسون) أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، فَلَيْسَ مِنْ مَجَالِسِ الدُّنْيَا لَهُمْ مَجْلِسٌ إِلَّا مَجْلِسٌ يُذْكَرُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ.

(الثالثة والخمسون) أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلَائِكَتَهُ.

(الرابعة والخمسون) أَنَّ مُدْمِنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ.

(الخامسة والخمسون) أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ إِقَامَةً لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَالْمَقْصُودُ بِهَا تَحْصِيلُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

(السادسة والخمسون) أَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فيه ذِكْرًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَفْضَلُ الصُّوام أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَوْمِهِمْ، وأَفْضَلُ الْمُتَصَدِّقِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأَفْضَلُ الْحُجَّاجِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلهِ

عَزَّ وَجَلَّ. وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَحْوَالِ.

(السابعة والخمسون) أَنَّ إِدَامَةَ الذِّكْرِ تَنُوبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ بَدَنِيَّةً، أَوْ مَالِيَّةً، أَوْ بَدَنِيَّةً مَالِيَّةً كَحَجِّ التَّطَوُّعِ.

(الثامنة والخمسون) أَنَّ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ يُحَبِّبُهَا إِلَى الْعَبْدِ، وَيُسَهِّلُهَا عَلَيْهِ، وَيُلَذِّذُهَا لَهُ، وَيَجْعَلُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيهَا، وَنَعِيمَهُ وَسُرُورَهُ بِهَا، بِحَيْثُ لَا يَجِدُ لَهَا مِنَ الْكُلْفَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَالثِّقَلِ ما يَجِدُ الْغَافِلُ، وَالتَّجْرِبَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، يُوَضِّحُهُ:

(التاسعة والخمسون) أَنَّ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُيَسِّرُ الْعَسِيرَ، وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ، فَمَا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ، وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تَيَسَّرَ، وَلَا مَشَقَّةٍ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٍ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا كُرْبَةٍ إِلَّا انْفَرَجَتْ، فَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسِرِ، والْفَرَحُ بَعْدَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ، يُوَضِّحُهُ:

(الستون) أَنَّ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُذْهِبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَاوِفَهُ كُلَّهَا، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ، فَلَيْسَ لِلْخَائِفِ الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ خَوْفُهُ أَنْفَعُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ بِحَسَبِ ذِكْرِهِ يَجِدُ الْأَمْنَ وَيَزُولُ خَوْفُهُ، حَتَّى كَأَنَّ الْمَخَاوِفَ الَّتِي يَحْذَرُهَا أَمَانٌ لَهُ، وَالْغَافِلُ خَائِفٌ مَعَ أَمْنِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ كُلِّهِ مَخَاوِفُ. وَمَنْ لَهُ أَدْنَى حِسٍّ قَدْ جَرَّبَ هَذَا وُهَذَا. وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ.

(الحادية والستون) أَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَفْعَلُ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَا يُطِيقُ فَعْلَهُ بِدُونِهِ.

(الثانية والستون) أَنَّ عُمَّالَ الْآخِرَةِ فِي مِضْمَارِ السِّبَاقِ، وَالذَّاكِرُونَ هُمْ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ ، وَلَكِنَّ الْقَتَرَ وَالْغُبَارَ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ سَبْقِهِمْ، فَإِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ وَانْكَشَفَ رَآهُمُ النَّاسَ وَقَدْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ.

(الثالثة والستون) أَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ، فَإِنَّهُ خَبَرٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، فَإِذَا أَخْبَرَ بِهَا الْعَبْدُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ، وَمَنْ صَدَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لَمْ يُحْشَرْ مَعَ الْكَاذِبِينَ، وَرُجِيَ لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِينَ.

(الرابعة والستون) أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَتِ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الذِّكْرِ أَخَذُوا فِي الْبِنَاءِ.

(الخامسة والستون) إِنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ مِنْ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَإِذَا كَانَ ذِكْرًا دَائِمًا كَامِلًا كَانَ سَدًّا مُحْكَمًا لَا مَنْفَذَ فِيهِ، وَإِلَّا فَبِحَسَبِهِ.

(السادسة والستون) أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ.

(السابعة والستون) أَنَّ الْجِبَالَ وَالْقِفَارَ تَتَبَاهَى وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا.

(الثامنة والستون) أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ قَلِيلُو الذِّكْرِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿ **وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

(التاسعة والستون) أَنَّ لِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَذَّةً لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ، فَلَوْ

لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا اللَّذَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلذَّاكِرِ، وَالنَّعِيمُ الَّذِي يَحْصُلُ لِقَلْبِهِ لَكَفَى بِهِ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ مَجَالِسُ الذِّكْرِ رِيَاضَ الْجَنَّةِ.

(السبعون) أَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا، وَنُورًا فِي الْآخِرَةِ، فَالذَّاكِرُونَ أَنْضَرُ النَّاسِ وُجُوهًا فِي الدُّنْيَا، وَأَنْوَرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(الحادية والسبعون) أَنَّ في دوام الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ، وَالْبَيْتِ، وَالْحَضَرِ، وَالسَّفَرِ، وَالْبِقَاعِ تَكْثِيرَ الشُّهُودِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْبُقْعَةَ، وَالدَّارَ، وَالْجَبَلَ، وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(الثانية والسبعون) أَنَّ فِي الِاشْتِغَالِ بِالذِّكْرِ اشْتِغَالًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ مِنَ الْغِيبَةِ، وَاللَّغْوِ، وَمَدْحِ النَّاسِ، وَذَمِّهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْكُتُ أَلْبَتَّةَ؛ فَإِمَّا لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَإِمَّا لِسَانٌ لَاغٍ [مِنَ اللَّغْوِ]، وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ فَهِيَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتك بالباطل، وَهُوَ الْقَلْبُ إِنْ لَمْ تَسْكُنْهُ مَحَبَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سكنته مَحَبَّةُ الْمَخْلُوقِينَ وَلَا بُدَّ، وَهُوَ اللِّسَانُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْه بِالذِّكْرِ شَغَلَكَ بِاللَّغْوِ، وَهُوَ عَلَيْكَ وَلَا بُدَّ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِحْدَى الْخُطَّتَيْنِ، وَأَنْزِلْهَا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ.

(الثالثة والسبعون) وَهِي الَّتِي بَدَأْنَا بِذِكْرِهَا، وَأَشَرْنَا إِلَيْهَا إِشَارَةً، فَنَذْكُرُهَا هَهُنَا مَبْسُوطَةً لِعَظِيمِ الْفَائِدَةِ بِهَا، وَحَاجَةِ كُلِّ أَحَدٍ، بَلْ ضَرُورَتُهُ إِلَيْهَا، وَهِي أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدِ احْتَوَشَتِ الْعَبْدَ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ، فَمَا ظَنُّكَ برجل قَدِ احْتَوَشَهُ أَعْدَاؤُهُ الْمُحْنِقُونَ عَلَيْهِ غيظًا، وَأَحَاطُوا بِهِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَنَالُهُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى؟! وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ عَنْهُ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَدَبُّرُ آيَاتِهِ؛ فَالْقُرْآنُ نُورٌ، وَهِدَايَةٌ لِلْقَلْبِ، وَانْشِرَاحٌ لِلصَّدْرِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المائدة: ١٥-١٦]. ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٩].

وَهُوَ الشِّفَاءُ وَالرَّحْمَةُ لِقُلُوبِ الْمُؤمِنِينَ وَصُدُورِهِمْ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [سورة الإسراء: ٨٢].

وَتَفَكَّرْ، وَتَدَبَّرْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [سورة فاطر: ٢٩-٣٠].

وَلِلْقُرْآنِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ إِذَا تَدَبَّرَهُ مُسْتَمِعُهُ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا؛ فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «**يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ**، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي».

وَفِي رِوَايَةٍ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ

الآيَةَ: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٧] قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»(١) .

« فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا، وَغَايَاتِهِمَا، وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ[تَصُبُّ، وَتُلْقِي] فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوَصِّلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ تُعَرِّفُهُ الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ، وَطَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَا لَهُ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٦٥، ٣٠٥٠، ٤٠٢٣، ٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣)، وأبو داود (٨١١)، والنسائي (٩٨٧)، وابن ماجه (٨٣٢)، وأحمد (١٦٧٣٥، ١٦٧٦٢، ١٦٧٦٥، ١٦٧٧٣، ١٦٧٨٣، ١٦٧٨٥) وغيرهم.

الْكَرَامَةِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ. وَتُعَرِّفُهُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ثَلَاثَةً أُخْرَى: مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَالطَّرِيقَ الْمُوصِلَةَ إِلَيْهِ، وَمَا لِلْمُسْتَجِيبِ لِدَعْوَتِهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْعَذَابِ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ ضَرُورِيٌّ لِلْعَبْدِ مَعْرِفَتُهَا، وَمُشَاهَدَتُهَا، وَمُطَالَعَتُهَا، فَتُشْهِدُهُ الْآخِرَةَ حَتَّى كَأَنَّهُ فِيهَا، وَتَغَيِّبُهُ عَنْ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، وَتُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعَالَمُ. فَتُرِيهِ الْحَقَّ حَقًّا، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَتُعْطِيهِ فُرْقَانًا وَنُورًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ، وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَانْشِرَاحًا وَبَهْجَةً وَسُرُورًا، فَيَصِيرُ فِي شَأْنٍ وَالنَّاسُ فِي شَأْنٍ آخَرَ.

فَإِنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ دَائِرَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَبَرَاهِينِهِ، وَالْعِلْمِ بِاللهِ وَمَا لَهُ مِنْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ، وَمَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ مِنْ سِمَاتِ النَّقْصِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَذِكْرِ بَرَاهِينِ صِدْقِهِمْ، وَأَدِلَّةِ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِمْ، وَالتَّعْرِيفِ بِحُقُوقِهِمْ، وَحُقُوقِ مُرْسِلِهِمْ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِمَلَائِكَتِهِ، وَهُمْ رُسُلُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَتَدْبِيرِهِمُ الْأُمُورَ بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَا جُعِلُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَمَا يَخْتَصُّ بِالنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْهُمْ، [مِنْ] حِينِ يَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ أُمِّهِ إِلَى يَوْمِ يُوَافِي رَبَّهُ وَيَقْدَمُ عَلَيْهِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهِ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ دَارِ النَّعِيمِ الْمُطْلَقِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا أَلَمٌ وَلَا نَكَدٌ وَلَا تَنْغِيصٌ، وَمَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنْ دَارِ الْعِقَابِ الْوَبِيلِ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا سُرُورٌ وَلَا رَخَاءٌ وَلَا رَاحَةٌ وَلَا فَرَحٌ. وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ أَتَمَّ تَفْصِيلٍ وَأَبْيَنَهُ، وَعَلَى تَفَاصِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالشَّرْعِ وَالْقَدَرِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ، وَالْقَصَصِ وَالْأَمْثَالِ، وَالْأَسْبَابِ وَالْحِكَمِ، وَالْمَبَادِئِ وَالْغَايَاتِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تُنْهِضُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ، وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَتَحُثُّهُ عَلَى التَّضَمُّرِ وَالتَّخَفُّفِ لِلِقَاءِ الْيَوْمِ الثَّقِيلِ، وَتَهْدِيهِ فِي ظُلَمِ الْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَصُدُّهُ عَنْ اقْتِحَامِ طُرُقِ الْبِدَعِ وَالَاضَالِيلِ، وَتَبْعَثُهُ عَلَى الِازْدِيَادِ مِنَ النِّعَمِ بِشُكْرِ رَبِّهِ الْجَلِيلِ، وَتُبَصِّرُهُ بِحُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتَقِفُهُ عَلَيْهَا لِئَلَّا يَتَعَدَّاهَا فَيَقَعَ فِي الْعَنَاءِ الطَّوِيلِ، وَتُثَبِّتُ قَلْبَهُ عَنْ الزَّيْغِ وَالْمَيْلِ عَنْ الْحَقِّ وَالتَّحْوِيلِ، وَتُسَهِّلُ عَلَيْهِ الْأُمُورَ الصِّعَابَ وَالْعَقَبَاتِ الشَّاقَّةَ غَايَةَ التَّسْهِيلِ، وَتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَتْ عَزَمَاتُهُ وَوَنَى فِي سَيْرِهِ: تَقَدَّمَ الرَّكْبُ وَفَاتَكَ [الدَّلِيلُ]، فَاللَّحَاقَ اللَّحَاقَ، وَالرَّحِيلَ الرَّحِيلَ!! وَتَحْدُو بِهِ وَتَسِيرُ أَمَامَهُ سَيْرَ الدَّلِيلِ، وَكُلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ كَمِينٌ مِنْ كَمَائِنِ الْعَدُوِّ، أَوْ قَاطِعٌ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ نَادَتْهُ: الْحَذَرَ الْحَذَرَ!! فَاعْتَصِمْ بِاللهِ وَاسْتَعِنْ بِهِ، وَقُلْ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَفِي تَأَمُّلِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ، وَتَفَهُّمِهِ، أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَعْظَمُ الْكُنُوزِ، طِلَّسْمُهُ [أي: سِرُّ إِدْرَاكِهِ] الْغَوْصُ بِالْفِكْرِ إِلَى قَرَارِ مَعَانِيهِ»(١).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «الْفَوَائِدِ» ص(٣، ٤ ط المجمع):

«إِذَا أَرَدْتَ الِانْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضُرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ [ﷺ]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [سورة ق : ٣٧]. وَذَلِكَ أَنَّ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٤-٨٦ ط. المجمع).

تَمَامَ التَّأْثِيرِ لَمَّا كَانَ مَوقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ، وَمَحِلٍّ قَابِلٍ، وَشَرْطٍ لِحُصُولِ الْأَثَرِ، وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ، تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ وَأَدَلِّهِ عَلَى الْمُرَادِ.

فَإِذَا حَصَلَ الْمُؤَثِّرُ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالْمَحِلُّ الْقَابِلُ وَهُوَ الْقَلْبُ الْحَيُّ، وَوُجِدَ الشَّرْطُ وَهُوَ الْإِصْغَاءُ، وَانْتَفَى الْمَانِعُ وَهُوَ اشْتِغَالُ الْقَلْبِ وَذُهُولُهُ عَنْ مَعْنَى الْخِطَابِ، وَانْصِرَافُهُ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، حَصَلَ الْأَثَرُ وَهُوَ الِانْتِفَاعُ وَالتَّذَكُّرُ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « .... **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﵁ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: « **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوِ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ [مَفْرَدُهَا كَوْمَا وَهِيَ النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَام] زَهْرَاوَيْنِ، فَيَأْخُذَهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟!**»، قَالَ: قُلْنَا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ يُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «**فَلأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٣).

(٢) رواه مسلم (٨٠٣)، وأبو داود (١٤٥٦)، وأحمد (١٧٤٠٨)، وغيرهم.

وَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « **يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟!**» فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «**فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» قَالَ: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ عليه السلام، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: «**كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**» قَالَ: «**وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧، ٥٠٢٨)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧، ٢٩٠٨)، وابن ماجه (٢١١، ٢١٢)، وأحمد (٤٠٥، ٤١٢، ٤١٣، ٥٠٠) وغيرهم.

(٢) (**صحيح بمجموع طرقه**) أخرجه أحمد (٦٧٩٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والحاكم (٢٠٥٦ ط. دار التأصيل)، وغيرهم.

وصححه الترمذي والحاكم والذهبي وغيرهم.

كُلِّ عَشْرٍ» قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ». قَالَ: «فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ،فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ»(١)

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ [رضي الله عنه]، لَقِيَ عُمَرَ [رضي الله عنه] بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ [رضي الله عنه] يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟! قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ [رضي الله عنه]: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٢).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ [رضي الله عنه]: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟! مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له، وغيرهما.

(٢) رواه مسلم (٨١٧)، وابن ماجه (٢١٨)، وأحمد (٢٣٢)، وغيرهم.

(٣) رواه مسلم (٢٤٥٤)، وابن ماجه (١٦٣٥)، وغيرهما.

قَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:كَانَ يُقَالَ: خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَعِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ(١).

قال الْإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنِ بْنِ أَرْطَبَانِ: أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَلُزُومِ السُّنَّةِ، وَالْكَفِّ عَنِ النَّاس»(٢).

قَالَ الْأَعْمَشُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِالْعِلْمِ أَوْ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيضَعُ بِهِ آخَرِينَ، وَأَنَا مِمَّنْ يَرْفَعُنِي اللهُ بِهِ، لَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ عَلَى عَنْقِي دَنُّ صِحْنَاء(٣) أَطُوفُ بِهِ فِي سِكَكِ الْكُوفَةِ(٤).

«الْقُرْآنُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ؛ فَيَكُونُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ أَشْرَفَ مِمَّنْ تَعَلَّمَ غَيْرَ الْقُرْآنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ مُكَمِّلٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، جَامِعٌ بَيْنَ النَّفْعِ الْقَاصِرِ وَالنَّفْعِ الْمُتَعَدِي، وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَنْى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

---

(١) (**إسناده صحيح**) أخرجه اللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٤٢)، وأبو عمرو الدَّاني في «الرسالة الوافية» (٩٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٩٦) وغيرهم.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ٣٦١).

(٣) الدَّن: الإناء الكبير، والصحناء: إدام يُتخذ من السمك الصغير.

(٤) حلية الأولياء (٥/ ٥٤).

وَالدُّعَاءُ إِلَى اللهِ يَقَعُ بِأُمُورٍ شَتَّى؛ مِنْ جملتها تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْجَمِيعِ»(١).

قَالَ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصَ رَحِمَهُ اللهُ: دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ، وَخَلَاءُ الْبَطْنِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السِّحْرِ، وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ»(٢).

فَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فَهُوَ يُحِبُّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ ﷺ، وَعلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ الْقُرْآنِ، و مَنْ أَحَبَّ اللهِ أَحَبَّ كَلَامِ اللهِ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ تَلَاوَتِهِ.

وَلْنَذْكُرُ بَعْضَ النَّمَاذِجِ الَّذِينَ وُصِفُوا بِكَثْرَةِ التِّلَاوَةِ لِيَكُونُوا لَنَا قُدِوَةً وَأُسْوَةً فِي الْخَيْرِ:

قَالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ [رَحِمَهُ اللهُ] مِنْ أَحْفَظِ النَّاسِ لِلْقُرْآنِ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى خَتَمَ، فَإِنْ أَسْقَطَ حَرْفًا قَالَ: بِذَنْبٍ مِنِّي وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(٣).

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِي قَالَ: ذُكِرَ لِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَجَّاجٍ أَنَّهُ كَانَ يُدِيمُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ»(٤).

(١) فتح الباري (٨/ ٦٩٤).

(٢) سير السلف الصالحين لقوام السنة الأصبهاني ص (١٣٢٦).

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٢٨٨).

(٤) تاريخ بغداد (٥/ ١٠٣).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ بِشْرٍ الْقَطَّانُ رَحِمَهُ اللهُ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ انْتِزَاعًا لِمَا أَرَادَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ مِنْ أَبِي سَهْلِ بنِ زِيَادٍ (الْقَطَّانُ) وَكَانَ جَارَنَا، وَكَانَ يُدِيمُ صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَالتِّلاوَةَ، فَلِكَثْرَةِ دَرْسِهِ، صَارَ القُرْآنُ كَأَنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ(١).

«قَالَ ابْنُ مُفَرِّجٍ: وَكَانَ [أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْن هُذَيْلٍ التَّمِيمِيُّ الْقُرْطُبِيُّ] عَالِمًا نَزِيهًا فَصِيحًا، حَافِظًا لِلْفِقْهِ، رَاوِيَةً لِلْحَدِيثِ وَالْخَبَرِ.. حَسَنَ الْحَدِيثِ، ذَا عِفَّةٍ وَتُقًى، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ»(٢).

«عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ سُكَيْنَةَ، مَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْعُمْرِ حَتَّى حَدَّثَ بِجَمِيعِ مَرْوِيَاتِهِ مِرَارًا، وَقَصَدَهُ طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ، وَكَانَتْ أَوْقَاتُهُ مَحْفُوظَةً، وَكَلِمَاتُهُ مَعْدُودَةً، فَلَا تَمْضِي لَهُ سَاعَةٌ إِلَّا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالتَّهَجُّدِ وَقِرَاءَةِ النَّاسِ، وَكَانَ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ التَّحْدِيثِ فِي مَجْلِسِهِ بِلَغْوٍ أَوْ غِيبَةِ إِنْسَانٍ، أَوْ ذِكْرِ مَا لَا فَائِدَةَ فِيه»(٣).

«نَصْرُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَطَّارُ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرَّانِيُّ، كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، يَعْمَلُ مِنْ صَدَقَاتِهِ الْمَعْرُوفَ الْكَثِيرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ الْحَسَنَةِ، وَيُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَيُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ»(٤).

«مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَيْمُون أَبُو الْغَنَائِمِ ابْنُ النَّرْسِي الْكُوفِيُّ الْحَافِظ

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٤٥-٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢١).

(٢) ترتيب المدارك (٦/ ٢٩٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٦/ ٣٥٩ ذيل).

(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٣٨٦-٣٨٧).

الْمَعْرُوفُ بِأَبِي، قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ السَّلَامِيِّ: كَانَ شَيْخًا ثِقَةً مَأْمُونًا فَهِمًا لِلْحَدِيثِ عَارِفًا بِمَا يُحَدِّثُ، كَثِيرَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ»(١).

« عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْفَضَائِلِ التَّنُوخِيُّ الْمَعَرِّيُّ، نَشَأَ نُشُوءًا حَسَنًا وَكَانَ زَاهِدًا كَرِيمًا وَرِعًا كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، مُوَاظِبًا عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ»(٢).

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «حَمْزَةُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُفَرِّجِ أَبُو يَعْلَى الْأَزْدِيُّ الْمُقْرِئِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي خَيْشٍ، دَلَّالُ الْكُتُبِ كَتَبْتُ عَنْهُ، وَكَانَ شَيْخًا مَسْتُورًا مُوَاظِبًا عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي السَّبْعِ»(٣).

«وَهْبُ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو الْقَاسِمِ السُّلَمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزُّلَفِ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، كَانَ مُوَاظِبًا عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، مُدِيمًا عَلَى الِاعْتِكَافِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ»(٤).

«عَبْدُ الواحد بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسَلِّمِ أَبُو الْمَكَارِمِ الْأَزْدِيُّ، كَثِيرُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَمُوَاظِبٌ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ، مُتَصَدِّقٌ، حَسَنُ الْعِشْرَةِ»(٥).

---

(١) تاريخ دمشق (٥٤/ ٣٩٧)، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص (٢٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦ / ٤٤٠).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥ / ١٩٩).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣ / ٣٦٤).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧ / ٢٧٤).

«إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ، أَبُو الْفَضْلِ الخرَمِيُّ: قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ نَاصِرٍ: كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مَسْتُورًا كَثِيرَ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، مُحَافِظًا عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَحَضَرْتُ غُسْلَهُ فَرَأَيْتُ النُّورَ عَلَيْهِ، فَقَبَّلْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»(١).

«أَبُو مُحَمَّدٍ الْغَزْنَوِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ مَرْو، كَانَ شَيْخًا ظَرِيفًا، لَطِيفَ الطَّبْعِ ، وَكَانَ يُدِيمُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ»(٢).

«الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّحَّامُ الْمُقْرِئُ، شَيْخُ مِيعَادِ ابْنِ عَامِرٍ وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا بَهِيًّا، مُوَاظِبًا عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ»(٣).

«مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ أَبُو طَالِبِ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي الْمَعْرُوف بِابْن سَيِّدَة، أَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ النَّجَّارِ وَقَالَ: سَمِعت مِنْهُ وَلَمْ أَرَ إِنْسَانًا كَامِلًا غَيْرَهَ فَإِنَّهُ زَاهِدٌ عَابِدٌ وَرِعٌ تَقِيٌّ، كَثِيرُ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ مُحَافِظٌ عَلَى الْأَوْرَادِ، يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَمُطَالَعَةَ كُتُبِ الْعِلْمِ»(٤).

«أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْن بْن إِبْرَاهِيم بْن أَبِي بَكْر بْن خَلِّكان ، شَيْخٌ صَالِحٌ فَقِيهٌ، كَثِيرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، لَهُ سَمْتٌ حَسَنٌ وَوَقَارٌ»(٥).

وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ؛ فَرَضِي اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَنَا عَلَى دَرْبِهِمْ سَائِرِينَ.

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١٧/ ١٤٦).

(٢) التحبير في المعجم الكبير للسمعاني (١/ ٣٧٣).

(٣) البداية والنهاية (١٨/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٤) الوافي بالوفيات (٣ / ٢٨١).

(٥) تاريخ إربل لِابْنِ المستوفي (١ / ٣٣٢).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ «أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَقُدْوَةً لِلْعَامِلِينَ، وَمَحَجَّةً لِلسَّالِكِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْعِبَادِ أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسِلِ، فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ جَمِيعَ الطُّرُقِ، فَلَمْ يَفْتَحْ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ. فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَكَثَّرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الْغَيِّ، وَفَتَحَ بِرِسَالَتِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا. فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ. فَلَمْ يَدَعْ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَ مِنْهُ، وَنَهَى عَنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَجَاهَدَ أَعْدَاءَ اللهِ بِالْيَدِ وَالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. فَدَعَا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَسَارَ فِي الْأُمَّةِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ أَحْسَنَ سِيرَةٍ، إِلَى أَنْ أَشْرَقَتْ بِرِسَالَتِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وَتَأَلَّفَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ شَتَاتِهَا. وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ، وَبَلَغَ دِينُهُ الْقَيِّمُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ. وَاسْتَجَابَتِ الْقُلُوبُ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ طَوْعًا وَإِذْعَانًا، وَامْتَلَأَتْ بَعْدَ خَوْفِهَا وَكُفْرِهَا أَمْنًا وَإِيمَانًا. فَجَزَاهُ اللهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً تَمْلَأُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا»(١).

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٦– ٧ ط. المجمع).

فَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ صِدْقًا؛ هُمْ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَهْنَؤُهُمْ عَيْشًا، وَأَسْعَدُهُمْ حَيَاةً، وَأَثْبَتُهُمْ قَلْبًا، وَأَسْلَمُهُمْ ضَمِيرًا، وَلَوْ أَصَابَهُمْ مِنَ الْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءَاتِ مَا أَصَابَهُمْ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ: «أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي كُلّ صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصّدْرِ، وَاتّسَاعُ الْقَلْبِ، وَقُرّةُ الْعَيْنِ، وَحَيَاةُ الرّوحِ، فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا الشّرْحِ وَالْحَيَاةِ، وَقُرّةِ الْعَيْنِ، مَعَ مَا خُصّ بِهِ مِنْ الشّرْحِ الْحِسّيّ. وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ مُتَابَعَةً لَهُ، أَكْمَلُهُمْ انْشِرَاحًا وَلَذّةً وَقُرّةَ عَيْنٍ، وَعَلَى حَسَبِ مُتَابَعَتِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ، وَقُرّةِ عَيْنِهِ، وَلَذّةِ رُوحِهِ مَا يَنَالُ، فَهُوَ [ﷺ] فِي ذُرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصّدْرِ، وَرَفْعِ الذّكْرِ، وَوَضْعِ الْوِزْرِ. وَلِأَتْبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنَ اتّبَاعِهِ، وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ. وَهَكَذَا لِأَتْبَاعِهِ نَصِيبٌ مِنْ حِفْظِ اللهِ لَهُمْ، وَعِصْمَتِهِ إِيّاهُمْ، وَدِفَاعِهِ عَنْهُمْ، وَإِعْزَازِهِ لَهُمْ، وَنَصْرِهِ لَهُمْ، بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْمُتَابَعَةِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ. فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

«بِحَسَبِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ [ﷺ] تَكُونُ الْعِزَّةُ وَالْكِفَايَةُ وَالنُّصْرَةُ، كَمَا أَنَّ بِحَسَبِ مُتَابَعَتِهِ تَكُونُ الْهِدَايَةُ وَالْفَلَاحُ وَالنَّجَاةُ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَّقَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ بِمُتَابَعَتِهِ، وَجَعَلَ شَقَاوَةَ الدَّارَيْنِ فِي مُخَالَفَتِهِ، فَلِأَتْبَاعِهِ الْهُدَى وَالْأَمْنُ، وَالْفَلَاحُ، وَالْعِزَّةُ وَالْكِفَايَةُ وَالنُّصْرَةُ، وَالْوِلَايَةُ وَالتَّأْيِيدُ، وَطِيبُ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِمُخَالِفِيهِ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ، وَالْخَوْفُ، وَالضَّلَالُ، وَالْخِذْلَانُ، وَالشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(٢).

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٧-٢٨ ط. الرسالة)، و (٢/ ٣٢-٣٣ ط. المجمع).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٧ ط. الرسالة)، و(١/ ١١ ط. المجمع).

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[سورة آل عمران : ٣١ – ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [سورة النساء: ٦٥].

«كُلُّ مَحَبَّةٍ وَتَعْظِيمٍ لِلْبَشَرِ فَإِنَّمَا تَجُوزُ تَبَعًا لِمَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ، كَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ [ﷺ] وَتَعْظِيمِهِ، فَإِنَّهَا مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ مُرْسِلِهِ وَتَعْظِيمِهِ، فَإِنَّ أُمَّتَهُ يُحِبُّونَهُ لِحُبِّ اللهِ لَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُجِلُّونَهُ لِإِجْلَالِ اللهِ لَهُ، فَهِيَ مَحَبَّةٌ لِلَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ. وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَمَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَإِجْلَالُهُمْ تَابِعٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ [ﷺ] لَهُمْ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَلْقَى اللهُ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى] عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مُخْلِصٍ حَظٌّ مِنْ ذَلِكَ»(١).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ التَّبُوكِيَّةِ» ص (٢٥-٢٦ ط المجمع): فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَجَلِّ مُقْسَمٍ بِهِ – وَهُوَ نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ– عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَثْبُتُ لَهُمُ الْإِيمَانُ، وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ [ﷺ] فِي جَمِيعِ مَوَارِدِ النِّزَاعِ، وَهُوَ كُلُّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنْ مَسَائِلِ النِّزَاعِ فِي جَمِيعِ

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ص (٢٠٥ ط. المجمع).

أَبْوَابِ الدِّينِ ..... وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ انْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ بِحُكْمِهِ، حَيْثُ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا – وَهُوَ الضِّيقُ وَالْحَصَرُ – مِنْ حُكْمِهِ، بَلْ يَتَلَقَّوْا حُكْمَهُ بِالانْشِرَاحِ، وَيُقَابِلُوهُ بِالْقَبُولِ؛ لَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ عَلَى إِغْمَاضٍ، وَيَشْرَبُونَهُ عَلَى أَقْذَاءٍ، فَإِنَّ هَذَا مُنَافٍ لِلْإِيمَانِ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ بِقَبُولٍ وَرِضًى وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ. وَمَتَى أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ مِنْ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِهِ، وَلْيُطَالِعْ قَلْبَهُ عِنْدَ وُرُودِ حُكْمِهِ عَلَى خِلَافِ هَوَاهُ وَغَرَضِهِ، أَوْ عَلَى خِلَافِ مَا قَلَّدَ فِيهِ أَسْلَافَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ، وَمَا دُونَهَا ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة القيامة: ١٤ – ١٥] انتهى.

«فَإِنَّ السُّنَّةَ حِصْنُ اللهِ الْحَصِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَاصِلِينَ، تَقُومُ بِأَهْلِهَا وَإِنْ قَعَدَتْ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَيَسْعَى نُورُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِذَا طُفِئَتْ لِأَهْلِ الْبِدَعِ وَالنِّفَاقِ أَنْوَارُهُمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ هُمُ الْمُبْيَضَّةُ وُجُوهُهُمْ إِذَا اسْوَدَّتْ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ.

وَهِيَ الْحَيَاةُ وَالنُّورُ اللَّذَانِ بِهِمَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ وَهُدَاهُ وَفَوْزُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

فَصَاحِبُ السُّنَّةِ حَيُّ الْقَلْبِ، مُسْتَنِيرُهُ، وَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ مَيِّتُ الْقَلْبِ مُظْلِمُهُ»(١).

(١) اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص (١٠، ١١ ط. المجمع).

«فَإِنَّهُمْ [أَهْلَ السُّنَّةِ] الْمُسْتَحِقُّونَ لِلْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَنِعَمُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَاطِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ، وَهُمْ أَوْلِيَاءِ الرَّسُولِ [ﷺ] وَحِزْبُهُ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْ سُنَّتِهِ فَهُمْ أَعْدَاؤُهُ وَحَرْبُهُ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي نُصْرَةِ سُنَّتِهِ مَلَامَةُ اللُّوَّامِ، وَلَا يَتْرُكُونَ مَا صَحَّ عَنْهُ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنَامِ، وَالسُّنَّةُ أَجَلُّ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا رَأْيًا فِقْهِيًّا، أَوْ بَحْثًا جَدَلِيًّا، أَوْ خَيَالًا صُوفِيًّا، أَوْ تَنَاقُضًا كَلَامِيًّا، أَوْ قِيَاسًا فَلْسَفِيًّا، أَوْ حُكْمًا سِيَاسِيًّا، فَمَنْ قَدَّمَ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَبَابُ الصَّوَابِ عَلَيْهِ مَسْدُودٌ، وَهُوَ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ مَصْدُودٌ»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦– ١٥٧]. ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾[سورة النور: ٥٤].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ**

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (١٦ ط. المجمع).

فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى ؟! قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٢).

«وَالْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشْرِ ظُلُمَاتٍ: ظُلْمَةُ الطَّبْعِ، وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ، وَظُلْمَةُ الْهَوَى، وَظُلْمَةُ الْقَوْلِ، وَظُلْمَةُ الْعَمَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُدْخَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُخْرَجِ، وَظُلْمَةُ الْقَبْرِ، وَظُلْمَةُ الْقِيَامَةِ، وَظُلْمَةُ دَارِ الْقَرَارِ. فَالظُّلْمَةُ لَازِمَةٌ لَهُمْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ. وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشَرَةِ أَنْوَارٍ، وَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا مِنَ النُّورِ مَا لَيْسَ لِأُمَّةٍ غَيْرِهَا، وَلَا لِنَبِيٍّ غَيْرِهِ، فَإِنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمْ نُورَيْنِ، وَلِنَبِيِّنَا ﷺ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ نُورٌ تَامٌّ، كَذَلِكَ صِفَتُهُ وَصِفَةُ أُمَّتِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ»(٣).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَاطْمَأَنَّ بِقُرْبِهِ، حَتَّى الْجَمَادَات، فَهَذَا الْجِذْعُ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ عَلَيْهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ حَنَّ الْجِذْعُ إِلَيْهِ

---

(١) تقدم تخريجه ص (٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٨٧٢٨) وغيرهما.

(٣) اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص (١٦ – ١٧ ط. المجمع).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَكَى»(١).

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا عِبَادَ اللهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ»(٢).

إِيْ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ، نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّوْقِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَذَا الْجِذْعِ، وَمَا أَعْظَمَ اتِّبَاعه ﷺ فَهُوَ طَرِيقٌ يُنِيرُ الْقَلْبَ، وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُرِيحُ الضَّمِيرَ، وَيَجْعَلُ الْحَيَاةَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، وَلَوْ وُجِدَ فِيهَا مَا يُنَغِّصُهَا مِنَ الْآلَامِ وَالِابْتِلَاءَاتِ وَالْمِحَنِ.

وَنَظْرَةٌ إِلَى حَيَاةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تُوَضِّحُ ذَلِكَ غَايَةَ الْوُضُوحِ، وَتُؤَكِّدُهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ.

كَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الْأَشْيَاءُ، عَلَى خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، فَمَا وَافَقَهَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ الْبَاطِلُ»(٣).

---

(١) حديث متواتر، وانظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني رقم (٢٦٣) منهم جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٩١٨، ٢٠٩٥، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، والنسائي (١٣٩٦)، وابن ماجه (١٤١٧)، وأحمد (١٤١١٩، ١٤١٤٢، ١٤٢٠٦، ١٤٢٨٢) وغيرهم.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان (٦٥٠٧ إحسان)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٥٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع رقم (٨).

« وَمِنْ هَاهُنَا يُعْلَمُ اضْطِرَارُ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ [ﷺ] وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللهِ أَلْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ. فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ، لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ. وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ إِذَا غَابَ عَنْكَ هَدْيُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَسَدَ قَلْبُكَ، وَصَارَ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ، وَوُضِعَ فِي الْمِقْلَاةِ، فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ، كَهَذِهِ الْحَالِ، بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لَا يُحِسّ بِهَذَا إِلَّا قَلْبٌ حَيٌّ، وَ «**مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ**»(١)، وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا، أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ. وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ، وَمُسْتَكْثِرٍ، وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(٢).

---

(١) عجز بيت للمتنبي، وصدره: مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ .

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٩-٧٠ ط. الرسالة)، و(١/ ٥١ ط. المجمع).

«وَهَكَذَا النَّاسُ الْيَوْمَ إِنَّمَا قِيَامُهُمْ بِقِيَامِ آثَارِ نَبِيِّهِمْ وَشَرَائِعِهِ بَيْنَهُمْ [ﷺ] وَقِيَامُ أُمُورِهِمْ وحُصُولُ مَصَالِحِهِمْ وَانْدِفَاعُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ عَنْهُمْ بِحَسَبِ ظُهُورِهَا بَيْنَهُمْ وَقِيَامِهَا، وَهَلَاكُهُمْ وَعَنَتُهُمْ وَحُلُولُ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ بِهِمْ عِنْدَ تَعَطُّلِهَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالتَّحَاكِمِ إِلَى غَيْرِهَا وَاتِّخَاذِ سِوَاهَا.

وَمَنْ تَأَمَّلَ تَسْلِيطَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ سَلَّطَهُ عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ مِنَ الْأَعْدَاءِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَعْطِيلِهِمْ لِدِينِ نَبِيِّهِمْ وَسُنَنِهِ وَشَرَائِعِهِ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أهلَكَهُمْ وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ، حَتَّى إِنَّ الْبِلَادَ الَّتِي لِآثَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَسُنَنِهِ وَشَرَائِعِهِ فِيهَا ظُهُورٌ دُفِعَ عَنْهَا بِحَسَبِ ظُهُورِ ذَلِكَ بينهمْ»(١).

«فَطَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَمِدَهُ، وَهُوَ سَبَبُ السَّعَادَةِ، كَمَا أَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ سَبَبُ الشَّقَاوَةِ»(٢).

« وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَحَاجَةُ الْعَالَمِ إِلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ، وَأَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ الَّذِي لَا حَيَاةَ بِدُونِهِ»(٣).

« فَالْحَاجَةُ إِلَى الرُّسُلِ ضَرُورِيَّةٌ، بَلْ هِيَ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، فَلَيْسَ الْعَالَمُ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين، وَلِهَذَا يُذَكِّرُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ بِرَسُولِهِ [ﷺ]، وَيَعُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْظَمِ

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ص (٣٦١ ط. المجمع).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٢١)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ١٥٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (٣ / ٢٣).

الْمِنَنِ لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَلِتَوَقُّفِ مَصَالِحِهِمُ الْجُزْئِيَّةِ وَالْكُلِّيَّةِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا سَعَادَةَ لَهُمْ، وَلَا فَلَاحَ، وَلَا قِيَامَ إِلَّا بِالرُّسِلِ. ...... فَلَوْلَا النُّبُوَّاتُ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَالَمِ عِلْمٌ نَافِعٌ أَلْبَتَّةَ، وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا صَلَاحٌ فِي مَعِيشَةٍ، وَلَا قِوَامٌ لِمَمْلَكَةٍ، وَلَكَانَ النَّاسُ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ الْعَادِيَةِ، وَالْكِلَابِ الضَّارِيَةِ الَّتِي يَعْدُو بَعْضُهَا عَلَى بَعْض»(١).

« فَرْقُ مَا بَيْنَ وَرَثِةِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَصْلُهُ مَبْنِيٌّ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ عُمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ بالسُّنَّةِ، إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ فِي مَعَارِفِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ أَلْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا حَاجَتُنَا إِلَى مَنْ يُبلغنا عَنْهُ مَا جَاءَ بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ هَذَا فِي قَلْبِهِ لَمْ يَرْسَخْ قَدَمُهُ فِي الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ [ﷺ]، بَلْ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ فِي ذَلِكَ، كَمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُكَلَّفِينَ، فَكَمَا لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ رِسَالَتِهِ أَلْبَتَّةَ فَكَذَلِكَ لَا يَخْرُجُ حَقٌّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَمَّا جَاءَ بِهِ، فما جَاءَ بِهِ هُوَ الْكَافِي الَّذِي لَا حَاجَةَ بِالْأُمَّةِ إِلَى سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إلى غَيْرِهِ مَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ، فَبِحَسَبِ قِلَّةِ نَصِيبِهِ مِنْ ذَلِكَ تَكُونُ حَاجَتُهُ، وَإِلَّا فَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرَ لِلْأُمَّةِ مِنْهُ عِلْمًا، وَعَلَّمَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى آدَابَ التَّخَلِّي، وَآدَابَ الْجِمَاعِ، وَالنَّوْمِ، وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ، وَوَصَفَ لَهُمُ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَالْمَلَائِكَةَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ، حَتَّى

---

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (٣ / ٢١-٢٢).

كَأَنَّهُمْ رَأْيُ عَيْنٍ، وَعَرَّفَهُمْ بِرَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ أَتَمَّ تَعْرِيفٍ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَمَا وَصَفَهُ لَهُمْ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوت جَلَالِهِ، وَعَرَّفَهُمُ الْأَنْبِيَاء وَأُمَمَهُمْ وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَهُمْ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَهُمْ، وَعَرَّفَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا، مَا لَمْ يُعَرِّفْهُ نَبِيٌّ لِأُمَّتِهِ قَبْلَهُ.

وَعَرَّفَهُمْ مِنْ أَحْوَالِ المَوت وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ فِي الْبَرْزَخِ، وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ مَا جَلَّى لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى كَأَنَّهُمْ يُعَايِنُوهُ.

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالمَعَادِ وَالرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، مَا لَيْسَ لِمَنْ عَرَفَهُ حَاجَةٌ إِلَى كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَلْبَتَّةَ.

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ مَكَايِدِ الْحُرُوبِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ وَطُرُقِ الظَّفَرِ بِهِ، مَا لَوْ عَلِمُوهُ وَفَعَلُوهُ لَمْ يَقُمْ لهُمْ عَدُوٌّ أَبَدًا.

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ وَطُرُقِهِ الَّتِي يَأْتِيهِمْ مِنْهَا وَمَا يَحْتَرِزُونَ بِهِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ، وَمَا يَدْفَعُونَ بِهِ شَرَّهُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ أَرْشَدَهُمْ فِي مَعَاشِهِمِ إِلَى مَا لَوْ فَعَلُوهُ لَاسْتَقَامَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ أَعْظَمَ اسْتِقَامَةٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَجَاءَهُمْ بِخَيْرِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحَذَافِيرِهِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ بِهِمْ حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، وَلِهَذَا خَتَمَ اللهُ بِهِ دِيوَانَ النُّبُوَّةِ، فَلَمْ يَجْعَلْ بَعْدَهُ رَسُولًا، لِاسْتِغْنَاءِ الْأُمَّةِ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ شَرِيعَتَهُ الْكَامِلَةَ الْمُكَمَّلَةَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى سِيَاسَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا، أَوْ إِلَى حَقِيقَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا، أَوْ إِلَى قِيَاسٍ خَارِجٍ عَنْهَا، أَوْ إِلَى مَعْقُولٍ خَارِجٍ عَنْهَا؟!

فَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ ظَنَّ أَنَّ بِالنَّاسِ حَاجَةً إِلَى رَسُولٍ آخَرَ بَعْدَهُ.

وَسَبَبُ هَذَا كُلِّهِ خَفَاءُ مَا جَاء بِهِ عَلَى مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذِلَانِ!! وَلَكِنْ مَنْ أُوتِيَ فَهْمًا فِي الْكِتَابِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ اسْتَغْنَى بِهِمَا عَنْ غَيْرِهِمَا بِحَسَبِ مَا أُوتِيَهُ مِنَ الْفَهْمِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(١).

« فَرَأَس الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يُحَمِّلَهُ مُعَارَضَةَ خَيَالٍ بَاطِلٍ، يُسَمِّيهِ مَعْقُولًا. أَوْ يُحَمِّلَهُ شُبْهَةً أَوْ شَكًّا، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ، فَيُوَحِّدُهُ بِالتَّحْكِيمِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالِانْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى] بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ.

فَهُمَا تَوْحِيدَانِ. لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا بِهِمَا: تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى]. وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ [ﷺ]. فَلَا يُحَاكِمُ إِلَى غَيْرِهِ. وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ. وَلَا يَقِفُ [يُعَلِّقُ] تَنْفِيذُ أَمْرِهِ. وَتَصْدِيقُ خَبَرِهِ. عَلَى عَرْضِهِ عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ وَإِمَامِهِ، وَذِي مَذْهَبِهِ وَطَائِفَتِهِ، وَمَنْ يُعَظِّمُهُ. فَإِنْ أَذِنُوا لَهُ نَفَّذَهُ وَقَبِلَ خَبَرَهُ!!»(٢).

« وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ. حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ، وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [سورة الحجرات: ١]. وَهَذَا

---

(١) بدائع الفوائد (٣ / ١٠٩٢-١٠٩٥ ط. المجمع).باختصار.

(٢) مدارج السالكين (٣ / ١٥٧ ط. المجمع).

بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُنْسَخْ. فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَّاتِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا تُرْفَعَ الَاصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ؛ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ. فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ؟! أَتَرَى ذَلِكَ مُوجِبًا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ مُوجِبٌ لِحُبُوطِهَا؟!(١).

« وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ، بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْآرَاءُ لِقَوْلِهِ، وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ، بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ. وَلَا يُحَرَّفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ يُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ مَعْقُولًا، نَعَمْ هُوَ مَجْهُولٌ، وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ، وَلَا يُوقَفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ [ﷺ]. وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ»(٢).

فَبِاللهِ عَلَيْكُمْ كَمْ مِنْ رِقَابٍ قُطِّعَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ رُؤُوسٍ تَطَايَرَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ أَشْلَاءٍ مُزِّقَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ سُجُونٍ فُتِحَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ مَعْتَقَلَاتٍ بُنِيتْ؟!، وَكَمْ مِنْ نِسَاءٍ رُمِّلَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ أَطْفَالٍ يُتِّمَتْ؟!، وَكَمْ مِنْ مَصَائِبَ وَهُمُومٍ وَآلَامٍ وأَحْزَانٍ تَرَاكَمَتْ؟! مَعَ صَبْرٍ وَرِضًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ ﷺ، كُلُّ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنْهُ فِي مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَحَبَّةِ دِينِهِ !!!.

«الشَّرْعُ مِيزَانٌ تُوزَنُ بِهِ الرِّجَالُ، وَبِهِ يُتَبَيَّنُ الرِّبْحُ مِنَ الْخُسْرَانِ، فَمَنْ رَجَحَ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ الرُّجْحَانِ،

(١) مدارج السالكين (٣ / ١٥٩-١٦٠ ط. المجمع).

(٢) نفسه (٣ / ١٦١ ط. المجمع).

فَأَعْلاهَا مَرَاتِبُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَلَا تَزَالُ الرُّتَبُ تَتَنَاقَصُ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى أَقَلِّ مَرَاتِبِ الرُّجْحَانِ. وَمَنْ نَقَصَ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ فَأُولَئِكَ أَهْلُ الْخُسْرَانِ، وَتَتَفَاوَتْ خِفَّتُهُمْ فِي الْمِيزَانِ، فَأَخَسُّهَا مَرَاتِبُ الْكُفَّارِ، وَلَا تَزَالُ الْمَرَاتِبُ تَتَنَاقَصُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَنْزِلَةِ مُرْتَكِبِ أَصْغَرِ الصَّغَائِرِ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، أَوْ يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ، ثُمَّ يُخَالِفُ الشَّرْعَ بِارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَلِّلٍ، أَوْ يَتْرُكُ الْوَاجِبَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُجَوِّزٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ شَيْطَانٌ نَصَبَهُ اللهُ فِتْنَةً لِلْجَهَلَةِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ لِلضَّلَالِ، فَإِنَّ الدَّجَّالَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فِتْنَةً لِأَهْلِ الضَّلَالِ، وَكَذَلِكَ يَأْتِي الْخَرِبَةَ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ (ذُكُورِ) النَّحْلِ، وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، وَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ، وَيَدْخُلُ النِّيرَانَ، فَإِنَّهُ مُرْتَكِبٌ لِلْحَرَامِ بِأَكْلِ الْحَيَّاتِ، وَفَاتِنٌ لِلنَّاسِ بِدُخُولِ النِّيرَانِ؛ لِيَقْتَدُوا بِهِ فِي ضَلَالَتِهِ، وَيُتَابِعُوهُ عَلَى جَهَالَتِهِ»(١).

وَأَعْظَمُ النَّاسِ اتِّبَاعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمَحَبَّةً هُوَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ [رضي الله عنهما]: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ

---

(١) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للعزِّ بن عبد السلام (٢/ ٣٧٤ ط. دار القلم).

[رضي الله عنه]: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رضي الله عنه]: فَوَ اللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ [رضي الله عنه] لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(١).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ فَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّلَامُ- ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ [رضي الله عنه] بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ [رضي الله عنه]، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ [رضي الله عنها] تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ [رضي الله عنه] نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ خَيْبَرَ، وَفَدَكٍ، وَصَدَقَتَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ [رضي الله عنه] إِلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]، وَأَمَّا خَيْبَرُ، وَفَدَكُ، فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ [رضي الله عنه]، وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَانَتَا لِحُقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ [تَنْزِلُ بِهِ وَتَنْتَابُهُ] وَنَوَائِبِهِ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٥٦، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥، ٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠)، وأبو داود (١٥٥٦، ١٥٥٧)، والنسائي (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٦٠٧)، وأحمد (٦٧، ١١٧، ٢٣٩ مرسلًا ، ٣٣٥) وغيرهم.

قَالَ [أيِ الزُّهْرِيُ]: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى اليَوْمِ»(١).

وَمِنْهُمُ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. ثُمَّ قَالَ: «فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ»، ثُمَّ قَالَ: «شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ»(٢).

وَالرَّمَلُ: الْهَرْوَلَةُ. أيْ أَثْنَاء الطَّوَافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ خَالِدٍ رحمه الله وَغَيْرُهُ: إِنَّ حَفْصَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مُطِيعٍ، وَعَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ [رضي الله عنهم] كَلَّمُوا عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالُوا: لَوْ أَكَلْتَ طَعَامًا طَيِّبًا كَانَ أَقْوَى لَكَ عَلَى الْحَقِّ. قَالَ: أَكُلُّكُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ؟! قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ نُصْحَكُمْ وَلَكِنِّي تَرَكْتُ صَاحِبَيَّ عَلَى جَادَّةٍ، فإِنْ تَرَكْتُ جادَّتَهُمَا لَمْ أُدْرِكْهُمَا فِي الْمَنْزِلِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩/ ٥٢، ١٧٥٨ / ٥٣، ٥٤) وأبو داود (٢٩٦٨-٢٩٧٠)، والنسائي (٤١٤١ مختصرًا)، وأحمد (١٤، ٢٥، ٥٥، ٥٨) وغيرهم

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٧، ١٦٠٥، ١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠)، وأبو داود (١٨٧٣)، والنسائي (٢٩٣٧)، والترمذي (٨٦٠)، وابن ماجه (٢٩٤٣) وأحمد (٩٩، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٧٤، ٣٢٥، ٣٦١، ٣٨٠) وغيرهم.

(٣) أخرجه معمر في جامعه (٢٠٣٨١)، ومن طريقه البيهقي (٩/ ٤٢)، وفي شعب الإيمان (٥٢٨٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩٠-٢٩١). وغيرهم.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ [رضي الله عنه]، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا، كَمَا قَالَهُ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: فَتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَوْ يُفْتَحُ؟ قُلْتُ: بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقُ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ؟ إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ»(١).

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الحَدَثَانِ النَّصْرِيِّ رحمه الله أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه دَعَاهُ؛ إِذْ جَاءَهُ حَاجِبُهُ يَرْفَأُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدٍ [رضي الله عنهم] يَسْتَأْذِنُونَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَأَدْخِلْهُمْ، فَلَبِثَ قَلِيلًا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ، وَعَلِيٍّ [رضي الله عنهما] يَسْتَأْذِنَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا دَخَلَا قَالَ عَبَّاسٌ [رضي الله عنه]: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا، وَهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِي الَّذِي أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فَاسْتَبَّ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ [رضي الله عنهما]، فَقَالَ الرَّهْطُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرِحْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥،١٤٣٥،١٨٩٥،٣٥٨٦،٧٠٩٦) ومسلم (١٤٤، وكتاب الفتن ١٤٤/ ٢٦، ٢٧) والترمذي (٢٢٥٨) وابن ماجه (٣٩٥٥) وأحمد (٢٣٤١٢، ٢٣٤٤٠)، وغيرهم.

أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ، فَقَالَ عُمَرُ [ﭬ]: اتَّئِدُوا، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»، يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ؟ قَالُوا: قَدْ قَالَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ [ﭬ] عَلَى عَبَّاسٍ، وَعَلِيٍّ [ﭭ] فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾[سورة الحشر: ٦].

فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وَاللهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَهَا عَلَيْكُمْ، لَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَقَسَمَهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ هَذَا المَالُ مِنْهَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللهِ فَعَمِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيَاتَهُ، ثُمَّ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ [ﭬ]: فَأَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَبَضَهُ أَبُو بَكْرٍ [ﭬ] فَعَمِلَ فِيهِ بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ [ﭭ] وَقَالَ: تَذْكُرَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ [ﭬ] فِيهِ كَمَا تَقُولَانِ، وَاللهُ يَعْلَمُ: إِنَّهُ فِيهِ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ؟ ثُمَّ تَوَفَّى اللهُ أَبَا بَكْرٍ [ﭬ]، فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ [ﭬ]، فَقَبَضْتُهُ سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي أَعْمَلُ فِيهِ بِمَا عَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ [ﭬ]، وَاللهُ يَعْلَمُ: أَنِّي فِيهِ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ؟ ثُمَّ

جِئْتُمَانِي كِلَاكُمَا، وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، فَجِئْتَنِي- يَعْنِي عَبَّاسًا [رضي الله عنه]، فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**». فَلَمَّا بَدَا لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ: لَتَعْمَلَانِ فِيهِ بِمَا عَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] وَمَا عَمِلْتُ فِيهِ مُنْذُ وَلِيتُ، وَإِلَّا فَلَا تُكَلِّمَانِي، فَقُلْتُمَا ادْفَعْهُ إِلَيْنَا بِذَلِكَ، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا، أَفَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ، فَوَ اللهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، لَا أَقْضِي فِيهِ بِقَضَاءٍ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهُ فَادْفَعَاهُ إِلَيَّ فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهُ»(١).

وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَبُو الْحَسَنِ رضي الله عنه:

عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ رحمه الله قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ، وَعَلِيًّا رضي الله عنهما وَعُثْمَانُ [رضي الله عنه] «يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ، (أي التَّمَتُّع بِالْعُمْرَةِ مَعَ الْحَجِّ) وَأَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا»، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا؛ فَقَالَ: لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا، فَقَالَ عُثْمَانُ [رضي الله عنه]: تَرَانِي أَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَفْعَلُهُ!! فَقَالَ عليٌّ [رضي الله عنه]: «مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥)، ومسلم (١٧٥٧)، وأبو داود (٢٩٦٣، ٢٩٦٤)، والنسائي (٤١٤٨)، والترمذي (١٦١٠)، وأحمد (٤٢٥، ١٧٨١، ١٧٨٢) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦٣)، والنسائي (٢٧٢٢-٢٧٢٤) وغيرهما.

وأخرجه البخاري (١٥٦٩)، ومسلم (١٢٢٣) وغيرهما من طريق أخرى بنحوه.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ»(١).

وَمِنْهُمْ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنهما:

قَالَ رضي الله عنه: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»(٢).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:

قَالَ رضي الله عنه: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ»(٣).

وقَالَ رضي الله عنه: «الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ»(٤).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ رحمه الله قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه الْيَمَنَ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِ مَحَبَّتِي فَمَا فَارَقْتُهُ حَتَّى حَثَوْتُ عَلَيْهِ التُّرَابَ بِالشَّامِ مَيِّتًا، رَحِمَهُ اللهُ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أَفْقَهِ النَّاسِ بَعْدَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ [رضي الله عنه]، فَقَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَتَتْ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ لِغَيْرِ وَقْتِهَا؟! فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أبو داود (١٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «زياداته على المسند» (٩١٧)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٢) وغيره.

(٣) (**صحيح**) أخرجه الدارمي (٢١١) وغيره.

(٤) (**صحيح**) أخرجه الدارمي (٢٢٣) وغيره.

ذَلِكَ؟ قَالَ: صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَاجْعَلْ ذَلِكَ مَعَهُمْ سُبْحَةً. فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ لَنَا بِالْجَمَاعَةِ؟! فَقَالَ: يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونٍ، إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»(١).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْحَبْرُ الْبَحْرُ رضي الله عنهما:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ رحمه الله، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقُلْتُ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: نَعَمْ، «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ»(٢).

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رحمه الله: أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]: أَضْلَلْتَ النَّاسَ!! قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ؟!» قَالَ: تَأْمُرُ بِالْعُمْرَةِ فِي هَؤُلَاءِ الْعَشْرِ، وَلَيْسَتْ فِيهِنَّ عُمْرَةٌ، فَقَالَ: «أَوَلَا تَسْأَلُ أُمَّكَ عَنْ ذَلِكَ؟!» فَقَالَ عُرْوَةُ: فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ [رضي الله عنهما] لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]: «هَذَا الَّذِي أَهْلَكَكُمْ، - وَاللهِ - مَا أَرَى إِلَّا سَيُعَذِّبُكُمْ، إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَتَجِيئُونِي بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ [رضي الله عنهما]» فَقَالَ: عُرْوَةُ: هُمَا وَاللهِ كَانَا أَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَتْبَعَ لَهَا مِنْكَ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رحمه الله: قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ [رضي الله عنهما] عَلَى مَا وَصَفَهُمَا بِهِ عُرْوَةُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَلَّدَ أَحَدٌ فِي تَرْكِ مَا ثَبَتَتْ بِهِ سُنَّةُ

---

(١) **(صحيح)** أخرجه أحمد (٢٢٠٢٠)، وأبو داود (٤٣٢)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٦٠) وغيرهم.

(٢) أخرجه الدارمي (١٤١) وفي سنده ضعف ولكن له شواهد.

رَسُولِ اللهِ ﷺ»(١).

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَشَدُّ النَّاسِ اتِّبَاعًا لِآثَارِ النَّبِيِّ ﷺ:

قَالَ نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ: لَوْ نَظَرْتَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ [رضي الله عنهما] إِذَا اتَّبعَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ لَقُلْتَ: هَذَا مَجْنُوْنٌ»(٢).

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رحمه الله، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**». قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ! وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ! وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ!!»(٣).

وَمِنْهُمْ: سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رضي الله عنه:

قَالَ رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ [رضي الله عنه] فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟! فَقَالَ: «**بَلَى**». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي

---

(١) (**صحيح**) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» رقم (٣٨٠).

وانظر: مسند أحمد (٢٢٧٧، ٢٩٧٦، ٣١٢١، ٣٣٥١).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٣) وفي إسناده ضعف.

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٢)، وأبو داود (٥٦٨)، والترمذي (٥٧٠)، وابن ماجه (١٦)، وأحمد (٥٤٦٨، ٦٢٥٢) وغيرهم. والمرفوع منه متفق عليه.

الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**»، فَانْطَلَقَ عُمَرُ [ﷺ] إِلَى أَبِي بَكْرٍ [ﷺ] فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ [ﷺ] إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ [ﷺ]: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، وَاللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ»(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ فَضِيلَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ وَعَظِيمُ اتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **نَهَى عَنِ الخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الخَذْفَ**، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ**» ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ **نَهَى عَنِ الخَذْفِ، أَوْ كَرِهَ الخَذْفَ**، وَأَنْتَ تَخْذِفُ لَا أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨١، ٣١٨٢، ٤١٨٩، ٤٨٤٤، ٧٣٠٨)، ومسلم (١٧٨٥)، وأحمد (١٥٩٧٥)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤)، وابن ماجه (١٧، ٣٢٢٦)، وأحمد (٢٠٥٥١، ٢٠٥٧٠) وغيرهم.

وَمِنْهُمْ: عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». وَفِي رِوَايَةٍ «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**». فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةً، وَمِنْهُ ضَعْفًا، قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ [رضي الله عنه] حَتَّى احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ»(١).

وَمِنْهُمْ: أَيُّوبُ بنُ أَبِي تَمِيمَةَ كَيْسَانَ السّخْتِيَانِيُّ – إِمَامُ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

قَالَ سَلَّامُ بنُ أَبِي مُطِيعٍ رحمه الله: رَأَى أَيُّوبُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ الذِّلَّةَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿**سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ**﴾ [سورة الأعراف: ١٥٢] ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لِكُلِّ مُفتَرٍ. وَكَانَ يُسَمِّي أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ خَوَارِجَ، وَيَقُوْلُ: إِنَّ الخَوَارِجَ اخْتَلَفُوا فِي الاسْمِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى السَّيفِ.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟! فَوَلَّى وَهُوَ يَقُوْلُ: وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ – مَرَّتَيْنِ –(٢).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الرَّبَّانِي، وَالصِّدِّيقُ الثَّانِي، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)، وأبو داود(٤٧٩٦)، وأحمد (١٩٨٣٠، ١٩٩١٤، ١٩٩٥٧، ١٩٩٥٨، ١٩٩٧٢، ١٩٩٩٩) وغيرهم.

(٢) حلية الأولياء (٣ / ٩)، وسير أعلام النبلاء (٦ / ٢١).

الشَّيْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ إِمَامُ الدُّنْيَا(١).

وقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ - رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا-: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللهُ] فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ(٢).

وقَالَ أَبُو جَعْفَر مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْمُخَرَّمِي: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَقَعُ فِي أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللهُ] فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ(٣).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بِنِ الْفَضْلِ الْأَسَدِيُّ الصَّيْدَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللهُ] لِيُضْرَبَ، جَاءُوا إِلَى بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ [رَحِمَهُ اللهُ] فَقَالُوا له: قَدْ حُمِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللهُ]، وَحُمِلَتِ السِّيَاطُ، وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: تُرِيدُونَ مِنِّي مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ؟! لَيْسَ ذَا عِنْدَي، حَفِظَ اللهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ(٤).

وَمِنْهُمْ: شَيْخُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي عَصرِهِ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ خَلَفٍ البَرْبَهَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفَقِيهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الْبَغْدَادِيَّ يُحِبُّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ بَشَّارٍ

---

(١) تقدمة المعرفة لابن أبى حاتم ص (٢٩٥)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٥).

(٢) تقدمة المعرفة ص (٣٠٨).

(٣) تقدمة المعرفة ص (٣٠٨-٣٠٩).

(٤) تقدمة المعرفة ص (٣١٠)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٨-٢٩).

[عَلِيّ بْن مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ]، وأَبَا مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيَّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ(١).

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَثَلُ أَصْحَابِ الْبِدَعِ مَثَلُ الْعَقَارِبِ، يَدْفِنُونَ رُؤوسَهُمْ وَأَبْدَانَهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيُخْرِجُونَ أَذْنَابَهُمْ، فَإِذَا تَمَكَّنُوا لَدَغُوا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِدَعِ، وَهُمْ مُخْتَفُونَ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا تَمَكَّنُوا بَلَغُوا مَا يُرِيدُون(٢).

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَامِلُ لِوَاءِ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِمَا، وَإِعَادَةِ النَّاسِ إِلَى النَّبْعِ الصَّافِي، مُجَدِّدُ الْقَرْنِ السَّابِعِ.

قَالَ عَنْه الشَّيْخُ عِمَادُ الدّينِ الْواسِطِيُّ ابْنُ شَيْخِ الْحِزَامِيِّين،رَحِمَهُ اللَّهُ: « مَا رَأَيْنَا فِي عَصْرِنَا هَذَا مَنْ تُسْتَجْلَى النُّبُوَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ وَسُنَنُهَا مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا هَذَا الرَّجُلَ [شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ]، يَشْهَدُ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا هُوَ الِاتِّبَاعُ حَقِيقَةً»(٣).

وقَالَ الْإِمَامُ الْمِزِّيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ [صلى الله عليه وسلم]، وَأَتْبَعَ لَهُمَا مِنْهُ»(٤).

وَكَانَ الْإِمَامُ الْمِزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُبَالِغُ فِي تَعْظِيمِ الشَّيْخِ [ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ]، وَالثَّنَاءِ

---

(١) طبقات الحنابلة (٣ / ١١١).

(٢) طبقات الحنابلة (٣ / ٧٧).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤ / ٥٠٥).

(٤) الرد الوافر ص (١٢٩).

عَلَيْهِ، حَتَّى كَانَ يَقُولُ: لَمْ يُرَ مِثْلُهُ مُنْذُ أَرْبَعِ مِئَةِ سَنَةً(١).

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِيمَا حَكَاهُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَسَمَاعِهِ لِكَلَامِهِ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ بَقَى يَخْلُقُ مِثْلَكَ(٢).

وقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ لَهُ: وَلَقَدْ نَصَرَ السُّنَّةَ الْمَحْضَةَ، وَالطَّرِيقَةَ السَّلَفِيَّةَ... مَعَ مَا اشْتَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْوَرَعِ، وَكَمَالِ الْفِكْرَةِ، وَسُرْعَةِ الْإِدْرَاكِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَالتَّعْظِيمِ لِحُرُمَاتِ اللهِ(٣).

وقَالَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ لَهُ: وَكَانَ إِمَامًا لَا يُلْحَقُ غُبَارُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَبَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْمُجْتَهِدِينَ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ التَّفْسِيرَ بُهِتَ النَّاسُ مِنْ كَثْرَةِ مَحْفُوظِهِ وَحُسْنِ إِيرَادِهِ، وَإِعْطَائِهِ كُلَّ قَوْلٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ التَّرْجِيحِ وَالتَّضْعِيفِ وَالْإِبْطَالِ، وَخَوْضِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ كَانَ الْحَاضِرُونَ يَقْضُونَ مِنْهُ الْعَجَبَ، هَذَا مَعَ انْقِطَاعِهِ إِلَى الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِاللهِ تَعَالَى، وَالتَّجَرُّدِ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي صَبِيحَةِ كُلِّ جُمُعَةٍ عَلَى النَّاسِ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ؛ فَانْتُفِعَ بِمَجْلِسِهِ، وَبَرَكَةِ دُعَائِهِ وَطَهَارَةِ أَنْفَاسِهِ، وَصِدْقِ نِيَّتِهِ، وَصَفَاءِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَمُوَافَقَةِ

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤ / ٥٠٣).

(٢) الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين لابن عبد الهادي ص (١٧٩)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤ / ٥٠٣).

(٣) الانتصار ص (١٧٧).

قَوْلِهِ لِعَمَلِهِ، وَأَنَابَ إِلَى اللهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَرَى عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ اخْتِيَارِ الْفَقْرِ وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(١)–.

وقَالَ ابْنُ الزَّمَلْكَانِي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ   وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ

هُوَ حُجَّةٌ للهِ قَاهِرَةٌ   هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ

هُوَ آيَةٌ لِلْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ   أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ(٢)

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّوْكَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: كَانَ مُتَقَيِّدًا بِالْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ، مُعْجَبًا بِالْعَمَلِ بِهَا، غَيْرَ مُعَوِّلٍ عَلَى الرَّأْيِ، صَادِعًا بِالْحَقِّ لَا يُحَابِي فِيهِ أَحَدًا، وَنَعِمَتِ الْجُرْأَةُ .... وَلَهُ مِنْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ مَعَ الْعُذُوبَةِ الزَّائِدَةِ، وَحُسْنِ السِّيَاق مَالَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَالبُ الْمُصَنِّفِينَ، بِحَيْثُ تَعْشَقُ الْأَفْهَامُ كَلَامَهُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْأَذْهَانُ، وَتُحِبُّهُ الْقُلُوبُ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَى غَيْرِ الدَّلِيلِ مُعَوَّلٌ فِي الْغَالِبِ، وَقَدْ يَمِيلُ نَادِرًا إِلَى مَذْهَبِ[ـهِ] الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ عَلَى الدَّفْعِ فِي وُجُوهِ الْأَدِلَّةِ بِالْمَحَامِلِ الْبَارِدَة كَمَا يَفْعَلُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُتَهَذِّبِين!! [كَذَا، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: الْمُتَمَذْهِبِين] بَلْ لَابُدَّ لَهُ مِنْ مُسْتَنَدٍ فِي ذَلِكَ، وَغَالبُ أَبْحَاثِهِ الْإِنْصَافُ وَالْمَيْلُ مَعَ الدَّلِيلِ حَيْثُ مَالَ، وَعَدَمُ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَإِذَا اسْتَوْعَبَ الْكَلَامَ فِي بَحْثٍ وَطَوَّلَ

---

(١) الانتصار ص (٧٥).

(٢)الانتصار ص (٧١)، وذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٠٢).

ذُيُولَهُ، أَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ غَيْرُهُ، وسَاقَ مَا يَنْشَرِحُ لَهُ صُدُورُ الرَّاغِبِينَ فِي أَخْذِ مَذَاهِبِهِمْ عَنِ الدَّلِيلِ، وَأَظُنُّهَا سَرَتْ إِلَيْهِ بَرَكَةُ مُلَازَمَتِهِ لِشَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَةَ [رَحِمَهُ اللَّهُ] فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ فِي مِحَنِهِ، وَمُوَاسَاتِهِ بِنَفْسِهِ، وَطُولِ تَرَدُّدِهِ إِلَيْهِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَحَدُ مَنْ قَامَ بِنَشْرِ السُّنَّةِ، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآرَاءِ الْمُحْدَثَةِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ. فَرَحِمَهُ اللهُ وَجَزَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا[١].

وَتَدَبَّرْ مَعِي كَلَامَ ابْنِ الْقَيِّمِ هَذَا؛ إِذْ يَقُولُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

ثُمَّ سَارَ عَلَى آثَارِهِمْ (الْصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ) الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَدَرَجَ عَلَى مَنَاهِجِهِمُ الْمُوَفَّقُونَ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ. زَاهِدِينَ فِي التَّعَصُّبِ لِلرِّجَالِ، وَاقِفِينَ مَعَ الْحُجَّةِ وَالِاسْتِدْلَالِ. يَسِيرُونَ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَ سَارَتْ رَكَائِبُهُ، وَيَسْتَقِلُّونَ مَعَ الصَّوَابِ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهُ، إِذَا بَدَا لَهُمُ الدَّلِيلُ بِأُخْذَتِهِ[٢] طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا، وَإِذَا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] إِلَى أَمْرٍ انْتُدِبُوا إِلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُونَهُ عَمَّا قَالَ بُرْهَانًا، وَنُصُوصُهُ أَجَلُّ فِي صُدُورِهِمْ، وَأَعْظَمُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا قَوْلَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ يُعَارِضُوهَا بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ. ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ﴿ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم: ٣٢[٣]] تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون، جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢ / ١٤٣-١٤٥).

(٢) الأُخذة: رقية السحر. أي: يهرعون إلى الدلالة القوية التي تأخذ بمجامع القلوب.

(٣) وقع في مطبوعة الإعلام (٢٢)، ولم ينتبه أخونا مشهور عفا الله عنه لهذا الخطأ.

دِيَانَتَهُمْ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُؤُوسُ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ، وَآخَرُونَ مِنْهُمْ قَنَعُوا بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ، وَقَالُوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣]، وَالْفَرِيقَانِ بِمَعْزِلٍ عَمَّا يَنْبَغِي اتِّبَاعُهُ مِنَ الصَّوابِ، وَلِسَانُ الْحَقِّ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة النساء: ١٢٣].

ثُمَّ قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: فَإِنَّ **الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[(١)]

وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ وَرَثَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ يَجْهَدُ وَيَكْدَحُ فِي رَدِّ مَا جَاءَ بِهِ إِلَى قَوْلِ مُقَلَّدِهِ وَمَتْبُوعِهِ، وَيُضَيِّعُ عَلَيْهِ سَاعَاتِ عُمره فِي التَّعَصُّبِ وَالْهَوَى، وَلَا يَشْعُرُ بِتَضْيِيعِهِ؟!. تَاللهِ إِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَمَتِ الْقُلُوبَ فَأَصْمَتْ، رَبَى عَلَيْهَا الصَّغِيرُ، وَهَرِمَ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَاتُّخِذَ لِأَجْلِهَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا، وَكَانَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَلَمَّا عَمَّتْ بِهَا الْبَلِيَّةُ، وَعَظُمَتْ بِسَبَبِهَا الرَّزِيَّةُ، بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ أَكْثَرُ النَّاسِ سِوَاهَا، وَلَا يَعُدُّونَ الْعِلْمَ إِلَّا إِيَّاهَا، فَطَالِبُ الْحَقِّ مِنْ مَظَانِّهِ لَدَيْهِمْ مَفْتُونٌ، وَمُؤْثِرُهُ عَلَى مَا سِوَاهُ عِنْدَهُمْ مَغْبُونٌ، نَصَبُوا لِمَنْ خَالَفَهُمْ فِي طَرِيقَتِهِمُ

---

(١) (**حسن**) جزء من حديث أخرجه أحمد (٢١٧١٥، ٢١٧١٦)، وأبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه. وقد توسعت في تخريجه في تعليقي على كتاب «طريق الوصول إلى العلم المأمول» للعلَّامة شيخ شيوخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رقم (١٠).

الْحَبَائِلَ، وَبَغَوْا لَهُ الْغَوَائِلَ، وَرَمَوْهُ عَنْ قَوْسِ الْجَهْلِ وَالْبَغْيِ وَالْعِنَادِ، وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ.

فَحَقِيقٌ بِمَنْ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ وَقِيمَةٌ، أَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَلَا يَرْضَى لَهَا بِمَا لَدَيْهِمْ، وَإِذَا رُفِعَ لَهُ عَلَمُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، شَمَّرَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَحْبِسْ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ، فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى يُبَعْثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَيُحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَتَتَسَاوَى أَقْدَامُ الْخَلَائِقِ فِي الْقِيَامِ لِلَّهِ، وَيَنْظُرَ كُلُّ عَبْدٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَيَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُحِقِّينَ وَالْمُبْطِلِينَ، وَيَعْلَمَ الْمُعْرِضُونَ عَنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ [ﷺ] أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِين(١).

وَهَكَذَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يُوجَدُ مَنْ شَرَحَ اللهُ صُدُورَهُمْ بِاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ ﷺ كَثَّرَ اللهُ سَوَادَهُمْ، وَأَكْرَمَ نُزُلَهُمْ، وَبَارَكَ فِيهِمْ وَلَهُمْ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَمِنْهُمْ شَيْخُنَا شَيْخُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي نَصَرَ اللهُ بِهِ السُّنَّةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَةَ، الَّذِي لَهُ مِنَ اسْمِهِ نَصِيبٌ، الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وَطَيَّبَ ثَرَاهُ. وَغَيْرُهُمْ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ، لَوْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَتَبَّعَ ذِكْرَهُمْ لَجَاءَ فِي مُجَلَّدَاتٍ، وَلَكِنْ تَكْفِي الْإِشَارَةُ.

وَأَخْتِمُ هَذَا الْفَصْلَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْجَمِيلَةِ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **حَيْثُ يَقُولُ: فَالرِّضَا بِإِلَهِيَّتِهِ:** يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ، وَخَوْفِهُ، وَرَجَائِهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. فَعَلَ الرَّاضِي بِمَحْبُوبِهِ كُلَّ الرِّضَا. وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ١٠-١٢ ط. دار ابن الجوزي).

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ. وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ. وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

فَالْأَوَّلُ يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يَأْمُرُهُ بِهِ.

وَالثَّانِي يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يُقَدِّرُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ. وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ. فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ. وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ. وَلَا يُحَكِّمُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَذْوَاقِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَقَامَاتِهِ. وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. لَا يَرْضَى فِي ذَلِكَ بِحُكْمِ غَيْرِهِ. وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ. فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ كَانَ تَحْكِيمُهُ غَيْرَهُ مِنْ بَابِ غِذَاءِ الْمُضْطَرِّ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُقِيتُهُ إِلَّا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ. وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التُّرَابِ الَّذِي إِنَّمَا يُتَيَمَّمُ بِهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الطَّهُورِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ، أَوْ حَكَمَ، أَوْ أَمَرَ، أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا. وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ. وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا. وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ وَهَوَاهَا، وَقَوْلِ مُقَلَّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ.

وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا. وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَمِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالِامْتِحَانِ. وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوَى النَّفْسِ وَمُرَادَهَا مِنْ ذَلِكَ، تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ عَلَى لِسَانِهِ لَا

عَلَى حَالِهِ.

وَهَاهُنَا يُوحِشُكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا الْغُرَبَاءَ فِي الْعَالَمِ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَوْحِشَ مِنْ الِاغْتِرَابِ وَالتَّفَرُّدِ. فَإِنَّهُ وَاللهِ عَيْنُ الْعِزَّةِ، وَالصُّحْبَةِ مَعَ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ [ﷺ]، وَرُوحُ الْأُنْسِ بِهِ. وَالرِّضَا بِهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ[ﷺ] رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا. بَلِ الصَّادِقُ كُلَّمَا وَجَدَ مَسَّ الِاغْتِرَابِ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ، وَتَنَسَّمَ رُوحَهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنِي اغْتِرَابًا، وَوَحْشَةً مِنَ الْعَالَمِ، وَأُنْسًا بِكَ. وَكُلَّمَا ذَاقَ حَلَاوَةَ هَذَا الِاغْتِرَابِ، وَهَذَا التَّفَرُّدِ، رَأَى الْوَحْشَةَ عَيْنَ الْأُنْسِ بِالنَّاسِ، وَالذُّلَّ عَيْنَ الْعِزِّ بِهِمْ. وَالْجَهْلَ عَيْنَ الْوُقُوفِ مَعَ آرَائِهِمْ وَزُبَالَةِ أَذْهَانِهِمْ، وَالِانْقِطَاعَ عَيْنَ التَّقَيُّدِ بِرُسُومِهِمْ وَأَوْضَاعِهِمْ. فَلَمْ يُؤْثِرْ بِنَصِيبِهِ مِنَ اللهِ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ. وَلَمْ يَبِعْ حَظَّهُ مِنَ اللهِ بِمُوَافَقَتِهِمْ فِيمَا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحِرْمَان. وَغَايَتُهُ مَوَدَّةُ بَيْنِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَإِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ. وَحَقَّتِ الْحَقَائِقُ، وَبُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَبُلِيَتِ السَّرَائِرُ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ دُونِ مَوْلَاهُ الْحَقِّ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ: تَبَيَّنَ لَهُ حِينَئِذٍ مَوَاقِعُ الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ. وَمَا الَّذِي يَخِفُّ أَوْ يَرْجَحُ بِهِ الْمِيزَانُ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «طَرِيقِ الْهِجْرَتَيْنِ» ص (١٠ ط. المجمع): وَلمَّا كَانَتْ السَّعادَةُ دَائِرَةً -نَفْيًا وَإِثْبَاتًا- مَعَ مَا جَاءَ بِهِ [ﷺ] كَانَ جَدِيرًا بِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَحَظَاتِ عُمْرِهِ وَقْفًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَإِرَادَتَهُ مَقْصُورَةً عَلَى مَحَابِّهِ، وَهَذِهِ أَعْلَى هِمَّةٍ شَمَّرَ إِلَيْهَا السَّابِقُونَ، وَتَنَافَسَ فِيهَا الْمُتَنَافِسُون. أهـ.

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٨-٤٨٠ ط. المجمع) بتقديم وتأخير يسير.

«الْعُقُولُ الْمُؤَيَّدَةُ بِالتَّوْفِيقِ تَرَى أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْحَقُّ الْمُوَافِقُ لِلْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْعُقُولُ الْمَضْرُوبَةُ بِالْخِذْلَانِ تَرَى الْمُعَارَضَةَ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَبَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالشَّرْعِ.

أَقْرَبُ الْوَسَائِلِ إِلَى اللهِ مُلَازَمَةُ السُّنَّةِ وَالْوُقُوفُ مَعَهَا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَدَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ وَحْدَهُ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وَمَا وَصَلَ أَحَدٌ إِلَى اللهِ إِلَّا مِنْ هَذِه الثَّلَاثَةِ، وَمَا انْقَطَعَ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا بِانْقِطَاعِهِ عَنْهَا أَوْ عَنْ أَحَدِهَا.

الْأُصُولُ الَّتِي انْبَنَى عَلَيْهَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ضِدٌّ؛ فَمَنْ فَقَدَ ذَلِكَ الأَصْلَ حَصَلَ عَلَى ضِدِّهِ: التَّوْحِيدُ وَضِدُّه الشِّرْكُ، وَالسُّنَّةُ وَضِدُّهَا الْبِدْعَةُ، وَالطَّاعَةُ وَضِدُّهَا الْمَعْصِيَةُ. وَلِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ ضِدٌّ وَاحِدٌ وَهُوَ خُلُوُّ الْقَلْبِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي اللهِ وَفِيمَا عِنْدَهَ، وَمِنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ وَمِمَّا عِنْدَهُ[(١)].

(١) الفوائد ص (١٥٧ ط. المجمع).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: الْعِلْمُ فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصّدْرَ، وَيُوَسّعُهُ حَتَّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنْ الدّنْيَا، وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضّيقَ وَالْحَصْرَ وَالْحَبْسَ، فَكُلّمَا اتّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ، انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتّسَعَ، وَلَيْسَ هَذَا لِكُلّ عِلْمٍ، بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ الرّسُولِ ﷺ، وَهُوَ الْعِلْمُ النّافِعُ، فَأَهْلُهُ أَشْرَحُ النّاسِ صُدُورًا، وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا(١).

« فَالْعِلْمُ باللهِ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، وهو أَصْلُ عِلْمِ الْعَبْدِ بِسَعَادَتِهِ وَكَمَالِهِ وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَالْجَهْلُ بِهِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْجَهْلِ بِنَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا وَكَمَالِهَا، وَمَا تَزْكُو بِهِ، وتفلح بِهِ، فَالْعِلْمُ بِهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ، وَالْجَهْلُ بِهِ أَصْلُ شَقَاوَتِهِ»(٢).

« وَالْعِلْمُ هُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إِلَى أَعْظَمِ اللَّذَاتِ»(٣).

« وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْجَهْلَ أَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ، وَكُلُّ ضَرَرٍ يَلْحَقُ الْعَبْدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ فَهُوَ نَتِيجَةُ الْجَهْلِ»(٤).

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَـوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ ... وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٤ ط. الرسالة)، و (٢/ ٢٩ ط. المجمع).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٢).

(٣) نفسه (١/ ٣١٣).

(٤) نفسه (١/ ٣١٥).

« الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْهِدَايَةِ، وَعَدَمُ الْهِدَايَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْجَهْلِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ»(١).

«الْعِلْمُ تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ. وَأَهْلُهُ عُصْبَتُهُمْ وَوُرَّاثُهُمْ، وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ. وَنُورُ الْبَصَائِرِ. وَشِفَاءُ الصُّدُورِ. وَرِيَاضُ الْعُقُولِ. وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ. وَأَنَسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ. وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ. وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ. وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ.

بِهِ يُعْرَفُ اللهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ. وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ السَّالِكُونَ. وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ. وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ. بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ. وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ تُعْرَفُ مَرَاضِي الْحَبِيبِ، وَبِمَعْرِفَتِهَا وَمُتَابَعَتِهَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ. وَهُوَ إِمَامٌ، وَالْعَمَلُ مَأْمُومٌ. وَهُوَ قَائِدٌ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ. وَهُوَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ. وَالْكَاشِفُ عَنِ الشُّبْهَةِ. وَالْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ عَلَى مَنْ ظَفِرَ بِكَنْزِهِ. وَالْكَنَفُ الَّذِي لَا ضَيْعَةَ عَلَى مَنْ آوَى إِلَى حِرْزِهِ. مُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ. وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ. وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ. وَبَذْلُهُ صَدَقَةٌ. وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ»(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٢٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٨٠-٢٨١ ط. المَجْمع).

«وَهُوَ حُجَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ. وَنُورُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ. وَقَائِدُهُمْ وَدَلِيلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. وَمُدْنِيهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ»(١).

«فَمَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا بُعِثَتِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا عُبِدَ اللهُ وَحْدَهُ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ وَمُجِّدَ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا عُرِفَ فَضْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ»(٢).

«وَالْمَقْصُودُ أَنّ اللهَ سُبْحَانَهُ سَمَّى عِلْمَ الْحُجَّة سُلْطَانًا؛ لِأَنَّهَا تُوجِبُ تَسَلُّطَ صَاحِبِهَا وَاقْتِدَارَهُ؛ فَلَهُ بِهَا سُلْطَانٌ عَلَى الْجَاهِلِينَ، بَلْ سُلْطَانُ الْعِلْمِ أَعْظَمُ مِنْ سُلْطَانِ الْيَدِ، وَلِهَذَا يَنْقَادُ النَّاسُ لِلْحُجَّةِ مَا لَا يَنْقَادُونَ لِلْيَدِ؛ فإِنَّ الْحُجَّةَ تَنْقَادُ لَهَا الْقُلُوبُ، أَمَّا الْيَدُ فإِنَّما يَنْقَادُ لَهَا الْبَدَنُ، فَالْحُجَّةُ تَأْسِرُ الْقَلَبَ وَتَقُودُهُ، وَتُذِلُّ الْمُخَالِفَ، وَإِنْ أَظْهَرَ الْعِنَادَ وَالْمُكَابَرَةَ فَقَلْبُهُ خَاضِعٌ لَهَا، ذَلِيلٌ مَقْهُورٌ تَحْتَ سُلْطَانِهَا؛ بَلْ سُلْطَانُ الْجَاهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عِلْمٌ يُسَاسُ بِهِ، فَهُوَ بِمَنزِلَةِ سُلْطَانِ السِّبَاعِ والْأُسُودِ وَنَحْوِهَا، قُدْرَةٌ بِلَا عِلْمٍ وَلَا رَحْمَةٍ، بخلاف سُلْطَانِ الْحُجَّةِ، فإِنَّه قُدْرَةٌ بِعِلْمٍ وَرَحْمَةٍ وَحِكْمَةٍ. فَالْحُجَّةُ نَاصِرَةٌ نَفْسَهَا، ظَاهِرَةٌ عَلَى الْبَاطِلِ، قَاهِرَةٌ لَهُ»(٣).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مَادِحًا أَهْلَ الْعِلْمِ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٨٢ ط. المَجْمع).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٤).

(٣) نفسه (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

«اسْتَشْهَدَ سُبْحَانَهُ بِأُولِي الْعِلْمِ عَلَى أَجَلِّ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ وَهُوَ تَوْحِيدُهُ؛ فَقَالَ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: اسْتِشْهَادُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ.

وَالثَّانِي: اقْتِرَانُ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ.

وَالثَّالِثُ: اقْتِرَانُهَا بشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ.

والرابع: أَنَّ في ضِمْنِ هَذَا تَزْكِيَتَهُمْ وَتَعْدِيلَهُمْ ؛ فإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَشْهِدُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا الْعُدُول»(١).

وقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة طه: ١١٤].

« وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ أَنْ أَمَرَ نَبِيَّهُ [ﷺ] أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ»(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في «فَتْحِ الْبَارِي»(١/١٧٠-

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٩) ومدارج السالكين (٣ / ٢٨٢ ط. المَجْمع).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٢-٢٢٤).

١٧١):

قَوْلُهُ: «رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» وَاضِحُ الدَّلَالَةِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ ﷺ بِطَلَبِ الِازْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي يُفِيدُ مَعْرِفَةَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مِنْ أَمْرِ عِبَادَاتِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ، وَالْعِلْمُ بِاللهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ، وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ.

وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (١٧٠/١):

«يَرْفَعُ اللهُ الْمُؤْمِنَ الْعَالِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْعَالِمِ، وَرِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْفَضْلِ، إِذِ الْمُرَادُ بِهِ كَثْرَةُ الثَّوَابِ، وَبِهَا تَرْتَفِعُ الدَّرَجَاتُ، وَرِفْعَتُهَا تَشْمَلُ الْمَعْنَوِيَّةَ فِي الدُّنْيَا بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ وَحُسْنِ الصِّيتِ، وَالْحِسِّيَّةَ فِي الْآخِرَةِ بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧)، والترمذي (٢٦٤٥)، وابن ماجه (٢٢١)، وأحمد (١٦٨٣٤، ١٦٨٣٧، ١٦٨٣٩، ١٦٨٤٢، ١٦٨٤٦، ١٦٨٤٩، ١٦٨٥٠، ١٦٨٦٠، ١٦٨٧٤، ١٦٨٧٨، ١٦٨٨٠، ١٦٨٩٤، ١٦٩٠٣، ١٦٩٠٤، ١٦٩١٠، ١٦٩٢٩، ١٦٩٣١)، وغيرهم.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢٤٦/١):**

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لمْ يُفَقِّهْهُ فِي دِينِهِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا، كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي دِينِهِ، وَمَنْ فَقَّهَهُ فِي دِينِهِ فَقَدْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا؛ إِذَا أُرِيدَ بِالْفِقْهِ الْعِلْمُ الْمُسْتَلْزِمُ لِلْعَمَلِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في «فَتْحِ الْبَارِي» (١٩٨/١):

وَمَفْهُومُ الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ - أَيْ يَتَعَلَّمُ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْفُرُوعِ - فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ؛ لأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمُورَ دِينِه لَا يَكُونُ فَقِيهًا، وَلَا طَالِبَ فِقْهٍ، فَيَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ مَا أُرِيدَ بِهِ الْخَيْر، وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ ظَاهِرٌ لِفَضْلِ الْعُلَمَاءِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَلِفَضْلِ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

«وَقَدْ تَظَاهَرَ الشَّرْعُ وَالْقَدَرُ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ حَيَاةَ قَلْبِهِ وَنَجَاتَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا يُحَصِّلُ لَهُ ذَلِكَ»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٢-٩٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٤).

«فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَهُوَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَدَرَجَتُهُ بَعْدَ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ»(١).

قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوْسَى السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: عُوتِبَ ابْنُ المُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ] فِيْمَا يُفَرِّقُ مِنَ الْمَالِ فِي البُلْدَانِ دُوْنَ بَلَدِهِ، قَالَ: إِنِّيْ أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُم فَضْلٌ وَصِدْقٌ، طَلَبُوا الحَدِيْثَ، فَأَحْسَنُوا طَلَبَهُ، لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِمُ احْتَاجُوا، فَإِنْ تَرَكْنَاهُم، ضَاعَ عِلْمُهُم، وَإِنْ أَغْنَيْنَاهُمْ، بَثُّوا الْعِلْمَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ **لَا أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ دَرَجَةً أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ الْعِلْمِ**(٢).

« فَإِنَّ أَجَلَّ حَسَنَاتِ الدُّنْيَا الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ»(٣).

«مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. وَلَا دَلِيلَ إِلَى اللهِ وَالْجَنَّةِ، سِوَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا دَلِيلُ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الْجَحِيمِ وَالشَّيْطَانِ. وَالْعِلْمُ مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ. وَالنَّافِعُ مِنْهُ: مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ [ﷺ]»(٤).

قَالَ الْإِمَامُ ابنُ حِبَّانَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «صحيحه» (٢٩١/١ إحسان): الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ يَتَسَاوُونَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ هُمُ الَّذِينَ

---

(١) نفسه (١/ ٣٩٦).

(٢) الجامع لشعب الإيمان (١٦٢٦)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠)، وتاريخ دمشق (٣٢/ ٤٥٥، ٤٥٦).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٩٧).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٧٩ ط. المَجْمع).

يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: «**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»؟!، وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ، وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟! قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟! قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟!**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟!**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»(٢).

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠) وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠١)، وغيره.

فَيَا مَنْ يُرِيدُ السَّعَادَةَ، وَانْشَرَاحَ الصَّدْرِ؛ اطْلُبْ الْعِلْمَ، وَحَصِّلِ الْفَوَائِدَ، وَعِشْ مَعْ كِتَابِ رَبِّكَ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ومعَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، تَذْهَبْ عَنْكَ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْأَحْزَانُ، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الرعد: ١٩].

وَتَفَكَّرْ فِي حَالِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِمَّنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ بِالْعِلْمِ، فإِنَّ «مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ أَنَّ كُلَّ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَكُلَّ مَنْ دُفِعَ عَنْهُ، وَنُسِبَ إِلَى الْجَهْلِ، عَزَّ عَلَيْهِ، وَنَالَ ذَلِكَ مِنْ نِفْسِهِ، وَإِنْ كَانْ جَاهِلًا»(١).

وَتَفَكَّرْ فِي رِحْلَةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: «فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا عَنْ صَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ(٢) وَكَلَّمَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ – أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى رَجُلٍ عَالِمٍ [هُوَ نَبِيُّ اللهِ الْخَضِرُ عليه السلام] يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَيَزْدَادُ عِلْمًا إِلَى عِلْمِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الكهف: ٦٠]. حِرْصًا مِنْهُ عَلَى لِقَاءِ هَذَا الْعَالِمِ وَعَلَى التَّعَلُّمِ مِنْهُ، فَلَمَّا لَقِيَهُ سَلَكَ مَعَهُ مَسْلَكَ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ، وَقَالَ لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف: ٦٦]، فَبَدَأَهُ بَعْدَ السَّلَامِ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَى مُتَابَعَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥١).

(٢) انظر: صحيحي البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَتَّبِعُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وقَالَ « عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » فَلَمْ يَجِئْ مُمْتَحِنًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وإنَّمَا جَاءَ مُتَعَلِّمًا مُسْتَزِيدًا عِلْمًا إِلَى عِلْمِهِ، وَكَفَى بِهَذَا فَضْلًا وَشَرَفًا لِلْعِلْمِ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ وَكَلِيمَهُ [عليه السلام] سَافَرَ وَرَحَلَ حَتَّى لَقِيَ النَّصَبَ مِنْ سَفَرِهِ فِي تَعَلُّمِ ثَلَاثِ مَسَائِلَ مِنْ رَجُلٍ عَالِمٍ، وَلَمَّا سَمِعَ بِهِ لَمْ يَقَرَّ لَهُ قَرَارٌ حَتَّى لَقِيَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ مُتَابَعَتَهُ وَتَعْلِيمَهُ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

«قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ فِيمَا عَانَاهُ مُوسَى [عليه السلام] مِنَ الدَّأَبِ وَالسَّفَرِ وَصَبَرَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ لِلْخَضِرِ بَعْدَ مُعَانَاةِ قَصْدِهِ مَعَ مَحَلِّ مُوسَى [عليه السلام] مِنَ اللهِ وَمَوْضِعِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَشَرَفِ نُبُوَّتِهِ دَلَالَةٌ عَلَى ارْتِفَاعِ قَدْرِ الْعِلْمِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَةِ أَهْلِهِ، وَحُسْنِ التَّوَاضُعِ لِمَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ وَيُؤْخَذُ عَنْهُ، وَلَوِ ارْتَفَعَ عَنِ التَّوَاضُعِ لِمَخْلُوقٍ أَحَدٌ بِارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ، وَسُمُوِّ مَنْزِلَةٍ لَسَبَقَ إِلَى ذَلِكَ مُوسَى [عليه السلام]، فَلَمَّا أَظْهَرَ الْجِدَّ وَالِاجْتِهَادَ، وَالِانْزِعَاجَ عَنِ الْوَطَنِ وَالْحِرْصِ عَنِ الِاسْتِفَادَةِ مَعَ الِاعْتِرَافِ بِالْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا هُوَ غَائِبٌ عَنْهُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَلْقِ مَنْ يَعْلُو عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَلَا يَكْبُرُ عَنْهَا»(٢).

فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُظَمَاءِ: الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:

حَيْثُ يَقُولُ رضي الله عنه: «وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص (١٠٦-١٠٧).

بِكِتَابِ اللهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ».

قَالَ شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ (الرَّاوِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه): فَجَلَسْتُ فِي حِلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ(١).

وقَالَ رضي الله عنه: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(٢).

وَمِنْهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: الَّذِي كَانَ حِفْظُهُ الْخَارِقُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟! وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرَضِيهِمْ، وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا: «**أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي**». فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣)، وغيرهما.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٩٤).

الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ، وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ(١) [سورة البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وَمِنْهُمْ الْحَبْرُ الْبَحْرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم دَخَلَ الخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا (مَاء) قَالَ: «**مَنْ وَضَعَ هَذَا؟!**». فَأُخْبِرَ؛ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**»(٢).

وقَالَ رضي الله عنه: « لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكْتُ ذَاكَ وَأَقْبَلْتُ أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَإِنْ كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ، وَهُوَ قَائِلٌ (مِنَ الْقَيْلُولَةِ وَهِيَ نَوْمُ الظَّهِيرَةِ)، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ يَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَا جَاءَ بِكَ؟! هَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟! فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، قَالَ: فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَآنِي، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨، ١١٩، ٢٠٤٧، ٢٣٥٠، ٣٦٤٨، ٧٣٥٤)، ومسلم (٢٤٩٢)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥، ١٤٣، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠)، ومسلم (٢٤٧٧) وغيرهما.

يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي»(١).

وَمِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما:

قَالَ رضي الله عنه: «بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ قَالَ: فَابْتَعْتُ بَعِيرًا فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى أَتَيْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيُّ [رضي الله عنه]، قَالَ: فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَن جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيَّ الرَّسُولُ فَقَالَ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ؟!، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَظَالِمِ لَمْ أَسْمَعْهُ؛ فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتُ أَوْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ** قَالَ: **وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**. قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، قَالَ: **فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارُ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ**». قَالَ: قُلْنَا كَيْفَ هُوَ؟! وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ تَعَالَى عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا. قَالَ: **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»(٢).

---

(١) (**صحيح**) أخرجه الحاكم (٣٦٧، ٦٤٤٠)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٤٢) وغيرهما.

(٢) (**صحيح**) علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠)، وأحمد (١٦٠٤٢)، والحاكم (٣٦٨٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

وَمِنْهُمْ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: سَيِّدُ التَّابِعِين - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ»(١).

وَمِنْهُمْ: مكحول الدمشقيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كُنْتُ عَبْدًا بِمِصْرَ لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي هُذَيْلٍ فَأَعْتَقَتْنِي، فَمَا خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِجَازَ فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الْعِرَاقَ فَمَا خَرَجْتُ مِنْهَا وَبِهَا عِلْمٌ إِلَّا حَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيمَا أُرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ الشَّامَ فَغَرْبَلْتُهَا، كُلُّ ذَلِكَ أَسْأَلُ عَنِ النَّفْلِ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُخْبِرُنِي فِيهِ بِشَيْءٍ، حَتَّى أَتَيْتُ شَيْخًا يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ بْنُ جَارِيَةَ التَّمِيمِيُّ [رَحِمَهُ اللهُ] فَقُلْتُ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ فِي النَّفْلِ شَيْئًا قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيَّ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]، يَقُولُ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَفَّلَ الرُّبُعَ فِي الْبَدْأَةِ وَالثُّلُثَ فِي الرَّجْعَةِ**»(٢).

وَمِنْهُمْ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

عَنْ نَصْرِ بْنِ حَمَّادٍ الْوَرَّاقِ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عَلَى بَابِ شُعْبَةَ [رَحِمَهُ اللهُ] نَتَذَاكَرُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَقُلْتُ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٨-٤٦٩)، والرحلة في طلب الحديث ص (١٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٢٢٢).

(٢) سنن أبى داود (٢٧٥٠)، والحاكم (٢٦٣٥) وغيرهما.

وأخرج المرفوع منه غيرهما: أحمد (١٧٤٦٢- ١٧٤٦٩)، وابن ماجه (٢٨٥١، ٢٨٥٣) وغيرهم.

عَبْدِاللهِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [ﷺ]، قَالَ: كُنَّا نَتَنَاوَبُ رَعِيَّةَ الْإِبِلِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَاسْتَغْفَرَ اللهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ**» فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [ﷺ]، فَقَالَ: الَّذِي قَالَ قَبْلُ أَحْسَنُ، فَقُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ**». قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيَّ شُعْبَةُ، فَلَطَمَنِي ثُمَّ رَجَعَ، فَدَخَلَ فَتَنَحَّيْتُ مِنْ نَاحِيَةٍ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: مَالَهُ يَبْكِي بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ: إِنَّكَ أَسَأْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ شُعْبَةُ: أَمَا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُ عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [ﷺ]، وَأَنَا قُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاقَ: أَسَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَطَاءٍ، مِنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [ﷺ]؟ قَالَ: لَا، وَغَضِبَ. وَكَانَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ حَاضِرًا، فَقَالَ لِي مِسْعَرٌ: أَغْضَبْتَ الشَّيْخَ! [يَقْصِدُ: أَبَا إِسْحَاقَ السَّبِيعِيَّ رحمه الله] فَقُلْتُ [شُعْبَةُ]: مَا لَهُ؟ لَيُصَحِّحَنَّ لِي هَذَا الْحَدِيثَ أَوْ لَأُسْقِطَنَّ حَدِيثَهُ؛ فَقَالَ مِسْعَرٌ: عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَطَاءٍ بِمَكَّةَ، قَالَ شُعْبَةُ: فَرَحَلْتُ إِلَيْهِ لَمْ أُرِدِ الْحَجَّ، إِنَّمَا أَرَدْتُ الْحَدِيثَ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَطَاءٍ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي، فَقَالَ لِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالْمَدِينَةِ لَمْ يَحُجَّ الْعَامَ فَدَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: الْحَدِيثُ مِنْ عِنْدِكُمْ زِيَادُ بْنُ مِخْرَاقٍ حَدَّثَنِي، فَقُلْتُ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْحَدِيثُ؟! بَيْنَا هُوَ كُوفِيٌّ صَارَ مَكِّيًّا، صَارَ مَدَنِيًّا، صَارَ بَصْرِيًّا فَدَخَلْتُ الْبَصْرَةَ، فَلَقِيتُ زِيَادَ بْنَ مِخْرَاقٍ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابَتِكَ. قُلْتُ: بَلَى، حَدِّثْنِي بِهِ، قَالَ:

لَا تُرِيدُهُ. قُلْتُ: أُرِيدُهُ. قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [رضي الله عنه]. قَالَ [شُعْبَةُ]: فَلَمَّا ذَكَرَ لِي شَهْرًا، قُلْتُ: دَمَّرَ عَلَيَّ هَذَا الْحَدِيثَ!!، لَوْ صَحَّ لِي هَذَا الْحَدِيثُ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ مَالِي وَمِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا(١).

فَرَضِيَ اللهُ عَنْ شُعْبَةَ، وَأَيْنَ مِثْلُ شُعْبَةَ؟!.

وَمِنْهُمْ: هِشَامُ بْنُ عِمَّارٍ: شَيْخُ الْبُخَارِيِّ، حَافِظُ دِمَشْق، وَمُقْرِئُهَا.

قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : بَاعَ أَبِي بَيتًا لَهُ بِعِشْرِيْنَ دِيْنَارًا، وَجَهَّزَنِي لِلْحَجِّ، فَلَمَّا صِرتُ إِلَى المَدِيْنَةِ، أَتَيتُ مَجْلِسَ مَالِكٍ، وَمَعِيَ مَسَائِلُ أُرِيْدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا. فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي هَيْئَةِ المُلُوْكِ، وَغِلمَانٌ قِيَامٌ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُوْنَهُ، وَهُوَ يُجِيْبُهُم. فَلَمَّا انْقَضَى المَجْلِسُ، قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ: سَلْ عَمَّا مَعَكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُوْلُ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: حَصَلْنَا عَلَى الصِّبْيَانِ، يَا غُلَامُ، احْمِلْهُ. فَحَمَلَنِي كَمَا يُحمَلُ الصَّبِيُّ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ مُدْرِكٌ، فَضَرَبَنِي بِدِرَّةٍ مِثْلِ دِرَّةِ المُعَلِّمِيْنَ سَبْعَ عَشْرَةَ دِرَّةٍ، فَوَقَفتُ أَبْكِي. فَقَالَ لِي: مَا يُبْكِيْكَ؟ أَوْجَعَتْكَ هَذِهِ الدِّرَّةُ؟! قُلْتُ: إِنَّ أَبِي بَاعَ مَنْزِلَهُ، وَوَجَّهَ بِي أَتَشَرَّفُ بِكَ، وَبِالسَّمَاعِ مِنْكَ، فَضَرَبْتَنِي؟! فَقَالَ: اكتُبْ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي سَبْعَةَ عَشَرَ حَدِيْثًا، وَسَأَلْتُهُ عَمَّا كَانَ مَعِي مِنَ المَسَائِلِ

---

(١) المحدِّث الفاصل للرَّامَهُرْمُزِي ص (٣١٣-٣١٥)،و الخطيب البغدادي في الكفاية ص (٥٦٦-٥٦٧)، وفي «الرحلة» ص (١٤٨-١٥٣)، والكامل لابن عدى (٤/ ٣٦-٣٧)، وقد صح حديث عقبة رضي الله عنه عند مسلم (٢٣٤) وغيره، من طريق أخرى.

فَأَجَابَنِي.

وَفِي رِوَايةٍ: فَقُلْتُ لَهُ: زِدْ مِنَ الضَّرْبِ، وَزِدْ فِي الحَدِيْثِ. فَضَحِكَ مَالِكٌ [رَحِمَهُ اللهُ]، وَقَالَ: اذهَبْ. (١).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ سَحْنُوْنُ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ السَّلاَمِ بن حَبِيْبٍ التَّنُوْخِيُّ، فَقِيهُ الْمَغْرِبِ، صَاحِبُ الْمُدَوَّنَةِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

قَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أَكْلٌ بِالمَسْكَنَةِ، وَلاَ أَكْلٌ بِالعِلْمِ. مُحِبُّ الدُّنْيَا أَعْمَى، لَمْ يُنَوِّرْهُ الْعِلْمُ. مَا أَقْبَحَ بِالعَالِمِ أَنْ يَأْتِيَ الْأُمَرَاءَ، وَاللهِ مَا دَخَلْتُ عَلَى السُّلْطَانِ إِلَّا وَإِذَا خَرَجْتُ حَاسَبْتُ نَفْسِي، فَوَجَدْتُ عَلَيْهَا الدَّرْكَ [التَّبِعَة]، وَأَنْتُم تَرَوْنَ مُخَالَفَتِي لِهَوَاهُ، وَمَا أَلْقَاهُ بِهِ مِنَ الغِلْظَةِ، وَاللهِ مَا أَخَذْتُ وَلَا لَبِسْتُ لَهُمُ ثَوْبَا(٢).

وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ الْعِلْمُ، بَلْ يَضُرُّهُ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَضَعُهُ اللهُ فِي الْقُلُوبِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ نَوَّرَ قَلْبَهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَأَحَبَّ الدُّنْيَا أَعْمَى حَبُّ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَلَمْ يُنَوِّرْهُ الْعِلْمُ(٣).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ:

قَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: رَحلَتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ إِلَى الثُّغُورِ، وَالشَّامِ، وَالسَّواحِلِ، وَمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَالحِجَازِ، وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقَيْنِ جَمِيعًا،

---

(١) تاريخ دمشق (٦٧ / ٨٩-٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢٨-٤٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٥-٦٦).

(٣) الديباج الْمُذْهب في معرفة أعيان علماء الْمَذْهب (٢/ ٣٨).

وَفَارِسَ، وَخُرَاسَانَ، وَالْجِبَالِ، وَالْأَطْرَافِ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى بَغْدادَ، وَخَرَجْتُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَكُنْتُ فِي بَيْتٍ تَحْتَ رَأْسِي لَبِنَةٌ [لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ] فَحُمِمْتُ!! فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي رَحِمَهَا اللهُ وَلَمْ أَكُنِ اسْتَأْذَنْتُهَا، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي خَمْسُونَ دِرْهَمًا كُنْتُ قَدْ خَرَجْتُ إِلَى الرَّيِّ، إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، فَخَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَلَمْ يُمْكِنِّي الْخُرُوج؛ لِأَنَّهُ لم يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ(١).

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بنُ سَحْنُوْنَ القَيْرَوَانِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –

كَانَتْ لَهُ سُرِّيَّةٌ (أَمَةٌ) يُقَالَ لَهَا: أَمُّ مُدَامٍ، فكان عِنْدَها يومًا، فَقَالَ لَهَا: مَا عِنْدَكِ اللَّيْلَةَ يَا أَمَّ مُدَامٍ؟ فَقَالَتْ: زَوْجُ فِرَاخٍ، فَقَالَ: اصْنَعِيهُمَا لَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخَذَ فِيمَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّأْلِيفِ فِي كِتَابٍ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى بَعْضِ الْمُخَالِفِينَ، فَاشْتَغَلَ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ اسْتَأْذَنَتْهُ، فَقَالَ لها: أَنَا مَشْغُولٌ السَّاعَةَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهَا؛ أَقْبَلَتْ تُلقِّمُهُ الطَّعَامَ إِلَى أَنْ أَتَى عَلَى الْفَرْخَيْنِ، ثُمَّ تَمَادَى فِيمَا هُوَ فِيهِ، إِلَى أَنْ أُذِّنَ فِي الْجَامِعِ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَّ مُدَامٍ شُغِلْنَا عَنْكِ اللَّيْلَةَ!! قَرِّبِي مَا عِنْدَكِ مِنَ الطَّعَامَ، فَقَالَتْ: قَدْ وَاللهِ يَا سَيِّدِي أَطْعَمْتُهُ لَكَ!! فَقَالَ لَهَا: مَا شَعُرْتُ بِذَلِكَ.

لِشُغْلِهِ وَتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ التَألِيفِ(٢).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبُ الصَّحِيحِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: لَمَّا طعنْتُ فِي ثَمَانِ عَشْرَةَ، جَعَلتُ

(١) مناقب الإمام أحمد لِابْن الجَوْزي ص (٢٦، ٢٩–٣٠).

(٢) رياض النفوس (١/ ٤٤٨)، وترتيب المدارك (٤ / ٢١٧).

أُصَنِّفُ قضَايَا الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَأَقَاوِيلَهُم، وَذَلِكَ أَيَّامَ عُبَيْدِ اللهِ بنِ مُوسَى [رَحِمَهُ اللهُ]، وصنَّفْتُ كِتَابَ (التَّارِيْخِ) إِذْ ذَاكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي اللَّيَالِي المُقْمِرَةِ، وَقَلَّ اسْمٌ فِي التَّارِيْخِ إِلَّا وَلَهُ عِنْدِي قِصَّةٌ، إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ تَطْوِيلَ الكِتَابِ(١).

سُبْحَانَ اللهِ، يُؤَلِّفُ كِتَابَ «التَّارِيْخِ» وَهُوَ دُونَ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ !!!

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ حَدِيثٍ لَمَا اسْتَغْنَى عَنْ كِتَابِ «التَّارِيْخِ» تَصْنِيف مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ الْبُخَارِيِّ(٢).

وقَالَ أَبُو سَهْلٍ مَحْمُودٌ الشَّافِعِيُّ: سَمِعْتُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِيْنَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ، يَقُوْلُوْنَ: حَاجَتُنَا مِنَ الدُّنْيَا النَّظَرُ فِي «تَارِيْخِ» مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ(٣).

وقَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ الْوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللهُ: قُلْتُ لَهُ يَوْمًا خلوَةً: هَلْ مِنْ دوَاءٍ يشربُهُ الرَّجُلُ، فينتفعُ بِهِ لِلْحفظِ؟ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ، ثُمَّ أَقبلَ عليَّ، وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْحفظِ مِنْ نَهْمَةِ الرَّجُلِ، وَمُدَاومَةِ النَّظَرِ(٤).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: قَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: خَرَجْتُ مِنَ الرَّيِّ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَرَجَعْتُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، فِي أَوَّلِهَا، بَدَأْتُ فَحَجَجْتُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَمْتُ بِهَا خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكُنْتُ عَزَمْتُ فِي بَدْءِ

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٠).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٦)، وهدي الساري ص (٥١٢).

قُدُومِي مِصْرَ، أَنْ أَقِلَّ الْمُقَامَ بِهَا، وَلَمَّا رَأَيْتَ كَثْرَةَ الْعَلِمِ بِهَا وكثرة الاستفادة عَزَمْتُ عَلَى الْمُقَامِ، وَلَمْ أَكُنْ عَزَمْتُ عَلَى سَمَاعِ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ [رَحِمَهُ اللهُ]، فَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الْمَقَامِ، وَجَّهْتُ إِلَى أَعْرَفِ رَجُلٍ بِمِصْرَ بِكُتُبِ الشَّافِعِيِّ [رَحِمَهُ اللهُ]، فَقَبَّلْتُهَا(١) مِنْهُ بِثَمَانِينَ دِرْهَمًا أَنْ يَكْتُبَهَا كُلَّهَا، وَأَعْطَيْتُهُ الْكَاغِدَ [أَيِ الْوَرَق]، وَكُنْتُ حَمَلْتُ مَعِي ثَوْبَيْنِ دَقِيقَيْنِ لِأَقْطَعْهُمَا لِنَفْسِي، فَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى كِتَابَتِهَا أَمَرْتُ بِبَيْعِهَا، فَبِيعَا بِسِتِّينَ دِرْهَمًا وَاشْتَرَيْتُ مِئَةَ وَرَقَةِ كَاغِدِ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمٍ، كَتَبْتُ فِيهَا كُتُبَ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ، فَأَقَمْتُ بِهَا مَا أَقَمْتُ ، وَقَدِمْتُ الْبَصْرَةِ فَكَتَبْتُ فِيهَا عَنْ شَيْبَانَ وَعَبْدِ الْأَعْلَى. وَأَقَمْتُ فِي خَرْجَتِي الثَّالِثَةِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ أَرْبَعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي طَبَخْتُ فِيهَا قِدْرًا بِيَدِ نَفْسِي(٢).

وقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «لَا أَعْلَمُ صَفَا لِي رِبَاطُ يَوْمٍ قَطُّ، أَمَّا بَيْرُوْتُ: فَأَرَدْنَا العَبَّاسَ بنَ الْوَلِيْدِ بنِ مَزْيَدٍ، وَأَمَّا عَسْقَلَانُ: فَأَرَدْنَا مُحَمَّدَ بنَ أَبِي السَّرِيِّ، وَأَمَّا قَزْوِيْنَ: فمُحَمَّدُ بنُ سَعِيْدِ بنِ سَابِقٍ»(٣).

رَحِمَ الله أبَا زُرْعَةَ فَمِنْ عَظِيمِ اهْتِمَامِهِ بِالْعِلْمِ، يَنْشَغِلُ بِهِ وَهُوَ مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ!!!.

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – :

---

(١) أي تراضيا وتعاقدا على أجرة مقابل النسخ.

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص (٣٤٠)، وسير السلف الصالحين ص ١٢٢٦- ١٢٢٧.

(٣) تاريخ دمشق (٤٠/ ١١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٧).

قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : أَوَّلُ سَنَةٍ خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ أَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ، لَمْ أَزَلْ أُحْصِي حَتَّى لَمَّا زَادَ عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ تَرَكْتُهُ، مَا كُنْتُ سِرْتُ أَنَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَادَ فَمَا لَا أُحْصِي كَمْ مَرَّةٍ، وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَخَرَجْتُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ مِنْ قرْبِ مَدِينَةِ صَلَا إِلَى مِصْرَ مَاشِيًا، وَمِنْ مِصْرَ إِلَى الرَّمْلَةِ مَاشِيًا، وَمِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى عَسْقَلَان، وَمِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى طَبَرِيَّةَ ، وَمِنْ طَبَرِيَّةَ إِلَى دِمَشْقٍ، وَمِنْ دِمَشْقٍ إِلَى حِمْصٍ، وَمِنْ حِمْصَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، وَمِنْ أَنْطَاكِيَةَ إِلَى طَرَسُوسَ، ثُمَّ رَجَعْتُ مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى حِمْصٍ، وَكَانَ بَقِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَمَانِ، فَسَمِعْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ حِمْصٍ إِلَى بيسَانَ، وَمِنْ بِيسَانَ إِلَى الرَّقَّةِ، وَمِنَ الرَّقَّةِ رَكِبْتُ الْفُرَاتِ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَرَجْتُ قَبْلَ خُرُوجِي إِلَى الشَّامِ مِنْ وَاسِطٍ إِلَى النِّيلِ، وَمِنَ النِّيلِ إِلَى الْكُوفَةِ، كُلُّ ذَلِكَ مَاشِيًا كلُّ هَذَا فِي سَفَرِي الْأَوَّلِ، وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً أَجُولُ سَبْعَ سِنِينَ، خَرَجْتُ مِنَ الرَّيِّ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ، قَدِمْنَا الْكُوفَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ [وَمِئَتَيْنِ] والْمُقرِئ [عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيد رَحِمَهُ اللهُ] حَيٌّ بِمَكَّةَ، وَجَاءَنَا نَعْيُهُ وَنَحْنُ بِالْكُوفَةِ، وَرَجَعْتُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَخَرَجْتُ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، وَرَجَعْتُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، أَقَمْتُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَقَدِمْتُ طَرَسُوسَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَكَانَ وَالِيَهَا الْحَسَنُ بْنُ مُصْعَبٍ، وَكُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى الْحَسَنِ كَأَنَّهُ مُحَدِّثٌ، أَحْمَرُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ عَلَيْهِ قَلَنْسُوَةٌ حَبِرَةٌ، وَكُنْتُ أُشَبِّهُهُ بِسُنَيْدِ بْنِ دَاوُدَ [رَحِمَهُ اللهُ]، وَرُبَّمَا رَأَيْتُ الْوَالِيَ فَأَظُنُّ أَنَّهُ سُنَيْدٌ، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فَلَا أُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فُتِحَتْ لُؤْلُؤَةُ وَأَنَا

بِطَرَسُوسَ(١).

وقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : بَقِيتُ بِالْبَصْرَةَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أُقِيمَ سَنَةً، فَانْقَطَعَتْ نَفَقَتِي، فَجَعَلْتُ أَبِيعُ ثِيَابَ بَدَنِي شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، حَتَّى بَقِيتُ بِلَا نَفَقَةٍ، وَمَضَيْتُ أَطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِي عَلَى الْمَشْيَخَةِ، وَأَسْمَعُ مِنْهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ، فَانْصَرَفَ رَفِيقِي، وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتٍ خَالٍ، فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنَ الْجُوعِ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ مِنَ الْغَدِ وَغَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي، فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الْحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ فَانْصَرَفَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ جَائِعًا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيَّ. فَقَالَ: سِرْ بِنَا إِلَى الْمَشَايِخِ، فَقُلْتُ: أَنَا ضَعِيفٌ لَا يُمْكِنُنِي، قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟ قُلْتُ: لَا أَكْتُمُكَ أَمْرِي، قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مَا طَعُمْتُ فِيهِمَا شَيْئًا؛ فَقَالَ لِي: قَدْ بَقِيَ مَعِيَ دِينَارٌ فَأَنَا أُوَاسِيكَ بِنِصْفِهِ وَنَجْعَلُ النِّصْفَ الْآخَرَ فِي الْكِرَاءِ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَصْرَةِ، وَقَبَضْتُ مِنْهُ النِّصْفَ دِينَارٍ(٢).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوْبُ بْنُ سُفْيَانَ الْفَسَوِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كُنْتُ فِي رِحْلَتِي فِي طَلَبِ الحَدِيْثِ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ المُدُنِ، فَصَادَفْتُ بِهَا شَيْخًا، احْتَجْتُ إِلَى الإِقَامَةِ عَلَيْهِ للاستِكْثَارِ عَنْهُ، وَقَلَّتْ نَفَقَتِي، وَبَعُدْتُ عَنْ بَلَدِي، فَكُنْتُ أُدْمِنُ الكِتَابَةَ لَيْلًا، وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ نَهَارًا، فَلَمَّا كَانَ ذَات لَيْلَةٍ، كُنْتُ جَالِسًا أَنْسَخُ، وَقَدْ تَصَرَّمَ اللَّيْلُ، فَنَزَلَ

(١) تقدمة الجرح والتعديل ص (٣٥٩-٣٦٠)، وسير السلف ص (١٢٢٧-١٢٢٨).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص(٣٦٣-٣٦٤) ، وسير السلف الصالحين لقوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني ص (١٢٢٨-١٢٢٩).

المَاءُ فِي عَيْنِيَّ، فَلَمْ أُبْصِرِ السِّرَاجَ وَلَا البَيْتَ، فَبَكَيْتُ عَلَى انقِطَاعِي، وَعَلَى مَا يَفُوْتُنِي مِنَ العِلْمِ، فَاشْتَدَّ بُكَائِي حَتَّى اتَّكَأْتُ عَلَى جَنْبِي فَنِمْتُ، فرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَنَادَانِي: يَا يَعْقُوْبُ بْنَ سُفْيَانَ! لِمَ أَنْتَ بَكَيْتَ؟! فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! ذَهَبَ بَصَرِي، فَتَحَسَّرْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْ كُتُبِ سُنَّتِكَ، وَعَلَى الاِنْقِطَاعِ عَنْ بَلَدِي. فَقَالَ: أُدْنُ مِنِّي. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَأَمَرَّ يَدَهُ عَلَى عَيْنِيَّ، كَأَنَّهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمَا. قَالَ: ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَأَبْصَرْتُ، وَأَخَذْتُ نُسَخِي وَقَعَدْتُ فِي السِّرَاجِ أَكْتُبُ (١).

اللهُ أَكْبَرُ، وَرَضِيَ الله عَنْ يَعْقُوب.

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ– رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: كُنَّا بِمِصْرَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، لَمْ نَأْكُلْ فِيْهَا مَرَقَةً، كُلُّ نَهَارِنَا مُقَسَّمٌ لِمَجَالِسِ الشُّيُوْخِ، وَبِاللَّيْلِ: النَّسْخُ وَالمُقَابَلَةُ. قَالَ: فَأَتَيْنَا يَوْمًا أَنَا وَرَفِيْقٌ لِي شَيْخًا، فَقَالُوا: هُوَ عَلِيْلٌ، فَرَأَينَا فِي طَرِيْقِنَا سَمَكَةً أَعْجَبَتْنَا ، فَاشتَرَينَاهُ، فَلَمَّا صِرنَا إِلَى البَيْتِ، حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسٍ، فَلَمْ يُمْكِنَّا إِصْلَاحَهُ، وَمَضَينَا إِلَى المَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَ، فَأَكَلْنَاهُ نَيِّئًا، لَمْ يَكُنْ لَنَا فَرَاغٌ أَنْ نُعْطِيَهُ مَنْ يَشْوِيهِ.

ثُمَّ قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: **لَا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ**(٢).

وَمِنْهُمْ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨١-١٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٦).

- رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا-:

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: دَخَلْتُ الكُوْفَةَ وَمَعِيَ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، فَأَخَذْتُ بِهِ ثَلَاثِيْنَ مُدَّ بَاقِلَّا (مِثْلُ الْفُولِ) فَكُنْتُ آكُلُ مِنْهُ، وَأَكْتُبُ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الْأَشَجِّ، فَمَا فَرَغَ البَاقِلَّا حَتَّى كَتَبْتُ عَنْهُ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، مَا بَيْنَ مَقْطُوعٍ وَمُرْسَلٍ(١).

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ شَاذَانَ رَحِمَهُ اللهُ: قَدِمَ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي دَاوُدَ [رَحِمَهُ اللهُ] سِجِسْتَانَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحَدِّثَهُم، فَقَالَ: مَا مَعِي أَصْلٌ!! فَقَالُوا: ابْنُ أَبِي دَاوُدَ وَأَصْلٌ؟! قَالَ: فَأَثَارُونِي، فَأَمَلَيْتُ عَلَيْهِم مِنْ حِفْظِي ثَلَاثِيْنَ أَلفَ حَدِيْثٍ!! فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ، قَالَ البَغْدَادِيُّونَ: مَضَى إِلَى سِجِسْتَانَ وَلَعِبَ بِهِم، ثُمَّ فَيَّجُوا فَيْجًا (أي جَمَاعَة مِنَ النَّاسِ) اكتَرَوْهُ بِسِتَّةِ دَنَانِيْرَ إِلَى سِجِسْتَانَ، لِيَكْتُبَ لَهُم النُّسْخَةَ، فَكُتِبَتْ، وَجِيءَ بِهَا، وَعُرِضَتْ عَلَى الحُفَّاظِ، فَخَطَّؤونِي فِي سِتَّةِ أَحَادِيْثَ، مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحَادِيْثَ حَدَّثْتُ بِهَا كَمَا حُدِّثْتُ، وثَلَاثَةٌ أَخْطَأْتُ فِيْهَا(٢).

رَحِمَ اللهُ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ يُحَدِّثُ بِثَلَاثِيْنَ أَلْفِ حَدِيْثٍ، فَلَا يُخْطِئُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ !!!!!

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ مِنْ بُحُوْرِ العِلْمِ، مَعَ الفَهْمِ، وَالإِتْقَانِ، وَالبَصَرِ، وَنَقْدِ الرِّجَالِ، وَحُسْنِ التَّأْلِيْفِ. جَالَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فِي خُرَاسَانَ،

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٦٦-٤٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢٣).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٤٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

وَالحِجَازِ، وَمِصْرَ، وَالعِرَاقِ، وَالجَزِيْرَةِ، وَالشَّامِ، وَالثُّغُوْرِ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ مِصْرَ، وَرَحَلَ الحُفَّاظُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ نَظِيْرٌ فِي هَذَا الشَّأْنِ(١).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَأْخُذُ الرُّطَبَ يَشُمُّهُ، وَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ لَطَيِّبٌ، وَلَكِنْ أَطْيَبُ مِنْكَ حِفْظُ مَا وَهَبَ اللهُ لِي مِنَ الْعِلْمِ(٢).

مَضَى [رَحِمَهُ اللهُ] يَوْمًا فِي النَّخَّاسِينَ (الَّذِينَ يِبِيعُونَ الرَّقِيقَ) وَجَارِيَةٌ تُعْرَضُ حَسَنَةٌ كَامِلَةُ الْوَصْفِ، قَالَ: فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِي، ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاضِي، فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ إِلَى السَّاعَةَ؟! فَعَرَّفْتُهُ، فَأَمَرَ بَعْضَ أَسْبَابِهِ (أَيْ غِلْمَانِهِ) فَمَضَى فَاشْتَرَاهَا، وَحَمَلَهَا إِلَى مَنْزِلِي، فَجِئْتُ فَوَجَدْتُهَا، فَعَلِمْتُ الأَمْرَ كَيْفَ جَرَى، فَقُلْتُ لَهَا: كُونِي فَوْقَ إِلَى أَنْ أَسْتَبْرِئُكِ. وَكُنْتُ أَطْلُبُ مَسْأَلَةً قَدِ اخْتَلَّتْ عَلَيَّ، فَاشْتَغَلَ قَلْبِي؛ فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ: خُذْهَا وَامْضِ بِهَا إِلَى النَّخَّاسِ، فَلَيْسَ قَدْرُهَا أَنْ تَشْغَلَ قَلْبِي عَنْ عِلْمِي!! فَأَخَذَهَا الْغُلامُ فَقَالَتْ: دَعْنِي أُكَلِّمُهُ بِحَرْفَيْنِ!! فَقَالَتْ: أَنْت رَجُلٌ لَكَ مَحَلٌ وَعَقْلٌ، وَإِذَا أَخْرَجْتَنِي وَلَمْ تُبَيِّنْ لِي ذَنْبِي لَمْ آمُنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ بِي ظَنًّا قَبِيحًا، فَعَرِّفْنِيهِ قَبْلَ أَن تخرجني. فَقلت لَهَا: مَالك عِنْدِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّكَ شَغَلْتِنِي عَنْ عِلْمِي!!. فَقَالَتْ: هَذَا أَسْهَلُ عِنْدِي!! قَالَ: فَبَلَغَ الرَّاضِي أَمْرَهُ، فَقَالَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ فِي قَلْبِ أَحَدٍ أَحْلَى مِنْهُ فِي صَدْرِ هَذَا الرَّجُلِ(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٧).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٨٤)، والمنتظم (١٣ / ٣٩٩).

(٣) تاريخ بغداد (٢ / ١٨٤-١٨٥)، والمنتظم (١٣/ ٤٠٠)، وذم الهوى ص (٦٦٣- =

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –:

قَالَ أَبُو الحُسَيْنِ أَحْمَدُ بنُ فَارِسَ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعْتُ الْأُسْتَاذَ ابنَ العَمِيدِ يَقُوْلُ: مَا كُنْتُ أَظنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا حَلَاوَةً أَلَذَّ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَالوزَارَةِ الَّتِي أَنَا فِيْهَا، حَتَّى شَاهدتُ مذَاكرَةَ أَبِي القَاسِمِ الطَّبَرَانِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الجِعَابِيِّ بِحَضْرَتِي، فَكَانَ الطَّبَرَانِيُّ يَغْلِبُ أَبَا بَكْرٍ بكَثْرَةِ حِفْظِهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَغْلِبُ بِفطنَتِهِ وَذكَائِهِ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصواتُهما، وَلَا يَكَادُ أَحدُهُمَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ، فَقَالَ الجِعَابِيُّ: عِنْدِي حَدِيْثٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عِنْدِي، فَقَالَ: هَاتِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلِيْفَةَ الجُمَحِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ أَيُّوْبَ، وَحَدَّثَ بِحَدِيْثٍ، فَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ: أَنَا(١) سُلَيْمَانُ بنُ أَيُّوْبَ، وَمِنِّي سَمِعَهُ أَبُو خَلِيْفَةَ، فَاسمعْ مِنِّي حَتَّى يَعْلُوَ فِيْهِ إِسنَادُكَ، فَخَجِلَ الجِعَابِيُّ، فَوَدِدْت أَنَّ الوزَارَةَ لَمْ تكنْ، وَكُنْتُ أَنَا الطَّبَرَانِيَّ، وَفَرِحْتُ كَفَرَحِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ(٢).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –

قَالَ الحافظ أَبُو إِسْحَاقَ الحَبَّالُ: كُنْت يَوْماً عِنْدَ أَبِي نَصْرٍ السِّجْزِيِّ، فَدُقَّ البَابَ، فَقُمْتُ، فَفَتَحتُ، فَدَخَلتِ امْرَأَةٌ، وَأَخرَجَتْ كِيسًا فِيْهِ أَلفُ دِيْنَارٍ، فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَي الشَّيْخِ، وَقَالَتْ: أَنْفِقْهَا كَمَا تَرَى!! قَالَ: مَا المَقْصُوْدُ؟!

=
(٦٦٤).

(١) تصحف في السير إلى: أخبرنا.

(٢) طبقات الحنابلة (٣/ ٩٣-٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٤)، وتاريخ الإسلام (٨/ ١٤٦ تحقيق بشار).

قَالَتْ: تَتَزَوَّجُنِي، وَلَا حَاجَةَ لِي فِي الزَّوجِ، لَكِنْ لِأَخْدُمَكَ. فَأَمَرَهَا بِأَخذِ الكِيسِ، وَأَنْ تَنْصَرِفَ، فَلَمَّا انَصْرَفَتْ، قَالَ: خَرَجتُ مِنْ سِجِسْتَانَ بِنِيَّةِ طَلَبِ العِلْمِ، وَمَتَى تَزَوَّجتُ، سَقطَ عَنِّي هَذَا الِاسْمُ، وَمَا أُوثِرُ عَلَى ثَوَابِ طَلَبِ العِلْمِ شَيْئًا(١).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : يَقُولُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: مَنْ أَنْفَقَ عَصْرَ الشَّبَابِ فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ يَحْمَدُ جَنْيَ مَا غَرَسَ، وَيَلْتَذُّ بِتَصْنِيفِ مَا جَمَعَ، وَلَا يَرَى مَا يَفْقِدُ مِنْ لَذَّاتِ الْبَدَنِ شَيْئًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ لَذَّاتِ الْعِلْمِ، هَذَا مَعَ وُجُودِ لَذَّاتِهِ فِي الطَّلَبِ الَّذِي كَانَ تَأَمَّلَ بِهِ إِدْرَاكَ الْمَطْلُوبِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ أَطْيَبَ مِمَّا نِيلَ مِنْهَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَهْتَزُّ عِنْدَ تَمَنِّي وَصْلِهَا طَرَبًا   وَرُبَّ أُمْنِيَّةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرِ

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ نَفْسِي بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَشِيرَتِي الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَعْمَارَهُمْ فِي اكْتِسَابِ الدُّنْيَا، وَأَنْفَقْتُ زَمَنَ الصَّبْوَةِ وَالشَّبَابِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَرَأَيْتُنِي لَمْ يَفُتْنِي مِمَّا نَالُوهُ إِلَّا مَا لوْ حَصَلَ لِي نَدِمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَأَمَّلْتُ حَالِي فَإِذَا عَيْشِي فِي الدُّنْيَا أَجْوَدُ مِنْ عَيْشِهِمْ، وَجَاهِي بَيْنَ النَّاسِ أعلى مِنْ جَاهِهِمْ، وَمَا نِلْتُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ لَا يُقَاوَمُ. فَقَالَ لِي إِبْلِيسُ: وَنَسِيتَ تَعَبَكَ وَسَهَرَكَ؟!. فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْجَاهِلُ! تَقْطِيعُ الْأَيْدِي لَا وَقْعَ لَهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ يُوسُفَ!! وَمَا طَالَتْ طَرِيقٌ أَدَّتْ إِلَى صَدِيقٍ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٥-٦٥٦)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١١١٩).

جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ

وَلَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَاوَةِ طَلَبِي الْعِلْمَ أَلْقَى مِنَ الشَّدَائِدِ مَا هُوَ عِنْدَي أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ؛ لِأَجْلِ مَا أَطْلُبُ وَأَرْجُو. كُنْتُ فِي زَمَانِ الصِّبَا آخُذُ مَعِي أَرْغِفَةً يَابِسَةً فَأَخْرُجُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَأَقْعُدُ عَلَى نَهْرِ عِيسَى فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَكْلِهَا إِلَّا عِنْدَ الْمَاءِ، فَكُلَّمَا أَكَلْتُ لُقْمَةً شَرِبْتُ عَلَيْهَا، وَعَيْنُ هِمَّتِي لَا تَرَى إِلَّا لَذَّةَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. فَأَثْمَرَ ذَلِكَ عِنْدِي أَنِّي عُرِفْتُ بِكَثْرَةِ سَمَاعِي لِحَديثِ سِيَرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَحْوَالِهِ وَآدَابِهِ، وَأَحْوَالِ أَصْحَابِهِ وَتَابِعِيهِمْ، فَصِرْتُ فِي مَعْرِفَةِ طَرِيقِهِ كَابْنِ أَجْوَدَ. وَأَثْمَرَ ذَلِكَ عِنْدِي مِنَ الْمُعَامَلَةِ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْعِلْمِ، حَتَّى إِنَّنِي أَذْكُرُ فِي زَمَنِ الصَّبْوَةِ وَوَقْتِ الْغُلْمَةِ وَالْعُزْبَةِ قُدْرَتِي عَلَى أَشْيَاءَ كَانَتِ النَّفْسُ تَتُوقُ إِلَيْهَا تَوَقَانَ الْعَطْشَانِ إِلَى الْمَاءِ الزُّلَالِ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي عَنْهَا إِلَّا مَا أَثْمَرَ عِنْدِي مِنَ الْعِلْمِ مِنْ خَوْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (١).

وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ جِدًّا، لَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ حَصْرٌ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، فَمِنْهُمُ الشِّنْقِيطِيُّ وَابْنُ بَازٍ وَالْأَلْبَانِيُّ وَابْنُ عُثَيْمِينَ وَغَيْرُهُمْ وَغَيْرُهُمْ وَغَيْرُهُمْ.

هَذِهِ الْمَفَاخِرُ لَا قَعْبَانِ(٢) مِنْ لَبَنٍ شِيبَتْ بِمَاءٍ فَعَادَتْ بَعْدُ أَبْوَالَا

رَضِيَ اللهُ عَنَّا وَعَنْهُمْ أَجْمَعِين فَإِنَّهُمْ «سَلَكُوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِينَ وَدَمَغُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْمُخَالِفِينَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ

---

(١) صيد الخاطر ص (٢٤٧-٢٤٨) ط. دار القلم- دمشق.

(٢) مثنى قَعْب، وَهُوَ القَدَح الضَّخْمُ، الغلِيظُ، الْجَافِي، وَقِيلَ: قَدَح مِنْ خَشَب مُقَعَّر. [لسان العرب مادة: ق ع ب].

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ مِنْ قَوْمٍ آثَرُوا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ عَلَى التَّنَعُّمِ فِي الدِّمَنِ وَالْأَوْطَارِ وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ، مَعَ مُسَاكَنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَنَعُوا عِنْدَ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِوُجُودِ الْكِسَرِ وَالْأَطْمَارِ، قَدْ رَفَضُوا الْإِلْحَادَ الَّذِي تَتُوقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَتَوَابِعُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالْآرَاءِ وَالزَّيْغِ جَعَلُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتَهُمْ، وَأَسَاطِينَهَا تَكَّاهُمْ، وَبَوَارِيَها (حَصِيرَهُمْ) فُرُشَهُمْ ..... قَدْ نَبَذُوا الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَرَاءَهُمْ، وَجَعَلُوا غِذَاءَهُمُ الْكِتَابَةَ، وَسَمَرَهُمُ الْمُعَارَضَةَ، وَاسْتِرْوَاحَهُمُ الْمُذَاكَرَةَ، وَخَلُوقَهُمُ(عِطْرَهُمْ) الْمِدَادَ، وَنَوْمَهُمُ السُّهَادَ، وَاصْطِلَاءَهُمُ الضِّيَاءَ، وَتَوَسُّدَهُمُ الْحَصَى، فَالشَّدَائِدُ مَعَ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ الْعَالِيَةِ عِنْدَهُمْ رَخَاءٌ، وَوُجُودُ الرَّخَاءِ مَعَ فَقْدِ مَا طَلَبُوهُ عِنْدَهُمْ بُؤْسٌ، فَعُقُولُهُمْ بِلَذَاذَةِ السُّنَّةِ غَامِرَةٌ، قُلُوبُهُمْ بِالرِّضَا فِي الْأَحْوَالِ عَامِرَةٌ، تَعَلُّمُ السُّنَنِ سُرُورُهُمْ، وَمَجَالِسُ الْعِلْمِ حُبُورُهُمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ قَاطِبَةً إِخْوَانُهُمْ، وَأَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ بِأَسْرِهَا أَعْدَاؤُهُمْ»(١).

وَرَحِمَ اللهُ الْقَائِلَ – وَنُسِبَتْ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: كَمَا فِي دِيوَانِهِ– إِذْ يَقُولُ:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِي ... مِنْ وَصْلِ غَانِيةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

وَتَمَايُلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ ... أَشْهَى وَأَحْلَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِي

وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى أَوْرَاقِهَا ... أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ وَالْعُشَّاقِ

وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِدُفِّهَا ... نَقْرِيْ لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِيْ

---

(١) معرفة علوم الحديث ص (٢-٣).

يَا مَنْ يُحَاوِلُ بِالْأَمَانِي رُتْبَتِي ... كَمْ بَيْنَ مُسْتَغْلٍ وَآخَرَ رَاقِي

أَأَبِيتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيتُهُ ... نَوْمًا وَتَبْغِي بَعْدَ ذَلِكَ لِحَاقِي

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ الْجَاحِظُ فِي تَوْصِيتِهِ بِالْكِتَابِ وَالْمُطَالَعَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي كِتَابِ «الْحَيَوَان» (١/ ٥٠-٥٢):

وَالْكِتَابُ هُوَ الْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُطْرِيكَ، وَالصَّدِيقُ الَّذِي لَا يُغْرِيكَ، وَالرَّفِيقُ الَّذِي لَا يَمَلُّكَ، وَالْمُسْتَمِيحُ الَّذِي لَا يَسْتَرِيثُكَ(١)، وَالْجَارُ الَّذِي لَا يَسْتَبْطِيكَ، وَالصَّاحِبُ الَّذِي لَا يُرِيدُ اسْتِخْرَاجَ مَا عِنْدَكَ بِالْمَلَقِ، وَلَا يُعَامِلُكَ بِالمَكْرِ، وَلَا يَخْدَعُكِ بِالنِّفَاقِ، وَلَا يَحْتَالُ لَكَ بِالْكَذِبِ.

وَالْكِتَابُ هُوَ الَّذِي إِنْ نَظَرْتَ فِيهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ، وَجَوَّدَ بَنَانَكَ، وَفَخَّمَ أَلْفَاظَكَ، وَبَجَّحَ(٢) نَفْسَكَ، وَعَمَّرَ صَدْرَكَ، وَمَنَحَكَ تَعْظِيمَ الْعَوَامِّ، وَصَدَاقَةَ الْمُلُوكِ، وَعَرَفْتَ بِهِ فِي شَهْرٍ مَا لَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ فِي دَهْرٍ!! مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ الْغُرْمِ، وَمِنْ كَدِّ الطَّلَبِ، وَمِنَ الْوُقُوفِ بِبَابِ الْمُكْتَسِبِ بِالتَّعْلِيمِ، وَمِنَ الْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ أَنْتَ أَفْضَلُ مِنْهُ خُلُقًا وَأَكْرَمُ مِنْهُ عِرْقًا(٣)، وَمَعَ السَّلَامَةِ مِنْ مُجَالَسَةِ الْبُغَضَاءِ، وَمُقَارَنَةِ الْأَغْبِيَاءِ.

وَالْكِتَابُ هُوَ الَّذِي يُطِيعُكَ بِاللَّيْلِ كَطَاعَتِهِ بِالنَّهَارِ، وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ

---

(١) ومعناها: السائل أو الشفيع الذي لا يستبطئك.

(٢) بَجَّح نفسك: أي فرَّحها. [لسان العرب مادة: ب ج ح].

(٣) هذا الكلام فيه نظر. والله المستعان.

كَطَاعَتِهِ فِي الْحَضَرِ، وَلَا يَعْتَلُّ بِنَوْمٍ، وَلَا يَعْتَرِيهِ كَلَالُ السَّهَرِ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ الَّذِي إِنِ افْتَقَرْتَ إِلَيْهِ لَمْ يُخْفِرْك، وَإِنْ قَطَعْتَ عَنْهُ الْمَادَّةَ لَمْ يَقْطَعْ عَنْكَ الْفَائِدَةَ، وَإِنْ عُزِلْتَ لَمْ يَدَعْ طَاعَتَكَ، وَإِنْ هَبَّتْ رِيحُ أَعَادِيكَ لَمْ يَنْقَلِبْ عَلَيْكَ، وَمَتَى كُنْتَ مِنْهُ مُتَعَلِّقًا بِسَبَبٍ، أَوْ مُعْتَصِمًا بِأَدْنَى حَبْلٍ كَانَ لَكَ فِيهِ غِنًى مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ تَضْطَرَّكَ مَعَهُ وَحْشَةُ الوَحْدَةِ إِلَى جَلِيسِ السَّوْءِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْكَ، وإِحْسَانِه إِلَيْكَ إِلَّا مَنْعُهُ لَكَ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى بَابِكَ، وَالنَّظَرِ إِلَى الْمَارَّةِ بِكَ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْحُقُوقِ الَّتِي تَلْزَمُ، وَمِنْ فُضُولِ النَّظَرِ، وَمِنْ عَادَةِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَمِنْ مُلَابَسَةِ صِغَارِ النَّاسِ، وَحُضُورِ أَلْفَاظِهِمُ السَّاقِطَةِ، وَمَعَانِيهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَأَخْلَاقِهِمُ الرَّدِيَّةِ، وَجَهَالَاتِهِمُ الْمَذْمُومَةِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ السَّلَامَةُ ثُمَّ الْغَنِيمَةُ، وَإِحْرَازُ الْأَصْلِ مَعَ اسْتِفَادَةِ الْفَرْعِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ في ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يُشْغِلُكَ عَنْ سُخْفِ الْمُنَى، وَعَنِ اعْتِيَادِ الرَّاحَةِ، وَعَنِ اللَّعِبِ وكلِّ مَا أَشْبَهَ اللَّعِبَ، لَقَدْ كَانَ عَلَى صَاحِبِهِ أَسْبَغَ النِّعْمَةِ، وَأَعْظَمَ الْمِنَّةِ.

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَفْضَلَ مَا يَقْطَعُ بِهِ الْفُرَّاغُ نَهَارَهُمْ، وَأَصْحَابُ الْفُكَاهَاتِ سَاعَاتِ لَيْلِهِم، الْكِتَاب. وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي لَا يُرَى لَهُمْ فِيهِ مَعَ النَّيْلِ أَثَرٌ فِي ازْدِيَادِ تَجْرِبَةٍ، وَلَا عَقْلٍ وَلَا مُرُوءَةٍ، وَلَا فِي صَوْنِ عِرْضٍ، وَلَا فِي إِصْلَاحِ دِينٍ، وَلَا فِي تَثْمِيرِ مَالٍ، وَلَا فِي رَبِّ صَنِيعَةٍ، وَلَا فِي ابْتَدَاءِ إِنْعَامٍ. انتهى.

وَأَخْتِمُ هَذَا الْفَصْلَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُبَارَكَةِ:

«تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلهِ تَعَالَى خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْأُنْسُ فِي الْوَحْشَةِ،

وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالدِّينُ عِنْدَ الْأَجِلَّاءِ، يَرْفَعُ اللهُ تَعَالَى بِهِ أَقْوَامًا، وَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خِلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ الطَّيْرِ وَأَنْعَامُهُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، يَبْلُغُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ، وَالدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، هُوَ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/٤٩٠-٤٩١):

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الصُّوفِيُّ الزَّاهِدُ [رَحِمَهُ اللهُ]: ذَهَابُ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ: صِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَصِنْفٌ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَصِنْفٌ لا يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ، وَصِنْفٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ(٢).

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩)، و«الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي رقم (٥٠)، و«جامع بيان العلم وفضله» رقم (٢٦٨)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري رقم (١٠٧) ط. دار المعارف بالرياض، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) الرسالة القشيرية ص (٨٦-٨٧ دار الشعب)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٢٣٣)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٦٧٨)، وغيرهم.

وَقَدْ عَلَّقَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ على هذا الكلام في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٢٥) بِقَوْلِهِ: هَذِهِ نُعُوتُ رُؤُوْسِ العَرَبِ وَالتُّرْكِ وَخَلْقٍ مِنْ جَهَلَةِ العَامَّةِ، فَلَو عَمِلُوا بِيَسِيْرِ مَا عَرَفُوا، =

قُلْتُ (ابْنُ الْقَيِّمِ): **الصِّنْفُ الْأَوَّلُ**: مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ، فَهُوَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَامَّةِ؛ فَإِنَّهُ حُجَّةٌ لَهُمْ فِي كُلِّ نَقِيصَةٍ وَمَبْخَسَةٍ.

وَالصِّنْفُ الثَّانِي: الْعَابِدُ الْجَاهِلُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِهِ لِعِبَادَتِهِ وَصَلَاحِهِ؛ فَيَقْتَدُونَ بِهِ عَلَى جَهْلِهِ!!.

وَهَذَانِ الصِّنْفَانِ هَمَا اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ: «احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ»(١). فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَقْتَدُونَ بِعُلَمَائِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ، فَإِذَا كَانَ الْعُلَمَاءُ فَجَرَةً، وَالْعُبَّادُ جَهَلَةً، عَمَّتِ الْمُصِيبَةُ بِهِمَا، وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

وَالصِّنْفُ الثَّالِثُ: الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ وَلَا عَمَل، وَإِنَّمَا هُمْ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ.

وَالصِّنْفُ الرَّابِعُ: نُوَّابُ إِبْلِيسَ فِي الْأَرْضِ؛ وَهُمُ الَّذِينَ يُثَبِّطُونَ النَّاسَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ؛ فَهَؤُلَاءِ أَضَرُّ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، فَإِنَّهُمْ

= لَأَفلَحُوا، وَلَوْ وَقَفُوا عَنِ الْعَمَلِ بِالبِدَعِ لَوُفِّقُوا، وَلَوْ فَتَّشُوا عَنْ دِيْنِهِم وَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ - لاَ أَهْلَ الْحِيَلِ وَالمَكْرِ - لَسَعِدُوا، بَلْ يُعرِضُونَ عَنِ التَّعَلُّمِ تِيهًا وَكَسَلًا، فَوَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الخِلاَلِ مُرْدِيَةٌ، فَكَيْفَ بِهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ؟! فَمَا ظَنُّكَ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا كِبْرٌ، وَفُجُورٌ، وَإِجرَامٌ، وَتَجَهْرُمٌ عَلَى اللهِ؟! نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

(١) صحَّ ذلك عن سفيان الثوري: أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٥ زوائد نعيم بن حماد)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٤٥٠١ رواية ابنه عبد الله)، وابن أبي حاتم في تقدمة الجرح والتعديل ص (٨٨)، والآجري في أخلاق العلماء ص (٨٧-٨٨) وغيرهم

يَحُولُونَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَ هُدَى اللهِ وَطَرِيقِهِ.

فَهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ هُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ هَذَا الْعَارِفُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، وَعَلَى سَبِيلِ الْهَلَكَةِ، وَمَا يَلْقَى الْعَالِمُ الدَّاعِي إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ [ﷺ] مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْأَذَى وَالْمُحَارَبَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ. وَاللهُ يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي سَخَطِهِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مَنْ يُحِبُّ فِي مَرْضَاتِهِ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ.

وَلَا يَنْكَشِفُ سِرُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ وَطَرِيقَتُهُمْ إِلَّا بِالْعِلْمِ، فَعَادَ الْخَيْرُ بِحَذَافِيرِهِ إِلَى الْعِلْمِ وَمُوجَبِهِ، وَالشَّرُّ بِحَذَافِيرِهِ إِلَى الْجَهْلِ وَمُوجَبِهِ. انتهى.

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ الصَّلَاةُ؛ « فَإِنَّهَا مَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَمِيزَانُ الْإِيمَانِ، بِهَا يُوزَنُ إِيمَانُ الرَّجُلِ وَيَتَحَقَّقُ حَالُهُ، وَمَقَامُهُ، وَمِقْدَارُ قُرْبِهِ مِنَ اللهِ، وَنَصِيبُهُ مِنْهُ، فإِنَّهَا مَحِلُّ الْمُنَاجَاةِ وَالْقُرْبَةِ، وَلَا وَاسِطَةَ فِيهَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَلَا شَيْءَ أَقَرُّ لِعَيْنِ الْمُحِبِّ وَلَا أَلَذُّ لِقَلْبِهِ وَلَا أَنْعَمُ لِعَيْشِهِ مِنْهَا، إِذَا كَان مُحِبًّا؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ آثَرُ عِنْدَ الْمُحِبِّ وَلَا أَطْيَبُ لَهُ مِنْ خَلْوَتِهِ بِمَحْبُوبِهِ، وَمُنَاجَاتِهِ لَهُ، وَمُثُولِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ أَقْبَلَ مَحْبُوبُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُعَذَّبًا بِمُقَاسَاةِ الْأَغْيَارِ، وَمُوَاصَلَةِ الْخَلْقِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِمْ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ هَرَبَ مِنْ سِوَى اللهِ إِلَيْهِ، وَآوَى عِنْدَه وَاطْمَأَنَّ بِذِكْرِهِ، وَقرَّتْ عَيْنُهُ بِالمُثول بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُنَاجَاتِهِ، فَلَا شَيْءَ أَهَمُّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ، كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ وَغَمٍّ حَتَّى تَحْضُرَ الصَّلَاةُ فَيَجَدَ قَلْبَهُ قَدِ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ وَاسْتَرَاحَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ [رضي الله عنه]: «**يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»(١). وَلَمْ يَقُلْ: أَرِحْنَا مِنْهَا، كَمَا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ الْغَافِلُونَ.

فَالصَّلَاةُ قُرَّةُ عُيُونِ الْمُحِبِّينَ، وَسُرُورُ أَرْوَاحِهِمْ، وَلَذَّةُ قُلُوبِهِمْ، وَبَهْجَةُ نُفُوسِهِمْ، يَحْمِلُونَ هَمَّ الْفَرَاغِ مِنْهَا إِذَا دَخَلُوا فِيهَا، كَمَا يَحْمِلُ الْفَارِغُ الْبَطَّالُ هَمَّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا بِسُرْعَةٍ، فَلَهُمْ فِيهَا شَأْنٌ، وَلِلنَّقَّارِينَ شَأْنٌ!! يَشْكُونَ إِلَى اللهِ سُوءَ صَنِيعِهِمْ بِهِمْ إِذَا ائْتَمُّوا بِهِمْ!! كَمَا يَشْكُو الْغَافِلُ الْمُعْرِضُ تَطْوِيلَ إِمَامِهِ!! فَسُبْحَانَ مَنْ فَاضَلَ بَيْنَ النفوس، وَفَاوَتَ بَيْنَهَا هَذَا التَّفَاوُتَ الْعَظِيمَ.

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٢٣٠٨٨، ٢٣١٥٤)، وأبو داود (٤٩٨٥، ٤٩٨٦) وغيرهما من حديث رجل من الأنصار رضي الله عنه.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ كانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ فَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ، وَأَنْعَمُ عِنْدَه مِنْهَا، وَبِوُدِّهِ أَنْ لوْ قَطَعَ عُمْرَهُ بِهَا، غَيْرَ مُشْتَغِلٍ بِغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يُسَلِّي نَفْسَهُ إِذَا فَارَقَهَا، بِأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَيْهَا عَنْ قُرْبٍ، فَهُوَ دَائِمًا يَثُوبُ إِلَيْهَا، وَلَا يَقْضِي مِنْهَا وَطَرًا، فَلَا يَزِنُ الْعَبْدُ إِيمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ لِلهِ بِمِثْلِ مِيزَانِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا الْمِيزَانُ الْعَادِلُ، الَّذِي وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ»(١).

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**حُبِّبَ إِلَيَّ الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٢).

«قُرَّةُ الْعَيْنِ فَوْقَ الْمَحَبَّةِ، فَجَعَلَ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ مِمَّا يُحِبُّ، وَأَخْبَرَ أَنَّ قُرَّةَ الْعَيْنِ الَّتِي يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِالْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَتَحْضُرُهُ لَذَّتُهُ وَفَرَحُهُ وَسُرُورُهُ وَبَهْجَتُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي الصَّلَاةِ؛ الَّتِي هِيَ صِلَةٌ بِاللهِ، وَحُضُورٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمُنَاجَاةٌ لَهُ، وَاقْتِرَابٌ مِنْهُ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ قُرَّةَ الْعَيْنِ!! وَكَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِسِوَاهَا؟! فَإِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ هَذَا الْحَظُّ الْجَلِيلُ، فَأَيُّ فَقْرٍ تَخْشَى مَعَهُ!! وَأَيُّ غِنًى فَاتَهَا حَتَّى تَلْتَفِتَ إِلَيْهِ؟!»(٣).

« فَالصَّلَاةُ قَدْ وُضِعَتْ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَحْسَنِهَا الَّتِي تَعَبَّدَ بِهَا الْخَالِقُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ مِنْ تَضَمُّنِهَا لِلتَّعْظِيمِ لَهُ بِأَنْوَاعِ الْجَوَارِحِ؛ مِنْ نُطْقٍ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَالرَّأْسِ وَحَوَاسِهِ، وَسَائِرِ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ،

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٦٦٥-٦٦٧ ط. المجمع).

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٢٢٩٣، ١٣٠٥٧، ١٤٠٣٧)، والنسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٨١ ط. المجمع).

كُلٌّ يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ الْمِقْدَارِ، مَعَ أَخْذِ الْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ بِحَظِّهَا مِنْهَا، وَقِيَامِ الْقَلْبِ بِوَاجِبِ عُبُودِيَّتِهِ فِيهَا، فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، وَشَهَادَةِ الْحَقِّ، وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْخَاضِعِ الْمُدَبَّرِ الْمَرْبُوبِ، ثُمَّ التَّذَلُّلِ لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ، ثم انحناء الظهر ذُلًّا لَهُ وَخُشُوعًا وَاسْتِكَانَةً، ثُمَّ اسْتِوَائِهِ قَائِمًا لِيَسْتَعِدَّ لِخُضُوعٍ أَكْمَلَ لَهُ مِنَ الْخُضُوعِ الْأَوَّلِ - وَهُوَ السُّجُودُ مِنْ قِيَامٍ - فَيَضَعُ أَشْرَفَ شَيْءٍ فِيهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ- عَلَى التُّرَابِ خُشُوعًا لِرَبِّهِ وَاسْتِكَانَةً، وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ، وَذُلًّا لِعِزَّتِهِ، وَقَدِ انْكَسَرَ لَهُ قَلْبُهُ، وَذَلَّ لَهُ جِسْمُهُ، وَخَشَعَتْ لَهُ جَوَارِحُهُ، ثُمَّ يَسْتَوِي قَاعِدًا يَتَضَرَّعُ لَهُ، وَيَتَذَلَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى حَالِهِ مِنَ الذُّلِّ وَالْخُشُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ، فَلَا يَزَالُ هَذَا دَأْبهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَيَجْلِسَ عِنْدَ إِرَادَةِ الِانْصِرَافِ مِنْهَا مُثْنِيًا عَلَى رَبِّهِ، مُسَلِّمًا عَلَى نَبِيِّهِ [ﷺ] وَعَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ [ﷺ]، ثُمَّ يَسْأَلُ رَبَّهُ مِنْ خَيْرِهِ وَبِرِّهِ وَفَضْلِهِ.

فَأَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ العِبَادَةِ مِنَ الحُسْنِ؟! وَأَيُّ كَمَالٍ وَرَاءَ هَذَا الْكَمَالِ؟! وَأَيُّ عُبُودِيَّةٍ أَشْرَفُ مِنْ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ؟!(١).

«وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبَ خَمْسَةٍ:

أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ، الْمُفَرِّطِ، وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا وَمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢ / ٣٢٠-٣٢١).

الثَّانِي: مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةِ وَوُضُوئِهَا، لَكِنَّهُ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَسَةِ، فَذَهَبَ مَعَ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ.

الثَّالِثُ: مَنْ حَافَظَ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ؛ لِئَلَّا يَسْرِقَ مِنْهُ صَلَاتَهُ، فَهُوَ فِي صَلَاةٍ وَجِهَادٍ.

الرَّابِعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا، وَاسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ مُرَاعَاةُ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا؛ لِئَلَّا يُضَيِّعَ مِنْهَا شَيْئًا، بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَإِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا، قَدِ اسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنُ الصَّلَاةِ وَعُبُودِيَّةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.

الْخَامِسُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَاظِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ، مُرَاقِبًا لَهُ، مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ، وَقَدِ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ وَالْخَطَرَاتُ، وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَرِيرُ الْعَيْنِ بِهِ.

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُعَاقَبٌ، وَالثَّانِي مُحَاسَبٌ، وَالثَّالِثُ مُكَفَّرٌ عَنْهُ، وَالرَّابِعُ مُثَابٌ، وَالْخَامِسُ مُقَرَّبٌ؛ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ أَيْضًا بِهِ فِي الدُّنْيَا، ومن قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ على الدُّنْيَا

حَسَرَاتٍ»(١).

«فَإِذَا انْضَافَ ذَلِكَ إِلَى عَدَدِ رَكَعَاتِ الْفَرْضِ وَالسّنَنِ الرّاتِبَةِ الّتِي كَانَ [ﷺ] يُحَافِظُ عَلَيْهَا؛ جَاءَ مَجْمُوعُ وِرْدِهِ الرّاتِبِ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ أَرْبَعِينَ رَكْعَةً، كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا دَائِمًا: سَبْعَةَ عَشَرَ فَرْضًا، وَعَشْرُ رَكَعَاتٍ أَوْ ثِنْتَا عَشْرَةَ سُنّةً رَاتِبَةً، وَإِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً قِيَامَ اللّيْلِ، فَالْمَجْمُوعُ أَرْبَعُونَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَعَارِضٌ غَيْرُ رَاتِبٍ، كَصَلَاةِ الْفَتْحِ ثَمَان رَكَعَاتٍ، وَصَلَاةِ الضّحَى إذَا قَدِمَ مِنْ مغيبِهِ، وَصِلَاتِهِ عِنْدَ مَنْ يَزُورُهُ، وَتَحِيّةِ الْمَسْجِدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَاظِبَ عَلَى هَذَا الْوِرْدِ دَائِمًا إِلَى الْمَمَاتِ، فَمَا أَسْرَعَ الإِجَابَةَ وَأَعْجَلَ فَتْحَ الْبَابِ لِمَنْ يَقْرَعُهُ كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعِينَ مَرّةً. وَاَللّهُ الْمُسْتَعَانُ»(٢).

وَانْظُرْ وَتَفَكَّرْ وَتَدَبَّرْ فِي حَالِ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صُدُورَهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَتَقَرَّبْ إِلَى رَبِّكَ كَمَا تَقَرَّبُوا، وَاخْشَعْ كَمَا خَشَعُوا تَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ [أَيْ مَشْدُودٌ بِالْأَطْنَابِ وَهِيَ الْحِبَالُ] بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ص (٤٩-٥٠ ط. المجمع).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٢٧ ط. الرسالة)، و(١/ ٣٨٤ ط. المجمع).

أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**»(١).

وَمِنْهُمْ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رضي الله عنه سَيِّدُ الْمُؤَذِّنِينَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ: «**يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ»(٢).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما:

قَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ رحمه الله: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما] إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، كَأَنَّهُ عُودٌ، وَحَدَّثَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَانَ كَذَلِكَ(٣).

وقَالَ ثَابِتُ بْنُ أَسْلَمَ البُنَانِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أَمُرُّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما]، وَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٦٣)، وأبو داود (٥٥٧)، وابن ماجه (٧٨٣)، وأحمد (٢١٢١٢-٢١٢١٧) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨)، وأحمد (٨٤٠٣، ٩٦٧٢) وغيرهم.

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٨-٣٦٩).

خَلْفَ المَقَامِ يُصَلِّي، كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوْبَةٌ لَا تَتَحَرَّكُ(١).

وقَالَ عَمْرُو بنُ دِيْنَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما] يُصَلِّي فِي الحِجْرِ، وَالمِنْجَنِيْقُ يَصُبُّ تُوْبَهُ(٢) فَمَا يَلتَفِتُ -يَعْنِي: لَمَّا حَاصَرُوْهُ-(٣).

وقَالَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ رَحِمَهُ اللهُ:كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما] لَا يُنَازَعُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَجَاعَةٍ، وَلَا عِبَادَةٍ، وَلَا بَلاغَةٍ(٤).

وَمِنْهُمْ سَيِّدُ التَّابِعِينَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: مَا فَاتَتْنِي الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً(٥)

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلَاثِيْنَ سَنَةً، إِلَّا وَأَنَا فِي المَسْجِدِ(٦).

وقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «مَا فَاتَتْنِي التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَمَا نَظَرْتُ فِي قَفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً»(٧).

وَمِنْهُمْ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ– زَاهِدُ عَصْرِهِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٦٩).

(٢) التوب: بالتاء المثناة أي: حجر المنجنيق.

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٣٦٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٧٠).

(٥) حلية الأولياء (٢ / ١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢١).

(٦) حلية الأولياء (٢/ ١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢١). وقال الذهبي رحمه الله: إسناده ثابت.

(٧) حلية الأولياء (٢/ ١٦٢).

قَالَ عُثْمَانُ بنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ رَحِمَهُ اللهُ: عَلَّقَ أَبُو مُسْلِمٍ [رَحِمَهُ اللهُ] سَوْطًا فِي المَسْجِدِ، فَكَانَ يَقُوْلُ: أَنَا أَوْلَى بِالسَّوْطِ مِنَ البَهَائِمِ. فَإِذَا فَتَرَ، مَشَقَ(١) سَاقَيْهِ سَوْطاً أَوْ سَوْطَيْنِ.

قَالَ: وَكَانَ يَقُوْلُ: لَوْ رَأَيْتُ الجَنَّةَ عِيَانًا، أَوِ النَّارَ عِيَانًا مَا كَانَ عِنْدِي مُسْتَزَادٌ(٢).

وَمِنْهُمْ عَامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ التَّمِيْمِيُّ، الْوَلِيُّ الزَّاهِدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – أَنَّ عَامِرًا [رَحِمَهُ اللهُ] كَانَ يَقُوْلُ: مَنْ أُقْرِئُ ؟ (أي الْقُرْآنَ) فَيَأْتِيْهِ نَاسٌ، فَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَقُوْمُ، فَيُصَلِّي إِلَى الظُّهْرِ، ثُمَّ يُصَلِّي إِلَى العَصْرِ، ثُمَّ يُقْرِئُ النَّاسَ إِلَى المَغْرِبِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا بَيْنَ الْعِشَاءيْنِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَيَأْكُلُ رَغِيْفًا، وَيَنَامُ نَوْمَةً خَفِيْفَةً، ثُمَّ يَقُوْمُ لِصَلَاتِهِ، ثُمَّ يَتَسَحَّرُ رَغِيْفًا، وَيَخْرُجُ(٣).

وَعَنْ أَبِي الحُسَيْنِ المُجَاشِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: قِيْلَ لِعَامِرِ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ: أَتُحَدِّثُ نَفْسَكَ فِي الصَّلَاةِ؟! قَالَ: أُحَدِّثُهَا بِالوُقُوْفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَمُنْصَرَفِي(٤).

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ لَا يَزَالُ يُصَلِّي مِنْ طُلُوْعِ الشَّمْسِ إِلَى العَصْرِ، فَيَنْصَرِفُ وَقَدِ

---

(١) مشقه: ضربه بسرعة. [تاج العروس م ش ق]

(٢) تاريخ دمشق (٢٩ / ١٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥-١٦).

(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٦) وسير أعلام النبلاء (٤ / ١٧).

انْتَفَخَتْ سَاقَاهُ، فَيَقُوْلُ: يَا أَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ، إِنَّمَا خُلِقْتِ لِلْعِبَادَةِ(١).

وَمِنْهُمْ الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمٍ الثَّوْرِيُّ القُدْوَةُ، العَابِدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: الَّذِي قَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه: لَوْ رَآكَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَأَحَبَّكَ، وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ المُخْبِتِيْنَ(٢).

وَكَانَ رحمه الله إِذَا سَجَدَ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ، فَتَجِيءُ الْعَصَافِيرُ فَتَقَعُ عَلَيْهِ.

وكان – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بَعْدَمَا سَقَطَ شِقُّهِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَى مَسْجِدِ قَوْمِهِ وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ [رضي الله عنه] يَقُولُونَ: يَا أَبَا يَزِيدَ، لَقَدْ رَخَّصَ اللهُ لَكَ، لَوْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ، فَيَقُولُ: «إِنَّهُ كَمَا تَقُولُونَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يُنَادِي حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَمَنْ سَمِعَهُ مِنْكُمْ يُنَادِي حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَلْيُجِبْهُ، وَلَوْ زَحْفًا وَلَوْ حَبْوًا»(٣).

وَاشْتَرَى – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فَرَسًا بِثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَغَزَا عَلَيْهَا، ثمَّ أَرْسَلَ غُلَامَهُ يَسَارَ يَحْتَشُّ، وَرَبَطَ فَرَسَهُ، قَامَ يُصَلِّي، فَجَاءَ الْغُلَامُ، قَالَ: يَا رَبِيعُ أَيْنَ الْفَرَسُ؟ قَالَ: سُرِقَتْ يَا يَسَارُ. قَالَ: تُسْرَقُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا؟! قَالَ: نَعَمْ يَا يَسَارُ، إِنِّي كُنْتُ أُنَاجِي رَبِّي فَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُنِي عَنْ مُنَاجَاةِ رَبِّي شَيْءٌ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ غَنِيًّا فَاهْدِهِ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنِهِ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٤).

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٢– ١٣) وسير أعلام النبلاء (٤ / ١٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٠٦) وسير أعلام النبلاء (٤ / ٢٥٨).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ١١٣).

(٤) مختصر قيام الليل ص (٢٧).

وَمِنْهُمْ مُرَّةُ الطَّيِّبُ بنُ شَرَاحِيْلَ الهَمْدَانِيُّ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: مُرَّةُ الخَيْرُ؛ لِعِبَادَتِهِ، وَخَيْرِهِ، وَعِلْمِهِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٧٥/٤): بَلَغَنَا عَنْهُ أَنَّهُ سَجَدَ للهِ حَتَّى أَكَلَ التُّرَابُ جَبْهَتَهُ. .... مَا كَانَ هَذَا الوَلِيُّ يَكَادُ يَتَفَرَّغُ لِنَشْرِ العِلْمِ، وَلِهَذَا لَمْ تَكْثُرْ رِوَايَتُهُ، وَهَلْ يُرَادُ مِنَ العِلْمِ إِلَّا ثَمَرَتُهُ!!.

وقَالَ عَطَاءُ بنُ السَّائِبِ: رَأَيْتُ مُصَلَّى مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ مِثْل مَبْرَكِ البَعِيْرِ(١)

وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْأَيَامِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كُنَّا نَأْتِي مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ فَيَخْرُجُ إِلَيْنَا فَنَرَى أَثَرَ السُّجُودِ فِي جَبْهَتِهِ وَكَفَّيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، قَالَ: فَيَجْلِسُ مَعَنَا هُنَيْئَةً ثُمَّ يَقُومُ فَإِنَّمَا هُوَ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ(٢).

وَمِنْهُمْ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُوْدٍ ، أَحَدُ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ مِنَ العُلَمَاءِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ، لَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرُغَ، وَإِنَّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ [رضي الله عنهما] كَانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ، وَكَانَ يَأْتِيْهِ، فَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَيُطَوِّلُ عُبَيْدُ اللهِ فِي صَلَاتِهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، فَقِيْلَ لَهُ: عَلِيٌّ وَهُوَ مِمَّنْ هُوَ مِنْهُ!!

فَقَالَ: لَا بُدَّ لِمَنْ طَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ أَنْ يُعَنَّى بِهِ(٣).

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٥).

(٢) حلية الأولياء (٤/ ١٦٢).

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٥٤٥)، وتاريخ دمشق (٤٤/ ١٥٤)، وسير أعلام
=

وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العَابِدِينَ ﷺ وَعَنْ آبَائِهِ، السَّيِّدُ الْقُرَشِيُّ الهَاشِمِيُّ، سَيِّدُ أَهْلِ البَيْتِ فِي زَمَانِهِ.

عَنْ أَبِي نُوْحٍ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: وَقَعَ حَرِيْقٌ فِي بَيْتٍ فِيْهِ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَجَعَلُوا يَقُوْلُوْنَ: يَا ابْنَ رَسُوْلِ اللهِ، النَّارَ! فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى طُفِئَتْ. فَقِيْلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلْهَتْنِي عَنْهَا النَّارُ الأُخْرَى(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا] إِذَا مَشَى لَا تُجَاوِزُ يَدُهُ فَخِذَيْهِ، وَلَا يَخْطِرُ بِهَا، وَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، أَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ. فَقِيْلَ لَهُ، فَقَالَ: تَدْرُوْنَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ أَقُوْمُ وَمَنْ أُنَاجِي؟!(٢).

وَمِنْهُمْ مُسْلِمُ بنُ يَسَارٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ البَصْرِيُّ، القُدْوَةُ، الفَقِيْهُ، الزَّاهِدُ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُسْلِمِ بنِ يَسَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ أَبَاهُ كَانَ إِذَا صَلَّى كَأَنَّهُ وَدٌّ (أي وَتَد) لَا يَمِيْلُ هَكَذَا، وَلَا هَكَذَا (٣).

وَقَالَ غَيْلَانُ بنُ جَرِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ مُسْلِمُ بنُ يَسَارٍ [رَحِمَهُ اللهُ] إِذَا صَلَّى، كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مُلْقًى(٤).

=

النبلاء (٤/ ٣٨٨).

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٢٢ دار الفكر)، وحلية الأولياء (٣ / ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢).

(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٨٥)، وحلية الأولياء (٢/ ٢٩١)، وسير النبلاء (٤/ ٥١١).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٩٠)، وسير النبلاء (٤/ ٥١٢)، وتاريخ دمشق (٦١ / ٩٨).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَوْذَبٍ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ مُسْلِمُ بنُ يَسَارٍ [رَحِمَهُ اللهُ] يَقُوْلُ لِأَهْلِهِ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ: تَحَدَّثُوا، فَلَسْتُ أَسْمَعُ حَدِيْثَكُم(١).

وَعَنْ مَيْمُونَ بْنِ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ [رَحِمَهُ اللهُ] مُلْتَفِتًا فِي صَلَاتِهِ قَطُّ خَفِيفَةً وَلَا طَوِيلَةً، وَلَقَدِ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ أَهْلُ السُّوقِ لِهَدْمِهِ، وَإِنَّهُ لَفِي الْمَسْجِدِ فِي صَلَاتِهِ فَمَا الْتَفَتَ(٢).

وَمِنْهُمْ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ العَنَزِيُّ ، الزَاهِدُ الكَبِيرُ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ لَا يَرْكَعُ إِذَا افْتَتَحَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَنْكَبُوت.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَقُومَ حَتَّى يَشْتَكِيَ صُلْبِي(٣).

وقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: يَمُوتُ الْمُسْلِمُ بَيْنَ حَسَنَتَيْنِ، حَسَنَةٍ قَضَاهَا وَحَسَنَةٍ يَنْتَظِرُهَا – يَعْنِي الصَّلَاةَ(٤).

وَمِنْهُمْ عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ آبَائِهِ:

قَالَ مُصْعَبٌ رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعَ عَامِرٌ [رَحِمَهُ اللهُ] المُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: خُذُوا بِيَدِي. فَقِيْلَ: إِنَّكَ عَلِيْلٌ! قَالَ: أَسْمَعُ دَاعِيَ اللهِ، فَلَا أُجِيْبُهُ!! فَأَخَذُوا بِيَدِهِ، فَدَخَلَ مَعَ الْإِمَامِ فِي المَغْرِبِ، فَرَكَعَ رَكْعَةً، ثُمَّ مَاتَ(٥).

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٩٠)، وتاريخ دمشق (٦١ / ٩٩)، وسير النبلاء (٤/ ٥١٢).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٩٠-٢٩١)، وتاريخ دمشق (٦١/ ٩٩، ١٠٠).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٢).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ٦٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

وَمِنْهُمْ ثَابِتُ بنُ أَسْلَمَ البُنَانِيُّ، الْإِمَامُ، القُدْوَةُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ ثَابِتٌ [رَحِمَهُ اللهُ] يَقُوْلُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ، فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ فِي قَبْرِي.

فَيُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ اسْتُجِيْبَتْ لَهُ، وَإِنَّهُ رُئِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ -فِيْمَا قِيْلَ-(١).

وَرَحِمَ اللهُ ثَابِتًا حَيْثُ يَقُولُ: كَابَدْتُ الصَّلَاةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَتَنَعَّمْتُ بِهَا عِشْرِيْنَ سَنَةً (٢).

وَمِنْهُمْ الْبُخَارِيُّ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ ، جَبَلُ الْحِفْظِ، وَإِمَامُ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللهُ: دُعِيَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ [رَحِمَهُ اللهُ] إِلَى بُسْتَانِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى بِالقَوْمِ الظُّهْرَ، قَامَ يتطوَّعُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، رَفعَ ذيلَ قَمِيصِهِ، فَقَالَ لبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: انظُرْ هَلْ تَرَى تَحْتَ قَمِيصِي شَيْئًا؟ فَإِذَا زُنْبُورٌ قَدْ أَبَرَهُ(٣) فِي ستَّةِ عشرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا، وَقَدْ تورمَ مِنْ ذَلِكَ جَسَدُهُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ القَوْمِ: كَيْفَ لَمْ تخرجْ مِنَ الصَّلَاةِ أَوَّلَ مَا أَبَرَكَ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُوْرَةٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّهَا!!(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٤).

(٣) أبره: أي لَسَعَهُ بإبرته. [النهاية في غريب الحديث والأثر مادة: أ ب ر].

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٢-١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٢).

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ المَرْوَزِيُّ الْإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصِّبْغِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: أَدْرَكْتُ إِمَامَيْن لَمْ أُرْزَق السَّمَاعَ مِنْهُمَا: أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ [رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى]، فَأَمَّا ابْنُ نَصْرٍ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ، لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ زُنْبُورًا قَعَدَ عَلَى جَبْهَتِهِ، فسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجهِهِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ الْأَخْرَمِ رَحِمَهُ اللهُ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْ مُحَمَّدِ ابنِ نَصْرٍ [رَحِمَهُ اللهُ]، كَانَ الذُّبَابُ يقعُ عَلَى أُذُنِهِ، فَيَسِيْلُ الدَّمُ، وَلَا يَذُبُّهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ صَلَاتِهِ وَخُشُوعِهِ وَهَيئَتِهِ للصَّلَاةِ، كَانَ يَضَعُ ذَقْنَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَيَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوبَةٌ(٢).

وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ جِدًّا أَسْأَلَ الله تَعَالَى أنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ.

وَأَخْتِمُ هَذَا الْفَصْلَ بِمَا قَالَهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ المَرْوَزِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ «تَعْظِيم قَدْرِ الصَّلَاة» (٣٣٨/١ تحقيق الفريوائي):

وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ خَصَّ أَهْلَ جِوَارِهِ بِخَاصَّةِ اللُّطْفِ فِي جَنَّتِهِ مِنَ الْهَدَايَا ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، فَجَعَلَ هَدَايَاهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ فِي جَنَّتِهِ بِمَقَادِيرِ صَلَوَاتِهِمْ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانُوا يُصَلُّونَهَا، وَكَذَلِكَ جَعَلَ تَسْلِيمَ مَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمْ بِمَقَادِيرِ أَوْقَاتِ صَلَوَاتِهِمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ وَأَوْقَاتِهَا، فَكَفَى بِالصَّلَاةِ فَضْلًا وَحُسْنَ

(١) تاريخ بغداد (٣ / ٣١٧)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦-٣٧).

عَاقِبَةٍ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنْ كَانَ مُتَوَاضِعًا فِي الدُّنْيَا فِي صَلَاتِهِ، خَاشِعًا، يَأْخُذُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بِالْيُمْنَى، حُشِرَ عَلَى إِخْبَاتِهِ فِي صَلَاتِهِ، ثَوَابًا لِخُشُوعِهِ فِي صَلَاتِهِ، عَلَامَةً لَهُ مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ، أَنَّهُ هَكَذَا كَانَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، مُتَذَلِّلًا إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَاجِيهِ.

وقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (١٣٦/١): وَلَمْ نَجِدِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَدَحَ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُوَاظَبَتِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ مَدْحَ مَنْ وَاظَبَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ ذَكَرَهَا مُبْتَدَأَةً مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، قَالَ اللهُ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة المعارج: ١٩-٢٠]. ثُمَّ لَمْ يُبَرِّئْ أَحَدًا مِنْ هَذَيْنِ الْخُلُقَيْنِ الْمَذْمُومَيْنِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ قَبْلَ الْمُصَلِّينَ فَقَالَ: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة المعارج: ٢٢- ٢٣]. ثُمَّ أَعَادَ ذِكْرَهُمْ فِي آخِرِ الْآيَةِ بِذِكْرٍ آخَرَ فَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [سورة المعارج: ٣٤ - ٣٥]. وَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [سورة فاطر: ٢٩] فِي كُلِّ ذَلِكَ يَبْدَأُ بِمَدْحِ الصَّلَاةِ قَبْلَ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، تَبِعَهَا مَا تَبِعَهَا مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ، فَكَرَّرَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ، وَمَدَحَهُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا لِيَدُومُوا عَلَيْهَا، كُلُّ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لَهَا، وَتَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ: **الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**، بَلْ وَزَوَالِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**، قَالَ أُبَيٌّ [رضي الله عنه]: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟! فَقَالَ: **مَا شِئْتَ**. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: **إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»(١).

«الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ أَدَاءٌ لأَقَلِّ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ [ﷺ]، وَشُكْرٌ لَهُ عَلَى نعْمَتِهِ الَّتِي أنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا، مَعَ أَن الَّذِي يسْتَحقّهُ من ذَلِك لَا يُحْصَى عِلْمًا، وَلَا قُدْرَةً، وَلَا إِرَادَةً، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لِكَرَمِهِ رَضِيَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ شُكْرِهِ وَأَدَاءِ حَقِّهِ»(٢).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى**

---

(١) (حسن) أخرجه أحمد (٢١٢٤١، ٢١٢٤٢)، والترمذي (٢٤٥٧) واللفظ له، وقال: حسن صحيح. وصححه الحاكم (٣٦٢٤، ٣٩٤٢)، وغيرهم.

(٢) جلاء الأفهام فِي فضل الصَّلَاة وَالسَّلَام على خير الْأَنَام ص (٥٣٤ ط. المجمع).

اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا، وَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ مَجْلِسُهُمْ تِرَةً [حَسْرَةً] عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٤).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ ﵀ في «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ» ص (٥٢١-٥٣٦ ط. المجمع). باختصار:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٥)، وأبو داود (١٥٣٠)، والنسائي (١٢٩٦)، والترمذي (٤٨٥)، وأحمد (٨٨٥٤، ٨٨٨٢، ١٠٢٨٧) وغيرهم.

(٢) (**حسن**) أخرجه أحمد (٩٧٦٤، ٩٨٤٣، ١٠٢٧٧)، والترمذي (٣٣٨٠)، والطبراني في الدعاء (١٩٢٣-١٩٢٥)، والحاكم (١٨٣٤ موقوفًا)، وغيرهم.

(٣) (**صحيح لغيره**) أخرجه أحمد (١٧٣٦)، والنسائي في الكبرى (٨٢٤٣، ٩٩٩٣، ٩٩٩٤)، والترمذي (٣٥٤٦)، والبزار (١٣٤٢)، وأبو يعلى (٦٧٧٦)، والطبراني (٢٨٨٥)، وابن حبان (٩٠٩)، والحاكم (٢٠٤١)، وغيرهم.

(٤) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٧٤٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٦)، والترمذي (٣٥٤٥)، والبزار (٨٤٦٥)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، وابن حبان (٩٠٨)، والحاكم (٢٠٤٢)، وغيرهم.

الْفَوَائِدُ وَالثَّمَرَاتُ الْحَاصِلَةُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ:

الْأُولَى: امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثَّانِيَةُ: مُوَافَقَتُهُ سُبْحَانَهُ فِي الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الصَّلَاتَانِ، فَصَلَاتُنَا عَلَيْهِ دُعَاءٌ وَسُؤَالٌ، وَصَلَاةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءٌ وَتَشْرِيفٌ.

الثَّالِثَةُ: مُوَافقةُ مَلَائكَتِهِ فِيهَا.

الرَّابِعَةُ: حُصُولُ عَشْرِ صَلَوَاتٍ مِنَ اللهِ عَلَى الْمُصَلِّي مَرَّةً.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ يُرْفَعُ عَشْرَ دَرجَاتٍ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُرْجَى إِجَابَةُ دُعَائِهِ إِذَا قَدَّمَهَا أَمَامَهُ، فَهِيَ تُصَاعِدُ الدُّعَاءَ إِلَى عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِشَفَاعَتِهِ ﷺ إِذَا قَرنَهَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ لَهُ أَوْ أفْرَدَهَا.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ.

الْحَادِيَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِكِفَايَةِ اللهِ العَبْدَ مَا أَهَمَّهُ.

الثَّانِيَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِقُرْبِ العَبْدِ مِنْهُ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الثَّالِثَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا تَقُومُ مقَامَ الصَّدَقَةِ لِذِي الْعُسْرَةِ.

الرَّابِعَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لقَضَاءِ الْحَوَائِجِ.

الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لصَلَاةِ اللهِ عَلَى الْمُصَلِّي وَصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ

عَلَيْهِ.

السَّادِسَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا زَكَاةٌ لِلْمُصَلِّي وَطَهَارَةٌ لَهُ.

السَّابِعَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَبْشِيرِ العَبْدِ بِالْجَنَّةِ قَبْلَ مَوْتِهِ.

الثَّامِنَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

التَّاسِعَةَ عَشَرَةَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِرَدِّ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الْمُصَلِّي وَالْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ.

الْعِشْرُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَذَكُّرِ العَبْدِ مَا نَسِيَهُ.

الْحَادِيَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِطِيبِ الْمَجْلِسِ وَأَنْ لَا يَعُودَ حَسْرَةً عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الثَّانِيَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَفْيِ الْفَقْرِ.

الثَّالِثَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا تَنْفِي عَنِ العَبْدِ اسْمَ الْبُخْلِ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ.

الرَّابِعَة وَالْعِشْرُونَ: نَجَاتُهُ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بِرُغْمِ الْأَنْفِ إِذَا تَرَكَهَا عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ.

الْخَامِسَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا تَرمِي صَاحِبَهَا عَلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَتُخْطِئُ بِتَارِكِهَا عَنْ طَرِيقِهَا.

السَّادِسَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا تُنْجِي مِنْ نَتَنِ الْمَجْلِسِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحْمَدُ وَيُثْنَى عَلَيْهِ فِيهِ، وَيُصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

السَّابِعَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَمَامِ الْكَلَامِ الَّذِي ابْتُدِئَ بِحَمْدِ اللهِ

وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

الثَّامِنَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِوُفُورِ نُورِ الْعَبْدِ عَلَى الصِّرَاطِ.

التَّاسِعَة وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ يَخْرُجُ بِهَا العَبْدُ عَنِ الْجَفَاءِ.

الثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِإِلْقَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ للْمُصَلِّي عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْمُصَلِّي طَالِبٌ مِنَ اللهِ أَنْ يُثْنِيَ عَلَى رَسُولِهِ [ﷺ] وَيُكْرِمَهُ وَيُشَرِّفَهُ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَلَابُدَّ أَنْ يَحْصُلَ للْمُصَلِّي نَوْعٌ مِنْ ذَلِكَ.

الْحَادِيَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِلْبَرَكَةِ فِي ذَاتِ الْمُصَلِّي وَعَمَلِهِ وَعُمُرِهِ، وَأَسْبَابِ مَصَالِحِهِ؛ لِأَنَّ الْمُصَلِّي دَاعٍ رَبَّهُ أَنْ يُبَارك عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَهَذَا الدُّعَاءُ مُسْتَجَابٌ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِهِ.

الثَّانِيَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللهِ لَهُ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَة إِمَّا بِمَعْنَى الصَّلَاةِ كَمَا قَالَهُ طَائِفَةٌ، وَإِمَّا مِنْ لَوَازِمِهَا وَمُوجِبَاتِهَا عَلَى القَوْلِ الصَّحِيحِ، فَلَابُدَّ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَةٍ تَنَالُهُ.

الثَّالِثَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَوَامِ مَحَبَّتِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَزِيَادَتِهَا وَتَضَاعِفِهَا، وَذَلِكَ عَقْدٌ مِنْ عُقُودِ الْإِيمَانِ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ؛ لِأَنَّ العَبْدَ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ وَاسْتِحْضَارِهِ فِي قَلْبِهِ، وَاسْتِحْضَارِ مَحَاسِنِهِ وَمَعَانِيهِ الْجَالِبَةِ لِحُبِّهِ، تَضَاعَفَ حُبُّهُ لَهُ، وَتَزَايَدَ شَوْقُهُ إِلَيْهِ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ قَلْبِهِ، وَإِذَا أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ وَإِخْطَارِهِ وَإِخْطَارِ مَحَاسِنِهِ بِقَلْبِهِ، نَقَصَ حُبُّهُ مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا شَيْءَ أَقَرُّ لِعَيْنِ الْمُحِبِّ مِنْ رُؤْيَة مَحْبُوبِهِ، وَلَا أَقَرُّ لِقَلْبِهِ مِنْ ذِكْرِهِ وَإِخْطَارِهِ وَإِخْطَارِ مَحَاسِنِهِ. إِذَا قَوِيَ هَذَا فِي قَلْبِهِ، جَرَى لِسَانُهُ

بِمَدْحِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِ، وَتَكُونُ زِيَادَةُ ذَلِكَ وَنُقْصَانُهُ بِحَسَبِ زِيَادَةِ الْحُبِّ وَنُقْصَانِهِ فِي قَلْبِهِ، وَالْحِسُّ شَاهِدٌ بِذَلِكَ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ سَبَبٌ لَمَحَبَّتِهِ للْعَبْدِ فَإِنَّهَا إِذا كَانَت سَبَبًا لِزِيَادَةِ مَحَبَّةِ الْمُصَلِّي عَلَيْهِ لَهُ، فَكَذَلِكَ هِيَ سَبَبٌ لَمَحَبَّتِهِ هُوَ للْمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ.

الْخَامِسَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنّهَا سَبَبٌ لِهَدَايَةِ العَبْدِ وَحَيَاةِ قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ وَذِكْرَهُ، اسْتَوْلَتْ مَحَبَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مُعَارَضَةٌ لشَيْءٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَلَا شَكَّ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، بَلْ يَصِيرُ مَا جَاءَ بِهِ مَكْتُوبًا مَسْطُورًا فِي قَلْبِهِ، لَا يَزَالُ يَقْرَؤُهُ عَلَى تَعَاقُبِ أَحْوَالِهِ، وَيَقْتَبِسُ الْهُدَى وَالْفَلَاحَ وَأَنْواعَ الْعُلُومِ مِنْهُ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ فِي ذَلِك بَصِيرَةً وَقُوَّةً وَمَعْرِفَةً ازْدَادَتْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ ﷺ.

السَّادِسَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِعَرْضِ اسْمِ الْمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ وَذِكْرِهِ عِنْدَهُ. وَكَفَى بِالْعَبدِ نبْلًا أَنْ يُذْكَرَ اسْمُهُ بِالْخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

السَّابِعَة وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَثْبِيتِ الْقَدَمِ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْجَوَازِ عَلَيْهِ.

الثَّامِنَة وَالثَّلَاثُونَ: أَن الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ أَدَاءٌ لِأَقَلِّ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ [ﷺ]، وَشُكْرٌ لَهُ عَلَى نعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا، مَعَ أَنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ذَلِك لَا يُحْصَى عِلْمًا، وَلَا قُدْرَةً، وَلَا إِرَادَةً، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لِكَرَمِهِ رَضِيَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ شُكْرِهِ وَأَدَاءِ حَقِّهِ.

التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ، وَمَعْرِفَةِ إِنْعَامِهِ عَلَى عَبِيدِهِ بِإِرسَالِهِ، فَالْمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ قد تَضَمَّنت صَلَاتُهُ عَلَيْهِ

ذِكْرَ اللهِ وَذِكْرَ رَسُولِهِ [ﷺ]، وَسُؤَالَهُ أَنْ يجْزِيَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ، كَمَا عَرَّفَنَا رَبَّنَا وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَهَدَانَا إِلَى طَرِيقِ مَرْضَاتِهِ، وَعَرَّفَنَا مَا لَنَا بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِكُلِّ الْإِيمَانِ، بَلْ هِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْإِقْرَارِ بِوُجُودِ الرَّبِّ الْمَدْعُوِّ، وَعِلْمِهِ وسَمْعِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ، وَإِرْسَالِ رَسُولِه، وَتَصْدِيقِهِ فِي أَخْبَارِهِ كُلِّهَا، وَكَمَالِ محَبَّتِهِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِه هِيَ أَصُولُ الْإِيمَانِ، فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ مُتَضَمِّنَةٌ لِعِلْمِ الْعَبْدِ ذَلِكَ، وَتَصْدِيقِهِ بِهِ، وَمحَبَّتِهِ لَهُ فَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

الأَرْبَعُونَ: أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ العَبْدِ هِيَ دُعَاءٌ، وَدُعَاءُ العَبْدِ وَسُؤَالُهُ مِنْ رَبِّهِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: سُؤَالُهُ حَوَائِجَهُ وَمُهِمَّاتِهِ، وَمَا يَنُوبُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَهَذَا دُعَاءٌ وَسُؤَالٌ، وَإِيثَارٌ لِمَحْبُوبِ الْعَبْدِ وَمَطْلُوبهِ.

وَالثَّانِي: سُؤَالُهُ أَنْ يُثْنِيَ عَلَى خَلِيلِهِ وَحَبِيبِهِ، وَيَزِيدَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَكْرِيمِهِ، وَإِيثَارِهِ ذِكْرَهُ وَرَفْعَهُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ ذَلِكَ، وَرَسُولَهُ يُحِبُّهُ، فالمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ قَدْ صَرَف سُؤَالَهُ وَرَغْبَتَهُ وَطَلَبَهُ إِلَى محَابِّ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ [ﷺ]، وَآثَرَ ذَلِك عَلَى طَلَبِهِ حَوَائِجَهُ وَمحَابَّهِ هُوَ، بَلْ كَانَ هَذَا الْمَطْلُوبُ مِنْ أَحَبِّ الْأُمُورِ إِلَيْهِ وَآثَرِهَا عِنْدَهُ، فَقَدْ آثَرَ مَا يُحِبهُ اللهُ وَرَسُولُهُ [ﷺ] عَلَى مَا يُحِبهُ هُوَ، فَقَدْ آثَرَ اللهَ وَمحَابَّهُ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ آثَرَ اللهَ عَلَى غَيْرِهِ آثَرَهُ اللهُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوَائِدِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ إِلَّا هَذَا الْمَطْلُوبُ وَحْدَهُ لَكَفَى الْمُؤْمِنَ بِهِ شَرَفًا.

وَهَا هُنَا نُكْتَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ دِينَهُ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَحَضَّهُمْ عَلَيْهِ، وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الزَّائِدِ عَلَى أَجْرِ عَمَلِهِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، فَالدَّاعِي إِلَى سُنَّتِهِ وَدِينِهِ، وَالْمُعَلِّمُ الْخَيْرَ لِلْأُمَّةِ إِذَا قَصَدَ توفِيرَ هَذَا الْحَظِّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَرْفَهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ مَقْصُودُهُ بِدُعَاءِ الْخَلْق إِلَى اللهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِإِرْشَادِ عِبَادِهِ، وَتَوْفِيرَ أُجُورِ الْمُطِيعِينَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ تَوْفِيَتِهِمْ أُجُورَهُمْ كَامِلَةً، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ فِي دَعْوَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ بِحَسَبِ هَذِهِ النِّيَّةِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: قِيَامُ اللَّيْلَ، دَأْبُ الصَّالِحِينَ:

« لَمَّا رَأَى الْعَابِدُونَ اللَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِ السَّآمَةِ وَالْغَفْلَةِ قَدْ سَكَنُوا إِلَى فِرَاشِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى مَلَاذِهِمْ مِنَ الضِّجْعَةِ وَالنَّوْمِ، قَامُوا إِلَى اللهِ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وُهِبَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ السَّهَرِ، وَطُولِ التَّهَجُّدِ، فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ بِأَبْدَانِهِمْ، وَبَاشَرُوا ظُلْمَتَهُ بِصِفَاحِ وُجُوهِهِمْ، فَانْقَضَى عَنْهُمُ اللَّيْلُ وَمَا انْقَضَتْ لَذَّتُهُمْ مِنَ التِّلَاوَةِ، وَلَا مَلَّتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ طُولِ الْعِبَادَةِ، فَأَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ وَقَدْ وَلَّى عَنْهُمُ اللَّيْلُ بِرِبْحٍ وَغَبْنٍ، أَصْبَحَ هَؤُلَاءِ قَدْ مَلُّوا النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ، وَأَصْبَحَ هَؤُلَاءِ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى مَجِيءِ اللَّيْلِ لِلْعِبَادَةِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَاعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ مَنْ غُبِنَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهُمَا، إِنَّمَا جُعِلَا سَبِيلًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَوَبَالًا عَلَى الْآخَرِينَ لِلْغَفْلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَأَحْيُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ، فَإِنَّمَا تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ اللهِ، كَمْ مِنْ قَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدِ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ حُفْرَتِهِ، وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمَتِهِ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لِلْعَابِدِينَ غَدًا، فَاغْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، رَحِمَكُمُ اللهُ»(١).

« وَلِهَذَا ذَكَّرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَعَدَّهَا عَلَيْهِمْ مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِهِ، فَقَالَ: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم

(١) انظر: التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا رقم (٢٧٨)، وحلية الأولياء (٥/ ١١٤).

مُّعۡرِضُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٢]. فَإِذَا تَصَوَّرَ الْعَبْدُ ذَلِكَ فَقَالَ: «الْحَمْدُ للهِ» كَانَ حَمْدُهُ أَكْمَلَ وَأَبْلَغَ مِنْ حَمْدِ الْغَافِلِ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَكَّرَ فِي أَنَّ الَّذِي أَعَادَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْإِمَاتَةِ حَيًّا سَلِيمًا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُ بَعْدَ مَوْتَتِهِ الْكُبْرَى حَيًّا كَمَا كَانَ، وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْدَهَا: «وَإِلَيْهِ النَّشُورُ» .... ثُمَّ يَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الْوُضُوءِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ مُسْتَصْحِبٍ لَمَا فِيهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ صَلَاةَ مُحِبٍّ نَاصِحٍ لِمَحْبُوبِهِ، مُتَذَلِّلٍ مُنْكَسِرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا صَلَاةَ مُدِلٍّ بِهَا عَلَيْهِ، يَرَى مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ مَحْبُوبِهِ عَلَيْهِ أَنْ أَقَامَهُ وَأَنَامَ غَيْرَهُ، وَاسْتَزَارَهُ وَطَرَدَ غَيْرَهُ، وَأَهَّلَهُ وَحَرَمَ غَيْرَهُ، فَهُوَ يَزْدَادُ بِذَلِكَ مَحَبَّةً إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَيَرَى أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَحَيَاةَ قَلْبِهِ وَجَنَّةَ رُوحِهِ وَنَعِيمَهُ وَلَذَّتَهُ وَسُرُورَهُ فِي تِلْكَ الصَّلَاة، فَهُوَ يَتَمَنَّى طُولَ لَيْلِهِ، وَيَهْتَمُّ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ كَمَا يَتَمَنَّى الْمُحِبُّ الْفَائِزُ بوَصْلِ مَحْبُوبِهِ ذَلِكَ، كَمَا قِيلَ:

يَوَدُّ أَنَّ ظَلَامِ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزِيدَ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

فَهُوَ يَتَمَلَّقُ فِيهَا مَوْلَاهُ تَمَلُّقَ الْمُحِبِّ لِمَحْبُوبِهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، وَيُنَاجِيهِ بِكَلَامِهِ مُعْطِيًا لِكِلِّ آيَةٍ حَظَّهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، فَتَجْذِبُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ إِلَيْهِ آيَاتُ الْمَحَبَّةِ وَالْوِدَادَ، وَالْآيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تَعَرَّفَ بِهَا إِلَى عِبَادِهِ بِآلَائِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتُطَيِّبُ لَهُ السَّيْرَ آيَاتُ الرَّجَاءِ وَالرَّحْمَةِ وَسِعَةِ الْبِرِّ وَالْمَغْفِرَةِ فَتَكُونُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الحَادِي الَّذِي يُطَيِّبُ لَهُ السَّيْرَ وَيُهَوِّنُهُ، وَتُقْلِقُهُ آيَاتُ الْخَوْفِ وَالْعَدْلِ وَالِانْتِقَامِ وَإِحْلَالِ غَضَبِهِ بِالْمُعْرِضِينَ عَنْهُ الْعَادِلِينَ بِهِ غَيْرَهُ، الْمَائِلِينَ إِلَى سِوَاهُ، فَيَجْمَعُهُ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُهُ أَنْ يَشْرُدَ قَلْبُهُ عَنْهُ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ، وَتَفَقَّهْ فِيهَا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَيُشَاهِدُ الْمُتَكَلِّمَ سُبْحَانَهُ وَقَدْ تَجَلَّى فِي كَلَامِهِ، وَيُعْطِي كُلَّ آيَةٍ حَظَّهَا مِنْ عُبُودِيَّةِ قَلْبِهِ الْخَاصَّةِ الزَّائِدَةِ عَلَى مُجَرَّدِ تِلَاوَتِهَا، وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ، بَلِ الزَّائِدَةُ عَلَى نَفْسِ فَهْمِهَا وَمَعْرِفَةِ الْمُرَادِ مِنْهَا. ثُمَّ شَأْنٌ آخَرُ لَوْ فَطِنَ لَهُ الْعَبْدُ لَعَلِمَ أَنَّهُ كَانَ قَبْلُ يَلْعَبُ، كَمَا قِيلَ:

وَكُنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بِهَا الْهَوَى ... إِلَى غَايَةٍ مَا بَعْدَهَا لِي مَذْهَبُ

فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَعَايَنْتُ حُسْنَهَا ... تَيَقَّنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ

فَوَا أَسَفَاهُ، وَوَاحَسْرَتَاهُ!! كَيْفَ يَنْقَضِي الزَّمَانُ، وَيَنْفَدُ الْعُمْرُ، وَالْقَلْبُ مَحْجُوبٌ مَا شَمَّ لِهَذَا رَائِحَةً، وَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا دَخَلَ إِلَيْهَا وَمَا ذَاقَ أَطْيَبَ مَا فِيهَا، بَلْ عَاشَ فِيهَا عَيْشَ الْبَهَائِمِ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا انْتِقَالَ الْمُفَالِيسِ، فَكَانَتْ حَيَاتُهُ عجزًا، وَمَوْتُهُ كَمَدًا، وَمَعَادُهُ حَسْرَةً وَأَسَفًا، اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وأنت الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(١).

فَأَهْلُ اللَّيْلِ أَسْعَدُ بِرَبِهِمْ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَشْيَتِهِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالبُكَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَدَبُّرِ كَلَامِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى جَنَّتِهِ، وَالْهَرَبِ مِنْ نَارِهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ مَعْصِيتِهِ، وَحُسْنِ سُؤَالِهِ، وَالرَّغْبَةِ فِي نَوَالِ مَا عِنْدَهُ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَالِالْتِذَاذِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٤٥٧-٤٦٠ ط. المجمع).

وَالصَّبْرِ عَلَى الْوُضُوءِ بِالْمَاءِ البَارِدِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ، أَعْظَمُ لَذَّةً وَسَعَادَةً مِنْ أَهْلِ السُّكْرِ بِسُكْرِهِمْ، وَأَصْحَابِ النِّسَاءِ بِنِسَائِهِمْ، وَأَهْلِ الْمَالِ بِمَالِهِمْ، وَأَهْلِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ بِسُلْطَانِهِمْ، وَكَيْفَ لَا؟! وَهُمْ فِي قُرْبٍ وَأُنْسٍ بِالرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَاصِفًا الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الذاريات: ١٧ – ١٨].

بَلْ فَرَضَ اللهُ قِيَامَ اللَّيْلِ سَنَةً كَامِلَةً فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا التَّخْفِيفَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»(١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقَوْا الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللهُ لَهُ. وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ**»(٢).

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٧٤٦)، وسنن أبي داود (١٣٤٢)، وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) **(صحيح)** أخرجه أحمد (٢١٣٤٠، ٢١٣٥٥، ٢١٣٥٦، ٢١٣٥٧، ٢١٥٣٠)، والنسائي (١٦١٥، ٢٥٧٠)، والترمذي (٢٥٦٨)، وابن خزيمة (٢٤٥٦)، وابن =

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»(١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: « **رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقَدٌ فَيَتَوَضَّأُ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ، لِيَسْأَلَنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ**»(٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم رَجُلٌ؛ فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»(٣).

وَقَدْ بَوَّبَ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «سُنَنِهِ»

=

حبان (٣٣٥٠، ٤٧٧١)، والحاكم (١٥٤٠)، وصححه الترمذي والحاكم.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢، ٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦) وغيرهما.

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٧٤٥٨، ١٧٧٩١)، وابن حبان (١٠٥٢، ٢٥٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ رقم ٨٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٤،٣٢٧٠) ومسلم (٧٧٤) وغيرهما.

(٣ /٢٠٤): «بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ».

وبوَّب له الْإِمَامُ ابنُ حبان رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» (٣٠٢/٦ إحسان): «ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ، وَتَرْكِ الِاتِّكَالِ عَلَى النَّوْمِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: « **أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٧٩٣٢، ٨٢٩٥، ٨٢٩٦، ١٠٣٩٩)، وابن حبان (٥٠٨، ٢٥٥٩)، والحاكم (٧٣٦٩، ٧٤٨٤) وغيرهم. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٧)، وأحمد (١٤٣٥٥، ١٤٥٤٤، ١٤٧٤٦) وغيرهما.

(٣) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٧٤١٠، ٩٦٢٧)، وأبو داود (١٣٠٨، ١٤٥٠)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦). وغيرهم.

«مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا؛ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»(٤).

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ، حَتَّى إِذَا بَدَا ... لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى إِذَا تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ؛ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَفْعَلُ هَذَا، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أبوداود (١٣٠٩، ١٤٥١)، والنسائي في «الكبرى» (١٣١٠)، وغيرهما.

(٢) (**حسن**) أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢) وغيرهم.

(٣) (**حسن**) أخرجه أحمد (٨٧٥٨)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، وابن حبان (٢٥٧٣) وغيرهم.

(٤) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩ / ١٨٥) وغيرهما.

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟! قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ [﵂]: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**». قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ [﵁] يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ؛ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠،٤٨٣٦،٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) وغيرهما.

(٣) (**صحيح**) أخرجه ابن حبان (٦٢٠)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٥٤٤، ٥٦٨).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ [رضي الله عنها] عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا(١).

رَضِيَ اللهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ العِشَاءُ فِي جَمَاعَةٍ، أَحْيَى بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِ (٢).

كَانَ لَهُ رضي الله عنه مِهْرَاسٌ [وَهوَ: صَخْرَةٌ مَنْقُورَةٌ تَسَعَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ] فِيْهِ مَاءٌ، فَيُصَلِّي فِيْهِ مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ يَصِيْرُ إِلَى الفِرَاشِ، فَيُغْفِي إِغْفَاءَةَ الطَّائِرِ، ثُمَّ يَقُومُ، فَيَتَوضَّأُ وَيُصَلِّي، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَوْ خَمْسَةً(٣).

عَنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ رحمه الله قَالَ: لَمَّا احتُضِرَ ابْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما] قَالَ: مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ: ظَمَأِ الهَوَاجِرِ، وَمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ، وَأَنِّي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢١، ١١٢٢ وأطرافه)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٣٠٣)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥).

لَمْ أُقَاتِلِ الفِئَةَ البَاغِيَةَ الَّتِي نَزَلَتْ بِنَا -يَعْنِي: الحَجَّاجَ[(١)].

وَمِمَّنِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ أَبُو رِفَاعَةَ العَدَوِيُّ تَمِيْمُ بنُ أُسَيْدٍ رضي الله عنه

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: كَانَ أَبُو رِفَاعَةَ [رضي الله عنه] ذَا تَعَبُّدٍ وَتَهَجُّدٍ[(٢)].

وَكَانَ أَبُو رِفَاعَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: مَا عَزَبَتْ (غابَتْ) عَنِّي سُوْرَةُ البَقَرَةِ مُنْذُ عَلَّمَنِيْهَا رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَخَذْتُ مَعَهَا مَا أَخَذْتُ مِنَ القُرْآنِ، وَمَا وَجِعَ ظَهْرِي مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ قَطُّ[(٣)].

وَمِنْهُمْ عَامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ التَّمِيْمِيُّ، الوَلِيُّ، الزَّاهِدُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ رحمه الله: لَمَّا احْتُضِرَ عَامِرٌ [رحمه الله]، بَكَى. فَقِيْلَ: مَا يُبْكِيْكَ؟ قَالَ: مَا أَبْكِي جَزَعًا مِنَ المَوْتِ، وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى ظَمَأِ الهَوَاجِرِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ[(٤)].

وَمِنْهُمْ مَسْرُوْقُ بنُ الْأَجْدَعِ، أَبُو عَائِشَةَ الهَمْدَانِيُّ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

رَوَى شُعْبَةُ رحمه الله، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ رحمه الله قَالَ: حَجَّ مَسْرُوْقٌ [رحمه الله]،

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ١٣٢)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٢٣٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ١٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٨-١٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ١٩).

فَلَمْ يَنَمْ إِلَّا سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى رَجَعَ(١).

وَرَوَى أَنَسُ بنُ سِيْرِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ امْرَأَةِ مَسْرُوْقٍ، قَالَتْ: كَانَ مَسْرُوْقٌ [رَحِمَهُ اللهُ] يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَرُبَّمَا جَلَسْتُ أَبْكِي مِمَّا أَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ(٢).

قَالَ سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ لِي مَسْرُوْقٌ [رَحِمَهُ اللهُ]: مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُرْغَبُ فِيْهِ، إِلَّا أَنْ نُعَفِّرَ وُجُوْهَنَا فِي التُّرَابِ، وَمَا آسَى عَلَى شَيْءٍ إِلَّا السُّجُود للهِ تَعَالَى(٣).

وَمِنْهُمْ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ:

عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَوْذَبٍ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: كَانَ عُرْوَةُ [رَحِمَهُ اللهُ] يَقْرَأُ رُبُعَ القُرْآنِ كُلَّ يَوْمٍ فِي المُصْحَفِ نَظَرًا، وَيَقُوْمُ بِهِ اللَّيْلَ، فَمَا تَرَكَهُ إِلَّا لَيْلَةَ قُطِعَتْ رِجْلُهُ، وَكَانَ وَقَعَ فِيْهَا الآكِلَةُ، فَنُشِرَتْ(٤).

وَعَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ -رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى- أَنَّ أَبَاهُ وَقَعَتْ فِي رِجْلِهِ الآكِلَةُ، فَقِيْلَ: أَلَا نَدْعُوْا لَكَ طَبِيْبًا؟ قَالَ: إِنَّ شِئْتُم. فَقَالُوا: نَسْقِيْكَ شَرَابًا يَزُوْلُ فِيْهِ عَقْلُكَ. فَقَالَ: امْضِ لِشَأْنِكَ، مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ خَلْقًا يَشْرَبُ مَا يُزِيْلُ عَقْلَهُ حَتَّى لَا يَعْرِفَ رَبَّهُ!! فَوُضِعَ المِنْشَارُ عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسْرَى، فَمَا

---

(١) تاريخ بغداد (٣ / ٢٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٦٥).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨- ١٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٦).

سَمِعْنَا لَهُ حِسًّا. فَلَمَّا قَطَعَهَا، جَعَلَ يَقُوْلُ: لَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ، وَلَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ ، وَمَا تَرَكَ جُزْأَهُ بِالقُرْآنِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ(١).

وَمِنْهُمْ صَفْوَانُ بنُ سُلَيْمٍ القُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ الإِمَامُ، الثِّقَةُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كَانَ ﵀ يُصَلِّي عَلَى السَّطْحِ فِي اللَّيْلَةِ البَارِدَةِ لِئَلَّا يَجِيْئَهُ النَّوْمُ(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كَانَ صَفْوَانُ بنُ سُلَيْمٍ [﵀] يُصَلِّي فِي الشِّتَاءِ فِي السَّطْحِ، وَفِي الصَّيْفِ فِي بَطْنِ البَيْتِ، يَتَيَقَّظُ بِالحَرِّ وَالبَرْدِ، حَتَّى يُصْبِحَ، ثُمَّ يَقُوْلَ: هَذَا الجَهْدُ مِنْ صَفْوَانَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، وَإِنَّهُ لَتَرِمُ رِجْلَاهُ حَتَّى يَعُودَ كَالسِّقْطِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَيَظْهَرُ فِيْهِ عُرُوْقٌ خُضْرٌ(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بنِ عِيَاضٍ ﵀، قَالَ: رَأَيْتُ صَفْوَانَ بنَ سُلَيْمٍ [﵀]، وَلَوْ قِيْلَ لَهُ: غَدًا القِيَامَةُ، مَا كَانَ عِنْدَه مَزِيْدٌ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ العِبَادَةِ(٤).

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ﵀ قَالَ: حَلَفَ صَفْوَانُ [﵀] أَلَّا يَضَعَ جَنْبَهُ بِالْأَرْضِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِيْنَ عَامًا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَاشتَدَّ بِهِ النَزْعُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَتِ ابْنَتُه: يَا أَبَتِ لَوْ

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٩)، وتاريخ ابن عساكر (٤٢/ ٢١٠)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٠).

(٢) تهذيب الكمال (١٣ / ١٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٥).

(٣) حلية الأولياء (٣ / ١٥٩)، وتهذيب الكمال (١٣ / ١٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٥)

(٤) حلية الأولياء (٣ / ١٥٩)، وتهذيب الكمال (١٣ / ١٨٧)، وسير النبلاء (٥/ ٣٦٦)

وَضَعتَ جَنبَكَ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، إِذًا مَا وَفَّيْتُ للهِ بِالنَّذْرِ وَالحَلِفِ. فَمَاتَ، وَإِنَّهُ لَجَالِسٌ.

قَالَ سُفْيَانُ [رَحِمَهُ اللهُ]: فَأَخْبَرَنِي الحَفَّارُ الَّذِي يَحفرُ قُبُوْرَ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، قَالَ: حَفَرتُ قَبْرَ رَجُلٍ، فَإِذَا أَنَا قَدْ وَقَعْتُ عَلَى قَبْرٍ، فَوَافَيْتُ جُمْجُمَةً، فَإِذَا السُّجُودُ قَدْ أَثَّرَ فِي عِظَامِ الجُمجُمَةِ، فَقُلْتُ لإِنْسَانٍ: قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَوَ مَا تَدْرِي؟ هَذَا قَبْرُ صَفْوَانَ بنِ سُلَيْمٍ(١).

وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ السَّبِيْعِيُّ، شَيْخُ الكُوْفَةِ، وَعَالِمُهَا، وَمُحَدِّثُهَا – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

قَالَ ابْنُهُ يُونُس رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ أَبِي يَقْرَأُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَلْفَ آيَةٍ(٢).

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ سَلَّامُ بنُ سُلَيْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ لَنَا أَبُو إِسْحَاقَ [رَحِمَهُ اللهُ]: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اغْتَنِمُوا -يَعْنِي: قُوَّتَكُم وَشَبَابَكُم- قَلَّمَا مَرَّتْ بِي لَيْلَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَقرَأُ فِيهَا أَلفَ آيَةٍ، وَإِنِّي لَأَقْرَأُ البَقَرَةَ فِي رَكْعَةٍ، وَإِنِّي لَأَصُوْمُ الاَشْهُرَ الحُرمَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالِاثْنَيْنِ، وَالْخَمِيس(٣).

وَمِنْهُمْ مَنْصُوْرُ بنُ المُعْتَمِرِ السُّلَمِيُّ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ سَلَّامُ بنُ سُلَيْمٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: قَالَتْ بِنْتٌ لِجَارِ مَنْصُوْرِ بنِ

---

(١) حلية الأولياء (٣ / ١٥٩)، تهذيب الكمال (١٣ / ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٧)، وتاريخ الإسلام (٣ / ٤٧٥).

المُعْتَمِرِ: يَا أَبَتِ، أَيْنَ الخَشَبَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي سَطحِ مَنْصُوْرٍ قَائِمَةً؟ قَالَ: يَا بُنَيَّةُ، ذَاكَ مَنْصُوْرٌ، كَانَ يَقُوْمُ اللَّيْلَ(١).

وقَالَ أبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللهُ: رَحِمَ اللهُ مَنْصُوْرًا، كَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا(٢).

وَقَالَ زَائِدَةُ بنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ مَنْصُوْرًا [رَحِمَهُ اللهُ] صَامَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَقَامَ لَيْلَهَا، وَكَانَ يَبْكِي، فَتَقُوْلُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ، قَتلتَ قَتِيْلًا؟! فَيَقُوْلُ: أَنَا أَعْلَمُ بِمَا صَنَعتُ بِنَفْسِي. فَإِذَا كَانَ الصُّبْحُ، كَحَّلَ عَيْنَيْهِ، وَدَهَنَ رَأْسَه، وَبرَّقَ شَفَتَيْهِ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ(٣).

وَمِنْهُمْ الْأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرٍو، شَيْخُ الإِسْلَامِ، وَعَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَطَال قِيَامَ اللَّيْلِ، هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ وُقُوفَ يَوْمِ القِيَامَةِ(٤).

قَالَ أَبُو مُسْهِرٍ عَبْدُ الْأَعْلَى بنُ مُسْهِرٍ الغَسَّانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ [الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ] يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً وَقُرْآنًا وَبُكَاءً. وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَهْلِ بَيْرُوْتَ(٥) أَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تَدْخُلُ مَنْزِلَ الْأَوْزَاعِيِّ، وَتَتَفَقَّدُ مَوْضِعَ مُصَلَّاه،

(١) حلية الأولياء (٥/ ٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٣).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٤١)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٤).

(٣) حلية الأولياء (٥ / ٤١) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٩)، وتاريخ الإسلام (٣ / ١٢٤).

(٥) هو إسحاق بن حماد النمري كما في «تقدمة الجرح والتعديل» ص (٢١٨).

فَتَجِدُهُ رَطْبًا مِنْ دُمُوْعِهِ فِي اللَّيْلِ (١).

وقَالَ الوَلِيْدُ بنُ مُسْلِمٍ الدِّمَشْقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَا رَأَيتُ أَكْثَرَ اجْتِهَادًا فِي العِبَادَةِ مِنَ الْأَوْزَاعِيِّ(٢).

وَمِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ أَبُو الْمُنْذِرِ الوَاسِطِيُّ، – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ رَبَّمَا يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ(٣).

وَمِنْهُمْ الْبُخَارِيُّ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ، جَبَلُ الْحِفْظِ، وَإِمَامُ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

قَالَ بَكْرُ بْنُ مُنِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:كَانَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ يُصَلِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَلَسَعَهُ الزُّنْبُورُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً. فَلَمَّا قضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: انْظُرُوا أَيش آذَانِي!!(٤).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ [الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ] يُصَلِّي فِي وَقْتِ السَّحَرِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَكَانَ لَا يُوقظنِي فِي كُلِّ مَا يقوم. فَقُلْتُ: أَرَاكَ تحمِلُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَمْ توقظْنِي. قَالَ: أَنْتَ شَابٌّ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أُفْسِدَ عَلَيْكَ نومَكَ(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٩–١٢٠)، وتاريخ الإسلام (٣ / ١٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٩).

(٣) تهذيب الكمال (٣ / ١٥٦)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٣٣ بشار).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٢)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٧٦)، وسير النبلاء (١٢/ ٤٤١).

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٣–١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤١).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ الشّجَاعَةُ «فَإِنّ الشّجَاعَ مُنْشَرِحُ الصّدْرِ، وَاسِعُ الْبِطَانِ، مُتّسِعُ الْقَلْبِ، وَالْجَبَانُ أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَحْصَرُهُمْ قَلْبًا، لَا فَرْحَةَ لَهُ وَلَا سُرُورَ، وَلَا لَذّةَ لَهُ وَلَا نَعِيمَ، إلّا مِنْ جِنْسِ مَا لِلْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيّ، وَأَمّا سُرُورُ الرُّوحِ، وَلَذّتُهَا، وَنَعِيمُهَا، وَابْتِهَاجُهَا، فَمُحَرَّمٌ عَلَى كُلّ جَبَانٍ، كَمَا هُوَ مُحَرّمٌ عَلَى كُلّ بَخِيلٍ، وَعَلَى كُلّ مُعْرِضٍ عَنْ اللهِ سُبْحَانَهُ غَافِلٍ عَنْ ذِكْرِهِ، جَاهِلٍ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَدِينِهِ، مُتَعَلّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ.

وَإِنّ هَذَا النّعِيمَ وَالسّرُورَ، يَصِيرُ فِي الْقَبْرِ رِيَاضًا وَجَنّةً، وَذَلِكَ الضّيقُ وَالْحَصَرُ، يَنْقَلِبُ فِي الْقَبْرِ عَذَابًا وَسِجْنًا. فَحَالُ الْعَبْدِ فِي الْقَبْرِ، كَحَالِ الْقَلْبِ فِي الصّدْرِ، نَعِيمًا وَعَذَابًا، وَسِجْنًا وَإِطْلَاقًا، وَلَا عِبْرَةَ بِانْشِرَاحِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ، وَلَا بِضِيقِ صَدْرِ هَذَا لِعَارِضٍ، فَإِنّ الْعَوَارِضَ تَزُولُ بِزَوَالِ أَسْبَابِهَا، وَإِنّمَا الْمُعَوّلُ عَلَى الصّفَةِ الّتِي قَامَتْ بِالْقَلْبِ تُوجِبُ انْشِرَاحَهُ وَحَبْسَهُ، فَهِيَ الْمِيزَانُ، وَاَللهُ الْمُسْتَعَانُ»(١).

« فَإِنَّ الْقَلْبَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ لَا يَذْكُرُ إِلَّا أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، وَلَا يَهْرَبُ إِلَّا إِلَى مَحْبُوبِهِ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُ. وَلِهَذَا كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِهِمْ مَنْ يُحِبُّونَهُمْ عِنْدَ الْحَرْبِ وَاللِّقَاءِ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ كَمَا قَالَ:

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا ... وَقَدْ نَهِلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

وَقَالَ غَيْرُهُ (عَنْتَرَةُ):

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٦-٢٧ ط. الرسالة)، و(٢/ ٣١ ط. المجمع).

وَالسِّرُّ فِي هَذَا – وَاللهُ أَعْلَمُ– أَنَّ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ؛ يَشْتَدُّ خَوْفُ الْقَلْبِ مِنْ فَوَاتِ أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، وَهِيَ حَيَاتُهُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُؤْثِرُهَا إِلَّا لِقُرْبِهِ مِنْ مَحْبُوبِهِ، فَهُوَ إِنَّمَا يُحِبُّ حَيَاتَهُ لِتَنَعُّمِهِ بِمَحْبُوبِهِ، فَإِذَا خَافَ فَوْتَهَا بَدَرَ إِلَى قَلْبِهِ ذِكْرُ الْمَحْبُوبِ الَّذِي يَفُوتُ بِفَوَاتِ حَيَاتِهِ. وَلِهَذَا – وَاللهُ أَعْلَمُ– كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِلْعَبْدِ عِنْدَ مَوْتِهِ لَهَجُهُ بِمَا يُحِبُّهُ وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ لَهُ، وَرُبَّمَا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَهُوَ يَلْهَجُ بِهِ»(١).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[سورة التوبة: ١١١].

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[سورة الصف: ١٠ – ١١].

وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٦٦٧–٦٦٨ ط. المجمع).

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ (جَرْحٍ) يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ**»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ**» وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ [﵁] عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**» قَالَ: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ**».

قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦، ٢٧٩٧ مختصرًا)، ومسلم (١٨٧٦) واللفظ له، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨، ٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧) وغيرهما.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁ قَالَ: « **لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ - أَوْ: لَمْ يَكُنْ - أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ**».

وفي رواية « **لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا**»(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ ﵁ قَالَ – وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ –: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى**»(٣).

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٦٥٤، ١٠٤٢، ١٣٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٦٩، ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم(١٩٠٢)، والترمذي(١٦٥٩)، وأحمد(١٩٥٣٨، ١٩٦٨٠) وغيرهم

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧٨)، والنسائي (٣١٢٨)، وأحمد (٩٤٨١، ٩٩٢٠).

=

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»(١).

وَفَضِيلَةُ الشَّيْءِ تُعْرَفُ بِضِدِّهِ:

فَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

وَلِذَلِكَ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ»(٢).

«وَالْجُبْنُ خُلُقٌ مَذْمُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَأَهْلُ الْجُبْنِ هُمْ أَهْلُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ وَأَهْلُ الشَّجَاعَةِ وَالْجُودِ هُمْ أَهْلُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فِي وَصِيَّتِهِ: عَلَيْكُمْ بِأَهْلِ السَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ؛ فَإِنَّهُم أَهْلُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ وَالشَّجَاعَةُ جُنَّةٌ لِلرَّجُلِ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَالْجُبْنُ إِعَانَةٌ مِنْهُ لِعَدُوِّهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جُنْدٌ وَسِلَاحٌ يُعْطِيهِ عَدُوَّهُ لِيُحَارِبَهُ بِهِ.

وقد قَالَت الْعَرَب: الشَّجَاعَةُ وِقَايَةٌ، وَالْجُبْنُ مَقْتَلَةٌ.

وَقَدْ أَكْذَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَطْمَاعَ الْجُبَنَاءِ فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ جَبْنَهُمْ يُنْجِيهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ**

=

وأخرجه البخاري (٢٧٨٧) بنحوه.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١) مختصرًا. وغيرهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٣٦٣)، ومسلم (٢٧٠٦) وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة الْأَحْزَابِ: ١٦].

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي مَعَارِكِ الْحُرُوبِ بِأَنَّ مَنْ يُقْتَلُ مُدْبِرًا أَكْثَرُ مِمَّنْ يُقْتَلُ مُقْبِلًا.

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ [رضي الله عنه]: حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا زحْفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَمَا فِي جَسَدِي مَوضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ أَوْ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، فَلَا نَامَتْ أعْيُنُ الْجُبَنَاءِ(١).

وَلَا رَيْبَ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ اسْتِقْبَالَ الْمَوْتِ إِذا جَاءَكَ خَيْرٌ مِنَ اسْتِدْبَارِهِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الشَّجَاعَةِ إِلَّا أَنَّ الشُّجَاعَ يَرُدُّ صِيتُهُ وَاسْمُهُ عَنهُ أَذَى الْخَلْقِ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ؛ لَكَفَى بِهَا شَرَفًا وَفَضْلًا. وَالْجُبْنُ وَالشَّجَاعَةُ غَرَائِزُ وَأَخْلَاقٌ، **فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ عُرْسِهِ، وَالشُّجَاعُ يُقَاتِلُ عَنْ**

---

(١) إسناده ضعيف جدا بهذا اللفظ؛ فيه الواقدي محمد بن عمر متهم بالكذب، أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٨٣٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٦٩)، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣١٦٣).

والذي صح في ذلك ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد (٥٣)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١٧٦)، والطبراني في الكبير (٣٨١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٦٩)، وابن العديم في بغية الطلب (٧/ ٣١٦٢) مِنْ طَرِيقِ أَبِي وَائِلٍ شقيق بن سلمة رحمه الله قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ [رضي الله عنه] الْوَفَاةُ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

مَنْ لَا يَعْرِفُهُ!! (١)

وَالشُّجَاعُ ضِدُّ الْبَخِيلِ؛ لِأَنَّ الْبَخِيلَ يَضِنُّ بِمَالِهِ، وَالشُّجَاعُ يَجُودُ بِنَفسِهِ.

الْأَخْلَاقُ مَوَاهِبُ يَهَبُ اللهُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَجْبُلُ خَلْقَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ مِنْهَا. وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّهُ لَا تَلَازُمُ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجُودِ، كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ تَتَلَازَمُ وَتَتَصَاحَبُ غَالِبًا، وَكَذَلِكَ الْأَخْلَاقُ الدَّنِيئَةُ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الشَّجَاعَةُ بِالْقُوَّةِ، وَهُمَا مُتَغَايِرَانِ؛ فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ هِيَ ثَبَاتُ الْقَلْبِ عِنْدَ النَّوَازِلِ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفَ الْبَطْشِ» (٢).

ومِمَّنِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ بِالشَّجَاعَةِ صِدِّيقُ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرُ، أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ:

كَانَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه «أَشْجَعَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّهُ كَانَ أَثْبَتَهُمْ قَلْبًا، وَأَقْوَاهُمْ جَنَانًا، وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ ثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَاكَ بَعْضُ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ» وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ صَرَخَ الشَّيْطَانُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم قَدْ قُتِلَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مع أَحَدٍ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ ثَابِتُ الْقَلْبِ، سَاكِنُ الْجَأْشِ، وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَقَدْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ فَرَّ النَّاسُ،

---

(١) إي و اللَّهِ؛ وقد رأينا بأعيننا نماذج لهؤلاء وهؤلاء!!! **فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ!!!**.

(٢) الفروسية المحمدية ص (٤٥٧ -٤٦٦ ط. المجمع) باختصار، وتصرف.

وَلَمْ يَفِرَّ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَجَاعَتِهِ إِلَّا ثَبَاتُ قَلْبِهِ، وَتَثْبِيتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْخَطْبِ الْأَعْظَمِ وَالْأَمْرِ الْأَفْخَمِ بِمَوْتِ نَبِيِّنَا ﷺ، إِذْ زَاغَتْ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَزُلْزِلُوا بِمَوْتِهِ زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَأُقْعِدَ بَعْضُهُمْ، وَشَكَّ آخَرُونَ، لَكَفَانَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى عِظَمِ شَجَاعَتِهِ، وَقُوَّةِ قَلْبِهِ، إِذْ كَانَ قَلْبُهُ فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ الْعُظْمَى الَّتِي اهْتَزَّتْ لَهَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا، لَوْ وُزِنَ بِقُلُوبِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَهَا. وَكَانَ عَزْمُهُ فِي قِتَالِ مَنِ ارْتَدَّ، لَوْ فُرِّقَ عَلَى قُلُوبِ الْجُبَنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَشَجَّعَهُمْ، إِلَى أَنْ قَامَ بِمَهَمَّةِ قَنَاةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا، وَجَرَتِ الْمِلَّةُ الشَّهْبَاءُ عَلَى سَنَنِهَا وَمَنَاهِجِهَا، وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ الْإِيمَانِ «**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**» وَتَوَلَّى حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَهُمْ خَاسِرُونَ، فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ الشَّجَاعَةُ الَّتِي تَضَاءَلَتْ لَهَا فُرْسَانُ الْأُمَمِ، وَالْهِمَّةُ الَّتِي تَنَازَلَتْ لَهَا أَعَالِي الْهِمَمِ، فَرِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَبَدًا مَا شَهَرَ بَارِقٌ(١)، وقُهِرَ مَارِقٌ(٢)، وَعَلَى بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِين»(٣).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْفُرُوسِيَّةِ» ص (٤٦٦-٤٦٩ ط. الْمَجمع): وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْجَعَ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ عُمَرُ[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] وَغَيْرُهُ أَقْوَى مِنْهُ، وَلَكِنْ بَرَّزَ عَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ بِثَبَاتِ قَلْبِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِن الْمَوَاطِنِ الَّتِي تُزَلْزِلُ الْجِبَالُ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ ثَابِتُ الْقَلْبِ،

---

(١) الْبَارِقُ: سَحَابٌ ذُو بَرْق. [لسان العرب مادة: ب ر ق]

(٢) الْمَارِقُ: الْمُرُوق: الْخُرُوجُ مِنْ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلِهِ. وَالْمَارِقَةُ: الَّذِينَ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ لِغُلُوّهم فِيهِ. [لسان العرب مادة: م ر ق]

(٣) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس (٢ / ٩٦٦).

رَبِيطُ الْجَأْشِ، يَلُوذُ بِهِ شُجْعَانُ الصَّحَابَةِ وَأَبْطَالُهُمْ، فَيُثَبِّتُهُمْ وَيُشَجِّعُهُمْ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا ثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ الْغَارِ وَلَيْلَتِهِ. وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لرسول الله ﷺ:«يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَاكَ بَعْضُ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكِ، فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ» وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ صَرَخَ الشَّيْطَانُ فِي النَّاسِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا [ﷺ] قَدْ قُتِلَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا دُونَ عِشْرِينَ فِي أُحُدٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ثَابِتُ الْقَلْبِ، سَاكِنُ الْجَأْشِ. وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَقَدْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ. وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَدْ قَلِقَ فَارِسُ الْإِسْلَامِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رضي الله عنه]، حَتَّى إِنَّ الصِّدِّيقَ [رضي الله عنه] لَيُثَبِّتَهُ وَيُسَكِّنَهُ وَيُطَمْئِنَهُ. وَثَبَاتُ قَلْبِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَيْثُ فَرَّ النَّاسُ، وَهُوَ لَمْ يَفِرَّ. وَثَبَاتُ قَلْبِهِ حِينَ النَّازِلَةِ الَّتِي اهْتَزَّتْ لَهَا الدُّنْيَا أَجْمَعُ، وَكَادَتْ تَزُولُ لَهَا الْجِبَالُ، وَعُقِرَتْ لَهَا أَقْدَامُ الْأَبْطَالِ، وَمَاجَتْ لَهَا قُلُوبُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، كَمَوْجِ الْبَحْرِ عِنْدَ هُبُوبِ قَوَاصِفِ الرِّيَاحِ وَصَاحَ لَهَا الشَّيْطَانُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ الصِّيَاحِ، وَخَرَجَ النَّاسُ بِهَا مِنْ دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَثَارَ عَدُوُّ اللهِ بِهَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ عُجَاجًا، وَانْقَطَعَ لَهَا الْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَادَ لَوْلَا دِفَاعُ اللهِ لَطُمِسَ نُجُومُ الِاهْتِدَاءِ، وَأَنْكَرَتِ الصَّحَابَةُ بِهَا قُلُوبَهُمْ!! وَكَيْفَ لَا؟! وَقَدْ فَقَدُوا رَسُولَهُمْ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَحَبِيبَهُمْ، وَطَاشَتِ الْأَحْلَامُ، وَغَشِيَ الْآفَاقَ مَا غَشِيَهَا مِنَ الظَّلَامِ، وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ وَمَدَّ أَهْلُهُ الْأَعْنَاقَ، وَرَفَعَ الْبَاطِلُ رَأْسًا كَانَ تَحْتَ قَدَمِ الرَّسُولِ ﷺ مَوْضُوعًا، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حَيَاتِهِ بَيْنَهُمْ مَسْمُوعًا، وَطَمِعَ عَدُوُّ اللهِ أَنْ يُعِيدَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَأَنْ يَصْرِفَ وُجُوهَهُمْ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَأَنْ يَصُدَّ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا كَانُوا

عَلَيْهِ مِنَ التَّهَوُّدِ وَالتَّمَجُّسِ وَالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ، فَشَمَّرَ الصِّدِّيقُ ﵁ مِنْ جِدِّهِ عَنْ سَاقٍ غَيْرِ خَوَّارٍ، وَانْتَضَى [وَأَخْرَجَ] سَيْفَ عَزْمِهِ الَّذِي هُوَ ثَانِي ذِي الْفقارِ، وَامْتَطَى مِنْ ظُهُورِ عَزَائِمِهِ جَوَادًا لَمْ يَكُنْ يَكْبُو [يَوْمَ] السِّبَاقَ، وَتَقَدَّمَ جُنُودَ الْإِسْلَامِ فَكَانَ أَفْرَسُهُمْ إِنَّمَا هَمُّهُ اللِّحَاقَ، وَقَالَ: وَاللهِ لَأُجَاهِدَنْ أَعَدَاءَ الْإِسْلَامِ جَهْدِي، وَلَأَصْدُقَنَّهُمُ الْحَرْبَ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي(١) أَوْ أُفْرَدَ وَحْدِي، وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ فِي الْبَابِ الَّذِي خَرجُوا مِنْهُ، وَلَأَرُدَّنَّهُمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي رَغِبُوا عَنْهُ، فَثَبَّتَ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ الْقَلْبِ - الَّذِي لَوْ وُزِنَ بِقُلُوبِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَهَا- جُيُوشَ الْإِسْلَامِ، وَأَذَلَّ بِهَا الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُرْتدِّينَ، وَأَهْلَ الْكِتَابِ، وَعَبَدَةَ الْأَصْنَامِ، حَتَّى اسْتَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ مِنْ بَعْدِ اعْوِجَاجِهَا، وَجَرَتِ الْمِلَّةُ الْحَنِيفِيَّةِ عَلَى سَنَنِهَا وَمَنَاهِجِهَا، وَتَوَلَّى حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَهُمْ خَاسِرُونَ، وَأَذَّنَ مُؤذِّنُ الْإِيمَانِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: «**أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ**».

هَذَا وَمَا ضَعُفَتْ جُيُوشُ عَزَمَاتِهِ، وَلَا اسْتَكَانَتْ، وَلَا وَهَنَتْ، بَلْ لَمْ تَزَلِ الْجُيُوشُ بِهَا مُؤَيَّدَةً وَمَنْصُورَةً، وَمَا فَرِحَتْ عَزَائِمَ أَعْدَائِهِ بِالظَّفَرِ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ، بَلْ لَمْ تَزَلْ مَذْلُولَةً مَكْسُورَةً. تِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ الشَّجَاعَةُ الَّتِي تَضَاءَلَتْ لَهَا فُرْسَانُ الْأُمَمِ، وَالْهِمَّةُ الَّتِي تَصَاغَرَتْ عِنْدَهَا عَلِيَّاتُ الْهِمَمِ، وَيَحِقُّ لِصِدِّيقِ الْأُمَّةِ أَنْ يَضْرِبَ مِنْ هَذَا الْمَغْنَمِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ، وَكَيْفَ لَا؟! وَقَدْ فَازَ مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ بِكَمَالِ التَّعْصِيبِ.

---

(١) السَّالِفَةُ: هِيَ صَفْحَةُ الْعُنُقِ. [لسان العرب مادة: س ل ف].

وَقد كَانَ الْمَوْرُوثُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَشْجَعَ النَّاسِ، فَكَذَلِكَ وَارِثُه وَخَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَشْجَعُ الْأُمَّةِ بِالْقِيَاسِ، وَيَكْفِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رضي الله عنه] سَهمٌ مِنْ كِنَانَتِهِ، وخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ [رضي الله عنه] سلَاحٌ مِنْ أَسْلِحَتِهِ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَهْلُ بَيْعَتِهِ وَشَوْكَتِهِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ مِنْ ثَبَاتِهِ وَشَجَاعَتِهِ.

وَمِنْهُمُ الْفَارُوقُ عُمَرُ رضي الله عنه الَّذِي تَفِرُّ مِنْهُ شَيَاطِينُ الْإِنِسِ وَالْجِنِّ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِيهًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: «أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ، أَنْشَأُ لِلْحَدِيثِ؟» فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى، وَأَسْمَعُ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ»، قَالَ: فَوَ اللهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَادَى أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِاللهِ وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ [صلى الله عليه وآله وسلم]»، فَثَاوَرُوهُ(٢)، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ [رضي الله عنه] وَجَلَسَ، فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ عُمَرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦) وغيرهما.

(٢) ثَاوَرُوه: ثَاوَرَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا وَاثَبَهُ. وَثَوَّرَ فُلَانٌ عَلَيْنَا شَرًّا إِذَا أَظْهَرَهُ وَهَيَّجَهُ.

[جمهرة اللغة لِابْن دُرَيد ١/ ٤٢٤]

[ﷺ]: «افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ»، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ وَقَمِيصٌ قَوْمَسِيٌّ، فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ!! فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ»(١)

وَمِنْهُمْ فَارِسُ الْأَبْطَالِ، وَبطَلُ الْفُرْسَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه:

أَلَمْ يَنَمْ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَقْتَ الْهِجْرَةِ، وَقُرَيْشٌ تَنْتَظِرُ لِتَهْجُمَ عَلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم لِقَتْلِهِ، وَقَدْ كَانَ غُلَامًا رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ ؟!.

أَلَمْ يُجَنْدِلِ الْأَبْطَالَ فِي الْمَعَارِكِ رضي الله عنه ؟!

أَلَمْ يُفْتَحْ عَلَى يَدَيْهِ مَا اسْتَعْصَى عَلَى غَيْرِهِ ؟!

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى

(١) (**صحيح**) أخرجه ابن حبان (٦٨٧٩) وغيره.

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ [ﷺ]: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟! فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَ اللهِ لَانْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

وَمِنْهُمْ أَسَدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ ﷺ، الْإِمَامُ الْبَطَلُ الضِّرْغَامُ، حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ **الَّذِي كَانَ يَهُدُّ الْأَبَطَالَ فِي الْمَعَارِكِ هَدًّا. سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»(٢).

وَمِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِك ﷺ: **الْبَطَلُ الْكَرَّارُ، أَخُوْ أَنَسٍ خَادِمِ النَّبِيِّ** ﷺ:

قَالَ الْإِمَامُ الذهبيُّ ؒ في «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١ /١٩٦): وَقَدِ اشْتُهِرَ أَنَّ الْبَرَاءَ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ مِئَةَ نَفْسٍ مِنَ الْكُفَّارِ الشُّجْعَانِ مُبَارَزَةً(٣).

وَمِنْهُمُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ﷺ **حَوَارِيِّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **وَابْنُ عَمَّتِهِ:**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١ ، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) وغيرهما.

(٢) (**حسن**) أخرجه الحاكم (٢٥٩٣، ٤٩٥٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦ / ٣٧٧) وغيرهما.

(٣) وانظر مستدرك الحاكم (٥٣٦٢).

«قَالُوا لِلزُّبَيْرِ [رضي الله عنه] يَوْمَ اليَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: «كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ»، قَالَ عُرْوَةُ: «وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما] يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا»(١).

وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: **صَاحِبُ الْعِصَابَةِ الْحَمْرَاءِ، عِصَابَةِ الْمَوْتِ:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ»(٢).

وَمِنْهُمُ السَّيِّدُ الْكَبِيرُ الشَّهِيدُ، سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ [رضي الله عنه] صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ [رضي الله عنه] إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم المَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ [رضي الله عنه] مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٠)، وأحمد (١٢٢٣٥) وغيرهما.

سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ [رضي الله عنه] وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ عَلَى المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ [رضي الله عنه] دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**»، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ، قَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ ؟ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَ اللَّهِ لَاشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لَا، مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٢،٣٩٥٠)، وأحمد (٣٧٩٤، ٣٧٩٥) وغيرهما.

وَمِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ [رضي الله عنه] عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ [رضي الله عنه]، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ [رضي الله عنه]: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ [رضي الله عنه]: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ(١) [سورة الأحزاب: ٢٣].

وَمِنْهُمْ سَيْفُ اللهِ الْمَسْلُولُ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ رضي الله عنه فَارِسُ الْإِسْلَامِ، وَلَيْثُ الْمَشَاهِدِ، قَائِدُ الْمُجَاهِدِينَ، بَطَلُ الْمَعَارِكِ، مُدَوِّخُ الْفُرْسِ وَالرُّومِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ **«أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥، ٤٠٤٨ ، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٩٠٣) وغيرهما.

أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ [خَالِدٌ] حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ»(١).

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ [رضي الله عنه] يَقُولُ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ»(٢).

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ يَا خَالِدُ، وَطَيَّبَ اللهُ أَرْضًا تَحْمِلُ جَسَدَكَ، أَيُّ شَجَاعَةٍ هَذِهِ، تِسْعَةُ أَسْيَافٍ تَتَكَسَّرُ وَتَتَقَطَّعُ فِي يَدِهِ فِي مَعْرَكَةٍ وَاحِدَةٍ !!!

فَشَجَاعَةُ خَالِدٍ وَبُطُولَاتُهُ تَحَدَّثَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ، وَامْتَلَأَتْ بِهَا بُطُونُ الْكُتُبِ. وَهَلْ سَمِعَ التَّارِيخُ بِخَطْفِ الْقَائِدِ الْعَامِّ لِجَيْشٍ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، فِي وَسَطِ جُنُودِهِ. هَذَا مَا فَعَلَهُ سَيْفُ اللهِ الْمَسْلُولُ مَعَ الْقَائِدِ الْعَامِّ لِلنَّصَارَى عَقَّةَ بْنِ أَبِي عَقَّةَ فِي مَعْرَكَةِ عَيْنِ التَّمْرِ، وَهُوَ بَيْنَ عَشَرَاتِ الْآلَافِ مِنْ أَتْبَاعِهِ انْقَضَّ عَلَيْهِ خَالِدٌ [رضي الله عنه] كَالصَّقْرِ قَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ، وَاخْتَطَفَهُ أَسِيرًا، وَرَزَقَ اللهُ النَّصْرَ(٣).

فَهَلْ سُمِعَ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّجَاعَةِ !!!.

وَأَخْتِمُ عَنْهُ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ بِمَا حَدَثَ فِي غَزْوَةِ «الْيَرْمُوك»: فَقَدْ خَرَجَ جَرَجَةُ أَحَدُ أُمَرَاءِ الرُّومِ الْكِبَارِ مِنَ الصَّفِّ، وَطَلَبَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رضي الله عنه فَجَاءَ إِلَيْهِ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا، فَقَالَ جَرَجَةُ: يَا خَالِدُ أَصْدِقْنِي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٧، ٤٢٦٢) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٥، ٤٢٦٦) وغيره.

(٣) المنتظم (٤/ ١٠٧)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٥٢٩).

وَلَا تَكْذِبْنِي فَإِنَّ الْحُرَّ لَا يَكْذِبُ، وَلَا تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُخَادِعُ الْمُسْتَرْسِلَ بِاللهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ، فَلَا تَسُلُّهُ عَلَى قَوْمٍ إِلا هَزَمْتَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ ﷺ، فَدَعَانَا فَنَفَرْنَا عَنْهُ وَنَأَيْنَا عَنْهُ جَمِيعًا ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا بَاعَدَهُ وَكَذَّبَهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ كَذَّبَهُ وَبَاعَدَهُ وَقَاتَلَهُ ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا، فَهَدَانَا بِهِ، فَتَابَعْنَاهُ فَقَالَ لِي: أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ!! وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: صَدَقْتَنِي(١).

وسَأَلَهُ عَنِ الإِسْلَامِ، وَأَسْلَمَ جَرَجَةُ، وَقَاتَلَ الرُّومَ مَعَ خَالِدٍ ﷺ حَتَّى قُتِلَ فِي نَفْسِ الْمَعْرَكَةِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ».

فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ بَعْدَكَ يَا أَبَا سُلَيْمَان!!!

وَمِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ، السَّيِّدُ الشَّهِيدُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما «أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ [رضي الله عنه] يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَهُوَ قَتِيلٌ، قَالَ: فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ، بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ». يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ (٢). وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ: «بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ».

وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ البَطَّالُ، رَأْسُ الشُّجْعَانِ وَالْأَبْطَالِ-رَحِمَهُ اللهُ

---

(١) تاريخ الطبري (٣ / ٣٩٨)، والبداية والنهاية (٩ / ٥٦٢-٥٦٤ ط. هجر).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٠) والرواية الثانية (٤٢٦١).

تَعَالَى- : عَنْ أَبِي مَرْوَانَ الْأَنْطَاكِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كُنْتُ أَغَازِي الْبَطَّالَ [رَحِمَهُ اللهُ] وَقَدْ أَوْطَأَ الرُّومَ ذُلًّا، قَالَ الْبَطَّالُ [رَحِمَهُ اللهُ]: فَسَأَلَنِي بَعْضُ وُلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنْ أَعْجَبِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي فِي مَغَازِيَّ فِيهِمْ، فَقُلْتُ لَهُ: خَرَجْتُ فِي سَرِيَّةٍ لَيْلًا، فَدَفَعْنَا إِلَى قَرْيَةٍ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: أَرْخُوا لُجُمَ خُيُولِكُمْ، وَلَا تُحَرِّكُوا أَحَدًا بِقَتْلٍ وَلَا بِسَبْيٍ حَتَّى تَسْتَمْكِنُوا مِنَ الْقَرْيَةِ وَمِنْ سُكَّانِهَا، فَفَعَلُوا وَافْتَرَقُوا فِي أَزِقَّتِهَا، فَدَفَعْتُ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَى بَيْتٍ يَزْهَرُ سِرَاجُهُ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تُسَكِّتُ ابْنَهَا مِنْ بُكَائِهِ وَهِيَ تَقُولُ لَهُ: لَتَسْكُتَنَّ أَوْ لَأَدْفَعَنَّكَ إِلَى الْبَطَّالِ يَذْهَبُ بِكَ. وَانْتَشَلَتْهُ مِنْ سَرِيرِهِ وَقَالَتْ: خُذْهُ يَا بَطَّالُ!!! قَالَ: فَأَخَذْتُهُ(١).

لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يُخَوِّفُ بِهِ الرُّومُ أَبْنَاءَهُمْ، فَرَحِمَهُ اللهُ وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ.

وَعَنْ أَبِي مَرْوَانَ الْأَنْطَاكِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ البَطَّال [رَحِمَهُ اللهُ] قَالَ: انْفَرَدْتُ مَرَّةً عَلَى فَرَسِي، لَيْسَ مَعِي أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ، وَقَدْ سَمَّطْتُ خَلْفِي مِخْلَاةً فِيهَا شَعِيرٌ، وَمَعِي مَنْدِيلٌ فِيهِ خُبْزٌ وَشِوَاءٌ، فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ لَعَلِّي أَلْقَى أَحَدًا مُنْفَرِدًا أَوْ أَطَّلِعُ عَلَى خَبَرٍ، إِذَا أَنَا بِبُسْتَانٍ فِيهِ بُقُولٌ حَسَنَةٌ، فَنَزَلْتُ وَأَكَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْخَبْزِ وَالشِّوَاءِ مَعَ الْبَقْلِ، فَأَخَذَنِي إِسْهَالٌ عَظِيمٌ قُمْتُ مِنْهُ مِرَارًا، فَخِفْتُ أَنْ أَضْعُفَ مِنْ كَثْرَةِ الْإِسْهَالِ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَالْإِسْهَالُ مُسْتَمِرٌّ عَلَى حَالِهِ، وَجَعَلْتُ أَخْشَى إِنْ أَنَا نَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي أَنْ أَضْعُفَ عَنِ الرُّكُوبِ، وَأَفْرَطَ بِي الْإِسْهَالُ فِي السَّرْجِ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَسْقُطَ مِنَ الضَّعْفِ، فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ

(١) تاريخ دمشق (٣٣ / ٤٠٢)، وتاريخ الإسلام (٣ / ٢٦٧ بشار)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ١١١ ط. هجر).

الْفَرَسِ، وَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي لَا أَدْرِي أَيْنَ يَسِيرُ الْفَرَسُ بِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِقَرْعِ نِعَالِهِ عَلَى بَلَاطٍ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَإِذَا دَيْرٌ، وَإِذَا قَدْ خَرَجَ مِنْهُ نِسْوَةٌ صُحْبَةَ امْرَأَةٍ حَسْنَاءَ جَمِيلَةٍ جِدًّا، فَجَعَلَتْ تَقُولُ لَهُنَّ بِلِسَانِهَا: أَنْزِلْنَهُ. فَأَنْزَلْنَنِي، فَغَسَلْنَ عَنِّي ثِيَابِي وَسَرْجِي وَفَرَسِي، وَوَضَعْنَنِي عَلَى سَرِيرٍ، وَعَمِلْنَ لِي طَعَامًا وَشَرَابًا فَمَكَثْتُ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَسْبُوتًا(١)، ثُمَّ أَقَمْتُ بَقِيَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّى تُرَادَّ إِلَيَّ حَالِي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ قِيلَ: جَاءَ الْبِطْرِيقُ [والْبِطْرِيقُ فِي لُغَةِ الرُّومِ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ فِيهِمْ]. فَأَمَرْتُ بِفَرَسِي فَحُوِّلَ، وَغُلِّقَ عَلَيَّ الْبَابُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، وَإِذَا هُوَ بِطْرِيقٌ كَبِيرٌ فِيهِمْ قَدْ جَاءَ لِخِطْبَتِهَا، فَأَخْبَرَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ بِأَنَّ هَذَا الْبَيْتَ فِيهِ رَجُلٌ وَلَهُ فَرَسٌ، فَهَمَّ بِالْهُجُومِ عَلَيَّ، فَمَنَعَتْهُ الْمَرْأَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَتْ تَقُولُ لَهُ: إِنْ فَتَحَ عَلَيْهِ الْبَابَ لَمْ أَقْضِ حَاجَتَهُ. فَثَنَاهُ ذَلِكَ عَنِ الْهُجُومِ عَلَيَّ، وَأَقَامَ الْبِطْرِيقُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ فِي ضِيَافَتِهِمْ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ وَانْطَلَقَ. قَالَ الْبَطَّالُ: فَنَهَضْتُ فِي أَثَرِهِمْ، فَهَمَّتْ أَنْ تَمْنَعَنِي خَوْفًا عَلَيَّ مِنْهُمْ فَلَمْ أَقْبَلْ، وَسُقْتُ حَتَّى لَحِقْتُهُمْ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَانْفَرَجَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَأَرَادَ الْفِرَارَ، فَأَلْحَقُهُ فَأَضْرِبُ عُنُقَهُ وَاسْتَلَبْتُهُ وَأَخَذْتُ رَأْسَهُ مُسَمَّطًا(٢) عَلَى فَرَسِي، وَرَجَعْتُ إِلَى الدَّيْرِ، فَأَلْقَيْتُ الرَّأْسَ، وَدَعَوْتُهَا وَمَنْ مَعَهَا مِنَ النِّسَاءِ وَالْخَدَمِ، فَخَرَجْنَ إِلَيَّ وَوَقَفْنَ بَيْنَ يَدَيَّ، فَقُلْتُ: ارْكَبْنَ. فَرَكِبْنَ مَا هُنَالِكَ مِنَ

---

(١) الْمُسْبُوتُ: المَغْشِيُّ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْعَلِيلُ إِذا كَانَ مُلْقًى كَالنَّائِمِ يُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ فِي أَكثرِ أَحْوالِهِ. [لسان العرب مادة: س ب ت].

(٢) سَمَطَ الشَّيءَ سَمْطًا: عَلَّقَهُ. [لسان العرب مادة: س م ط].

الدَّوَابِّ، وَسُقْتُ بِهِنَّ حَتَّى أَتَيْتُ أَمِيرَ الْجَيْشِ، فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ، فَنَفَّلَنِي مَا شِئْتُ مِنْهُنَّ، فَأَخَذْتُ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الْحَسْنَاءَ بِعَيْنِهَا، فَهِيَ أَمُّ أَوْلَادِي. وَكَانَ أَبُوهَا بِطْرِيقًا كَبِيرًا فِيهِمْ، وَكَانَ الْبَطَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ يُكَاتِبُ أَبَاهَا وَيُهَادِيهِ(١)

وَلَمَّا وَلِيَ الْبَطَّالُ [رَحِمَهُ اللَّهُ] الْمِصِّيصَةَ وَمَا يَلِيهَا بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى أَرْضِ الرُّومِ فَغَابَ عَنْهُ خَبَرُهَا فَلَمْ يَدْرِ مَا صَنَعُوا، فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَحْدَهُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَمُّورِيَّةَ، فَطَرَقَ بَابَهَا لَيْلًا، فَقَالَ لَهُ الْبَوَّابُ: مَنْ هَذَا؟! قَالَ الْبَطَّالُ: فَقُلْتُ: أَنَا سَيَّافُ الْمَلِكِ وَرَسُولُهُ إِلَى الْبِطْرِيقِ فَخُذْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ إِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ فِي رِسَالَةٍ، فَمُرْ هَؤُلَاءِ فَلْيَنْصَرِفُوا. فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ فَذَهَبُوا. قَالَ: ثُمَّ قَامَ فَأَغْلَقَ بَابَ الْكَنِيسَةِ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ، فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، وَضَرَبْتُ بِهِ رَأْسَهُ صُفْحًا [ضَرَبَهُ بصُفْحِ السَّيْفِ أَي بعُرْضِهِ]، وَقُلْتُ لَهُ: أَنَا الْبَطَّالُ! فَاصْدُقْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: السَّرِيَّةُ الَّتِي بَعَثْتُهَا مَا خَبَرُهَا؟! فَقَالَ: هُمْ فِي بِلَادِي يَنْتَهِبُونَ مَا تَهَيَّأَ لَهُمْ، وَهَذَا كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي يُخْبِرُ أَنَّهُمْ فِي وَادِي كَذَا وَكَذَا، وَاللهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ. فَقُلْتُ: هَاتِ الْأَمَانَ. فَأَعْطَانِي الْأَمَانَ، فَقُلْتُ: ائْتِنِي بِطَعَامٍ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَجَاءُوا بِطَعَامٍ، فَوُضِعَ لِي، فَأَكَلْتُ!! ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْصَرِفَ؛ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: اخْرُجُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الْمَلِكِ. فَانْطَلَقُوا يَتَعَادُّونَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي ذَكَرَ، فَإِذَا أَصْحَابِي

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣ / ٤٠٢-٤٠٤)، وتاريخ الإسلام (٣ / ٢٦٧-٢٦٨ بشار)، والبداية والنهاية (١٣/ ١١١-١١٣ ط. هجر).

هُنَالِكَ، فَأَخَذَتْهُمْ وَرَجَعْتُ إِلَى الْمِصِّيصَةِ. فَهَذَا أَغْرَبُ مَا جَرَى(١).

وَمِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فِي الْحَدِيثِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: أُدْخِلْتُ عَلَى المَهْدِيِّ بِمِنًى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالإِمْرَةِ. فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ!! طَلَبْنَاكَ، فَأَعجَزْتَنَا، فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ، فَارْفعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ. فَقُلْتُ: قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ ظُلْمًا وَجَوْرًا، فَاتَّقِ اللهَ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ عِبرَةً. فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيت إِنْ لَمْ أَسْتطِعْ دَفْعَهُ؟ قَالَ: تُخَلِّيهِ وَغَيْرَكَ!!. فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ. قُلْتُ: أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ بِالبَابِ، فَاتَّقِ اللهَ، وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُم. فَطَأطَأَ رَأْسَهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ!! ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ. قُلْتُ: وَمَا أَرْفَعُ؟! حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: حَجَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رضي الله عنه]، فَقَالَ لِخَازِنِهِ: كَمْ أَنفَقْتَ؟ قَالَ: بَضْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَإِنِّي أَرَى هَا هُنَا أُمُوْرًا لَا تُطِيْقُهَا الجِبَالُ(٢).

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ الْقُرَشِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :

قَالَ عَنْهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٧ /١٤٠): كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ، ثِقَةً، فَاضِلًا، قَوَّالًا بِالْحَقِّ، مَهِيْبًا.

---

(١) تاريخ دمشق (٣٣ / ٤٠٤-٤٠٥)، وتاريخ الإسلام (٣ / ٢٦٨ بشار)، والبداية والنهاية (١٣/ ١١٣-١١٤ ط. هجر).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص (١١٠-١١١)، وحلية الأولياء (٧ / ٤٥)، وسير أعلام النبلاء (٧ / ٢٦٤-٢٦٥).

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ثِقَةٌ وَرِعٌ، قَدْ دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ فَلَمْ يَهُلْهُ أَنْ قَالَ لَهُ الحَقَّ، وَقَالَ: الظُّلْمُ بِبَابِكَ فَاشٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ أَبُو جَعْفَرٍ(١).

قَالَ أَبُو العَيْنَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا حَجَّ المَهْدِيُّ، دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ، إِلَّا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ. فَقَالَ لَهُ المُسَيِّبُ بنُ زُهَيْرٍ: قُمْ، هَذَا أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ!! فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ]: **إِنَّمَا يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالِمِيْنَ**!!. فَقَالَ المَهْدِيُّ: دَعْهُ، فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي(٢).

وقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَجَجْتُ عَامَ حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ (الْمَنْصُورُ) وَمَعَهُ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَمَالِكُ بنُ أَنَسٍ، فَدَعَا ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ، فَأَقعَدَهُ مَعَهُ عَلَى دَارِ النَّدْوَةِ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُوْلُ فِي الحَسَنِ بنِ زَيْدِ بنِ حَسَنٍ يَعْنِي: أَمِيْرَ المَدِيْنَةِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيَتَحَرَّى العَدْلَ. فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُوْلُ فِيَّ، مَرَّتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَرَبِّ هَذِهِ البَنِيَّةِ [الْكَعْبَةِ]، إِنَّكَ لَجَائِرٌ!!. قَالَ: فَأَخَذَ الرَّبِيْعُ الحَاجِبُ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: كُفَّ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ. ثُمَّ أَمَرَ لِابْنِ أَبِي ذِئْبٍ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِيْنَارٍ(٣).

---

(١) تاريخ بغداد (٢ / ٣٠٢)، وسير أعلام النبلاء (٧ / ١٤٤).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٧ / ١٤٣)، وفي سند تاريخ بغداد سقط يكمل ويصحح من سير أعلام النبلاء.

(٣) أخبار ابن أبي ذئب للربعي ص (٥٢-٥٣)، وتاريخ بغداد (٢/ ٢٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٧ / ١٤٤) .

قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ رَحِمَهُ اللهُ لِلْمَنْصُوْرِ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ قَدْ هَلَكَ النَّاسُ، فَلَوْ أَعَنْتَهُم بِمَا فِي يَدَيْكَ مِنَ الْفَيْءِ!! فَقَالَ: وَيْلَكَ! لَوْلَا مَا سَدَدْتُ مِنَ الثُّغُورِ، وَبَعَثْتُ مِنَ الْجُيُوشِ؛ لَكُنْتَ تُؤْتَى فِي مَنْزِلِكَ فَتُذْبَحَ. فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ [رَحِمَهُ اللهُ]: قَدْ سَدَّ الثُّغُورَ، وَجَيَّشَ الْجُيُوشَ، وَفَتَحَ الْفُتُوحَ، وَأَعْطَى النَّاسَ أَعْطِيَاتِهِمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ!! فَقَالَ: وَمَنْ هُوَ وَيْلَكَ ؟! قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَنَكَسَ المَنْصُوْرُ رَأْسَهُ، وَالسَّيْفُ بِيَدِ المُسَيَّبِ، وَالْعَمُودُ بِيَدِ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ، فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ، وَالْتَفَتَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ؛ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْخُ خَيْرُ أَهْلِ الحِجَازِ(١).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعُمَ الإِفْرِيْقِيُّ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، قَاضِي إِفْرِيْقِيَةَ، وَعَالِمُهَا، عَلَى سُوءٍ فِي حِفْظِهِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

قَالَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَلِيَ السَّفَّاحُ، فَظَهَرَ جَوْرٌ بِإِفْرِيْقِيَةَ، فَوَفَدَ ابْنُ أَنْعُمَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُشتَكِيًا، ثُمَّ قَالَ: جِئْتُ لأُعْلِمَكَ بِالجَوْرِ بِبَلَدِنَا، فَإِذَا هُوَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِكَ! فَغَضِبَ، وَهَمَّ بِهِ. وَقِيْلَ: قَالَ لَهُ: كَيْفَ لِي بِأَعوَانٍ؟! قَالَ: أَفَلَيْسَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ [رَحِمَهُ اللهُ] كَانَ يَقُوْلُ: الوَالِي بِمَنْزِلَةِ السُّوْقِ، يُجلَبُ إِلَيْهِ مَا يَنْفُقُ فِيْهِ؟! فَأَطرَقَ طَوِيْلًا، فَأَومَأَ إِلَيَّ الرَّبِيْعُ الحَاجِبُ بِالخُرُوْجِ(٢).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ القُرَشِيُّ، العُمَرِيُّ، الْإِمَامُ، القُدْوَةُ،

---

(١) أخبار ابن أبي ذئب ص (٥٧-٥٨)، وتاريخ بغداد (٢/ ٢٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٤٣-١٤٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢١٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٢).

الزَّاهِدُ العَابِدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – :

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٣٧٤/٨):

وَهُوَ قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ، مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِهِ، قوَّالٌ بِالحَقِّ، أَمَّارٌ بِالعُرْفِ، لَا تَأْخذُهُ فِي اللهِ لُوْمَةَ لَائِمٍ، كَانَ يُنْكِرُ عَلَى مَالِكٍ الإِمَامِ [رَحِمَهُ اللهُ] اجْتِمَاعَهُ بِالدَّولَةِ.

قَالَ مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ العُمَرِيُّ [رَحِمَهُ اللهُ] أَصْفَرَ، جَسِيمًا، لَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَقَارِبِهِ وَمَعَارِفِهِ لَا يُكَلِّمُهُ، وَوَلِيَ أَخُوْهُ عُمَرُ المَدِيْنَةَ وَكرمَانَ، فَهَجَرَهُ، مَا أَدْرَكتُ بِالمَدِيْنَةِ رَجُلًا أَهْيَبَ مِنْهُ، وَكَانَ يَقْبَلُ صِلَةَ ابْنِ المُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ]. وَقَدِمَ الكُوْفَةَ لِيُخَوِّفَ الرَّشِيْدَ بِاللهِ، فَرَجَفَ لِمَجِيئِهِ الدَّوْلَةُ، حَتَّى لَوْ كَانَ نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَدُوِّ مئَةُ أَلْفٍ، مَا زَادَ مِنْ هَيْبَتِهِ، فَرُدَّ مِنَ الكُوْفَةِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ(١).

قَالَ أَبُو المُنْذِرِ إِسْمَاعِيلُ بنُ عُمَرَ الْوَاسِطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ العُمَرِيَّ الزَّاهِدَ [رَحِمَهُ اللهُ] يَقُوْلُ: إِنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ، إِعرَاضَكَ عَنِ اللهِ بِأَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُهُ فَتَجَاوَزَهُ، وَلَا تَأْمُرْ وَلَا تَنْهَى، خَوْفًا مِنَ الْمَخْلُوْقِ، مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ مَخَافَةِ الْمَخْلُوقِينَ نُزِعَتْ مِنْهُ هَيْبَةُ الطَّاعَةِ، فَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَاسْتَخَفَّ بِهِ»(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٥).

(٢) الأَمْرَ بِالمَعْرُوْفِ لابن أبي الدنيا رقم (١٤)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٤)، وعبد الغني المقدسي في الأَمْرَ بِالمَعْرُوْفِ رقم (٥٠)، وغيرهم.

وَمِنْهُمْ أبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ يُوْنُس الكُدَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا دَخَلَ أَبُو نُعَيْمٍ [رَحِمَهُ اللهُ] عَلَى الوَالِي لِيَمْتَحِنَهُ، وثَمَّ أَحْمَدُ بنُ يُوْنُس، وَأَبُو غسَّانَ، وَغَيْرُهُمَا، فَأَوَّلُ مَنِ امتُحِنَ فُلَانٌ، فَأَجَابَ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى أَبِي نُعَيْمٍ، فَقَالَ: قَدْ أجَابَ هَذَا، فَمَا تَقُوْلُ؟ فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ أَتَّهِمُ جَدَّهُ بِالزَّنْدَقَةِ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي يُوْنُس بنُ بُكَيْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ يَقُوْلُ: لَا بَأْسَ أَنْ يَرْمِيَ الجَمْرَةَ بِالقَوَارِيْرِ. أَدْرَكْتُ الكُوْفَةَ وَبِهَا أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِ مِئَةِ شَيْخٍ، الْأَعْمَشُ فَمَنْ دُوْنَهُ يَقُوْلُوْنَ: القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَعُنُقِي أَهْوَنُ مِنْ زِرِّي هَذَا [وَقَطَعَ زِرَّهُ]. فَقَامَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بنُ يُوْنُس [رَحِمَهُ اللهُ]، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ – وَكَانَ بَيْنَهُمَا شَحْنَاءُ – وَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ مِنْ شَيْخٍ خَيْرًا(١).

وَمِنْهُمُ الْإِمَامُ الرَّبَّانِي، وَالصِّدِّيقُ الثَّانِي، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : وَشُهْرَةُ سِيرَتِهِ الْعَطِرَةِ فِيهَا الْكِفَايَةُ، فِي قِيَامِهِ بِأَمْرِ اللهِ، وَالْجَهْرِ بِالْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمِحْنَةِ وَالِابْتِلَاءِ – فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ – فَلَا نُطِيلُ الْكَلَامَ، وَتَكْفِي مُرَاجَعَةُ تَرْجَمَتِهِ فِي أيِّ كِتَابٍ تَرْجَمَ لِحَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا: قَالَ أَصْحَابُ بِشْرٍ الحَافِي [رَحِمَهُ اللهُ] لَهُ حِيْنَ ضُرِبَ أَبِي: لَوْ أَنَّكَ خَرَجْتَ فَقُلْتَ: إِنِّي عَلَى قَوْلِ أَحْمَدَ!!. فَقَالَ: أَتُرِيدُوْنَ أَنْ أَقُومَ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ؟!(٢).

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٩).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص (٣١٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٧).

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ المَدِيْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللهَ أَعَزَّ هَذَا الدِّينَ بِرَجُلَيْنِ لَيْسَ لَهُمَا ثَالِثٌ؛ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمِ المِحْنَةِ(١).

وَمِنْهُمْ الإِمَامُ، العَلَامَةُ، سَيِّدُ الفُقَهَاءِ، البُوَيْطِيُّ، يُوْسُفُ بنُ يَحْيَى المِصْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : قَالَ الرَّبِيعُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَأَيْتُ البُوَيْطِيَّ عَلَى بَغْلٍ، فِي عُنُقِهِ غُلٌّ، وَفِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ، وَبَيْنَ الغُلِّ والْقَيْدِ سِلْسِلَةُ حَدِيدٍ، فِيْهَا طُوبَةٌ وَزْنُهَا أَرْبَعُوْنَ رِطْلًا، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِـ«كُنْ» فَإِذَا كَانَتْ «كُنْ» مَخْلُوْقَةً، فَكَأَنَّ مَخْلُوْقًا خَلَقَ مَخْلُوْقًا، وَلَأَمُوتَنَّ فِي حَدِيدِي هَذَا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ يَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فِي هَذَا الشَّأْنِ قَوْمٌ فِي حَدِيدِهِمْ. وَلَئِنْ أُدْخِلْتُ عَلَيْهِ لَأَصْدُقَنَّهُ -يَعْنِي الوَاثِقَ-.

قَالَ الرَّبِيْعُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ السِّجْنِ، إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيَّ أَوْقَاتٌ مَا أُحِسُّ بِالْحَدِيدِ إِنَّهُ عَلَى بَدَنِي حَتَّى تَمَسَّهُ يَدِي(٢).

قَالَ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ البُوَيْطِيُّ [رَحِمَهُ اللَّهُ] إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ وَهُوَ فِي السِّجْنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، اغْتَسَلَ، وَلَبِسَ ثِيَابَهُ، وَمَشَى حَتَّى يَبْلُغَ بَابَ الْحَبْسِ، فَيَقُولَ لَهُ السَّجَّانُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟! فَيَقُولُ: حَيْثُ دَاعِيَ اللهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعْ عَافَاكَ اللهُ، فَيَقُولُ أَبُو يَعْقُوبَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَجَبْتُ دَاعِيَكَ فَمَنَعُونِي(٣).

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٨)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩).

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي ص (٩٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٦٥).

وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ بنُ إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ، السُّرْمَارِيُّ: فَارِسُ الإِسْلَامِ، المُجَاهِدُ، الزَّاهِدُ، العَابِدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: فَقَدْ قَتَلَ بِسَيْفِهِ أَلْفَ تُرْكِيٍّ!![1].

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٣/٤٠): أَخْبَارُ هَذَا الغَازِي تَسُرُّ قَلْبَ المُسْلِمِ.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَفَّانَ البَزَّازُ رحمه الله: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ [صاحب الصحيح رحمه الله]، فَجَرَى ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيِّ [رحمه الله]، فَقَالَ: مَا نَعْلَمُ فِي الإِسْلَامِ مِثْلَهُ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَحِيدُ رَئِيْسُ المُطَّوِّعَةِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ وَدَخَلَ عَلَى البُخَارِيِّ [رحمه الله]، وَسَأَلَهُ. فَقَالَ: مَا كَذَا قُلْتُ: بَلْ: مَا بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَ فِي الإِسْلَامِ وَلَا الجَاهِلِيَّةِ مِثْلُهُ[2].

وَقد قَالَ رحمه الله: يَنْبَغِي لِقَائِدِ الغُزَاةِ أَنْ يَكُوْنَ فِيْهِ عَشْرُ خِصَالٍ: أَنْ يَكُوْنَ فِي قَلْبِ الْأَسَدِ لَا يَجْبُنُ، وَفِي كِبْرِ النَّمِرِ لَا يَتَوَاضَعُ، وَفِي شَجَاعَةِ الدُّبِّ يَقْتُلُ بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا، وَفِي حَمْلَةِ الخِنْزِيرِ لَا يُوَلِّي دُبُرَهُ، وَفِي غَارَةِ الذِّئْبِ إِذَا أَيِسَ مِنْ وَجْهٍ أَغَارَ مِنْ وَجْهٍ، وَفِي حَمْلِ السِّلَاحِ كَالنَّمْلَةِ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهَا، وَفِي الثَّبَاتِ كَالصَّخْرِ، وَفِي الصَّبْرِ كَالحِمَارِ، وَفِي الوَقَاحَةِ كَالكَلْبِ لَوْ دَخَلَ صَيْدُهُ النَّارَ لَدَخَلَ خَلْفَهُ، وَفِي الْتِمَاسِ الفُرْصَةِ كَالدِّيْكِ[3].

قَالَ إِبْرَاهِيْمَ بنَ شَمَّاسٍ رحمه الله: كُنْتُ أُكَاتِبُ أَحْمَدَ بنَ إِسْحَاقَ السُّرْمَارِيَّ [رحمه الله]، فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِذَا أَرَدْتَ الخُرُوجَ إِلَى بلَادِ الغُزَيَّةِ فِي شِرَاءِ الْأَسْرَى،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩)، وتاريخ الإسلام (٥ / ٩٩٥ بشار).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧)، وتاريخ الإسلام (٥ / ٩٩٤ بشار).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧-٣٨)، وتاريخ الإسلام (٥ / ٩٩٤ بشار).

فَاكْتُبْ إِلَيَّ. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ، فَقَدِمَ سَمَرْقَنْدَ، فَخَرَجْنَا، فَلَمَّا عَلِمَ جَعْبَوَيْهِ، اسْتَقْبَلَنَا فِي عِدَّةٍ مِنْ جُيُوْشِهِ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ، فَعَرَضَ يَوْمًا جَيْشَهُ، فَمَرَّ رَجُلٌ، فَعَظَّمَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْهُ السُّرْمَارِيُّ، فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ مُبَارِزٌ، يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارِسٍ. قَالَ: أَنَا أُبَارِزُهُ. فَسَكَتُّ، فَقَالَ جَعْبَوَيْهِ: مَا يَقُوْلُ هَذَا؟! قُلْتُ: يَقُوْلُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: لَعَلَّهُ سَكْرَانُ لَا يَشْعُرُ، وَلَكِنْ غَدًا نَرْكَبُ. فَلَمَّا كَانَ الغَدُ رَكِبُوا، فَرَكِبَ السُّرْمَارِيُّ مَعَهُ عَمُوْدٌ فِي كُمِّهِ، فَقَامَ بِإِزَاءِ الْمُبَارِزِ، فَقَصَدَهُ، فَهَرَبَ أَحْمَدُ حَتَّى بَاعَدَهُ مِنَ الجَيْشِ، ثُمَّ كَرَّ، وَضَرَبَهُ بِالعَمُوْدِ قَتَلَهُ، وَتَبِعَ إِبْرَاهِيْمَ بنَ شَمَّاسٍ، لِأَنَّهُ كَانَ سَبَقَهُ، فَلَحِقَهُ، وَعَلِمَ جَعْبَوَيْهِ، فَجَهَّزَ فِي طَلَبِهِ خَمْسِيْنَ فَارِسًا نَقَاوَةً، فَأَدْرَكُوهُ، فَثَبَتَ تَحْتَ تَلٍّ مُخْتَفِيًا، حَتَّى مَرُّوا كُلُّهُم، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِعَمُودِهِ مِنْ وَرَائِهِم، إِلَى أَنْ قَتَلَ تِسْعَةً وَأَرْبَعِيْنَ، وَأَمْسَكَ وَاحِدًا، قَطَعَ أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ، وَأَطْلَقَهُ لِيُخْبِرَ، ثُمَّ بَعْدَ عَامَيْن تُوُفِّيَ أَحْمَدُ، وَذَهَبَ ابْنُ شِمَّاسٍ فِي الفِدَاءِ، فَقَالَ لَهُ جَعْبَوَيْهِ: مَنْ ذَاكَ الَّذِي قَتَلَ فُرْسَانَنَا؟! قَالَ: ذَاكَ أَحْمَدُ السُّرْمَارِيُّ. قَالَ: فَلِمَ لَمْ تَحْمِلْهُ مَعَكَ؟! قُلْتُ: تُوُفِّيَ، فَصَكَّ فِي وَجْهِي، وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمْتَنِي أَنَّهُ هُوَ لَكُنْتُ أُعْطِيهِ خَمْسَ مِئَةَ بِرْذَوْنٍ، وَعَشَرَةَ آلَافِ شَاةٍ(١).

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَحْنُوْنَ فَقِيْهُ المَغْرِبِ، ابْنُ فَقِيْهِ المَغْرِبِ، القَيْرَوَانِيُّ، شَيْخُ المَالِكِيَّةِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : كَتَبَ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ بَنِي الْأَغْلَبِ يَقُوْلُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي بِطَاعَتِهِ نِيلَتْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَارْتُقِيَ إِلَى شَرَفِهَا. وَأَوَّلُ مَا آمُرُكَ بِهِ النَّظَرُ لِنَفْسِكَ وَمَعَادِكَ الَّذِي

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨-٣٩)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٩٩٤-٩٩٥ بشار).

تَصِيرُ إِلَيْهِ، فَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَا آخِرَةَ لَهُ، وَبِحُسْنِ الْمُنْقَلَبِ يُغْبَطُ الْمَرْءُ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَخُذْ بِعِنَانِهَا وَاحْبِسْهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ تُنَازِعُكَ إِلَيْهِ، فَعَمَّا قَلِيلٍ تَذْهَبُ الدُّنْيَا وَتَأْتِي الْآخِرَةُ، فَلَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِلَّا مَا قَدَّمَتْ وَلَا يَسُوؤُهَا إِلَّا مَا عَمِلَتْ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: **إِنَّ خَيْرَ الْخُلَطَاءِ وَأَنْفَعَ الْأَخِلَّاءِ الْمُرْشِدُونَ فِي الْمُضِلَّاتِ. الْمُذَكِّرُونَ فِي الْغَفَلَاتِ.** فَأَذَكِّرُكَ يَوْمًا هُوَ مِنْكَ قَرِيبٌ، تَنْزِلُ فِيهِ بِسَاحَتِكَ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ أَسْلَمَكَ الْأَهْلُ وَالْوِلْدَانُ، تُعْطِي حَيْثُ لَا يُقْبَلُ مِنْكَ، مَسْلُوبًا مِنْكَ مَا فِي يَدَيْكَ مِنْهُ، مُودَعًا فِي بَطْنِ الْأَرْضِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى، يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، ثُمَّ يُنْشَرُ لَكَ كِتَابٌ فِيهِ مِنْ عَمَلِكَ مَثَاقِيلُ الذَّرِّ وَالْخَرْدَلِ، فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ عِنْدَ ذَلِكَ!! وَقَدْ قُلِّدْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، لِكُلِّ الْخَلْقِ فِيكَ نَصِيبٌ، قَدِ اشْتَرَكَ فِيكَ الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ؛ **فَخَلِّصْ نَفْسَكَ مِنْ وِثَاقِهَا؛ بِأَنْ تَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا أَمَرَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي مَلَّكَكَ أَمْرَ عَدُوِّكَ، وَأَدَالَ لَكَ عَلَيْهِ، وَأَذَلَّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ، هُوَ اللهُ رَبُّكَ وَرَبُّهُ، وَإِلَهُكَ وإِلَهُهُ، وَمَالِكُكَ وَمَالِكُهُ، يُدِيلُ الْأُمُورَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْكَ لَهُ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ وَالْخَرْدَلِ!!** فَانْظُرْ –رَحِمَكَ اللهُ وَإِيَّانَا– لِنَفْسِكَ نَظَرَ مَنْ يَمُوتُ غَدًا ثُمَّ يُحَاسَبُ بِجَمِيعِ مَا قَدَّمَ. وَلَا تُمَلِّكْ نَفْسَكَ عِنَانَهَا، وَتَمَهَّلْ فِي أَمْرِكَ، وَآثِرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ غَضَبِكَ، وَاعْمَلْ فِي ذَلِكَ وَكِلْ أَمْرَكَ بِمَا يُرْضِي اللهَ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّهُ يَرْضَى عَنْكَ، وَآثِرِ رِضَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رِضَى عِبَادِهِ، وَلَا تُرْضِ عِبَادَ اللهِ بِسَخَطِهِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا. وَأَنْزِلْ كِتَابِي هَذَا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ مَرِضَ أَبُوهُ فَهُوَ يَسْقِيهِ مِنَ الدَّوَاءِ مَا يَكْرَهُ رَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ، وَهُوَ بِهِ بَارٌّ وَعَلَيْهِ شَفِيقٌ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ

وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ(١).

وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ الهَرَوِيُّ، عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللهُ سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: عُرضتُ عَلَى السَّيْف خَمْسَ مَرَّات، لَا يُقَالُ لِي: ارْجِعْ عَنْ مَذْهَبِكَ!!. لَكِنْ يُقَالُ لِي: اسْكُتْ عَمَّنْ خَالَفَكَ!!. فَأَقُوْلُ: لَا أَسْكُتُ(٢).

قَالَ الحَافِظُ أَبُو النَّضْرِ الفَامِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ [رَحِمَهُ اللهُ] بِكْرَ الزَّمَانِ، وَوَاسطَةَ عِقْدِ المَعَانِي، وَصُوْرَةَ الْإِقْبَالِ فِي فُنُوْنِ الْفَضَائِلِ وَأَنْوَاعِ المَحَاسِنِ، مِنْهَا نُصْرَةُ الدِّيْنِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ وَلَا مُرَاقَبَةٍ لسُلْطَانٍ وَلَا وَزِيْرٍ، وَقَدْ قَاسَى بِذَلِكَ قَصْدَ الحُسَّادِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَسَعَوْا فِي رُوحِهِ مِرَارًا، وَعَمَدُوا إِلَى إِهلَاكِهِ أَطْوَارًا، فَوَقَاهُ اللهُ شَرَّهُمْ، وَجَعَلَ قَصْدَهُمْ أَقوَى سَبَبٍ لِارْتِفَاعِ شَأْنِهِ(٣).

وقَالَ الْمُؤْتَمَنُ السَّاجِيُّ [رَحِمَهُ اللهُ]:كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ فَمَا يُبَالِي، وَيَرَى الْغَرِيْبَ مِنَ الْمُحَدِّثِيْنَ، فَيُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِ(٤).

---

(١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (١/ ٤٤٧-٤٤٨).

رحمه اللهُ تعالى ورضي عنه فقد نصح لله؛ فهل يعي ذلك أتباع الدجال وعلماء السوء!!!!!

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩)، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٩ بشار).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥١٠)، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٩ بشار).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٦)، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٤٩١ بشار).

وَمِنْهُمْ ابْنُ الحُطَيْئَةِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ اللَّخْمِيُّ، الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الطَّاهِرِ بنِ الْأَنْمَاطِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا شُجَاعًا المُدْلِجِيَّ - وَكَانَ مِنْ خيَارِ عِبَادِ اللهِ - يَقُوْلُ: كَانَ شَيْخُنَا ابْنُ الحُطَيْئَةِ شَدِيدًا فِي دِينِ اللهِ، فَظًّا غَلِيظًا عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ، لَقَدْ كَانَ يَحضُرُ مَجْلِسَهُ دَاعِي الدُّعَاةِ [قاضي العاضد الرَّافضي]، مَعَ عِظَمِ سُلْطَانِهِ، وَنُفوذِ أَمرِهِ، فَمَا يَحْتَشِمُهُ وَلاَ يُكْرِمُهُ، وَيَقُوْلُ: أَحْمَقُ النَّاسِ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا الرَّوَافض، خَالفُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَكفرُوا بِاللهِ. وَكُنْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا فِي مَسْجِدِهِ بِشَرَفِ مِصْرَ، وَقَدْ حَضَرَهُ بَعْضُ وُزرَاءِ المِصْرِيِّينَ، أَظنُّهُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَاسْتَسْقَى فِي مَجْلِسِهِ، فَأَتَاهُ بَعْضُ غِلمَانِهِ بِإِنَاءِ فِضَّةٍ، فَلَمَّا رَآهُ ابْنُ الحُطَيْئَةِ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فُؤَادِهِ، وَصرَخَ صرخَةً مَلأَتِ المَسْجَدَ، وَقَالَ: وَاحَرَّهَا عَلَى كَبِدِي!! أَتَشْرَبُ فِي مَجْلِسٍ يُقرَأُ فِيْهِ حَدِيْثُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ؟! لَا وَاللهِ لَا تَفْعَلْ. وَطَرَدَ الغُلَامَ، فَخَرَجَ وَطَلَبَ الشَّيْخُ كُوزًا، فَجِيْءَ بِكُوزٍ قَدْ تَثَلَّمَ [انْكَسَرَ مِنْ شَفَتِهِ شَيْءٌ] فَشَرِبَ وَاسْتَحْيَى مِنَ الشَّيْخِ، فَرَأَيْتُهُ -وَاللهِ- كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [سورة إبراهِيمُ: ١٧](١).

وَمِنْهُمْ سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ، وَبَائِعُ الْمُلُوكِ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللهُ:

أَذْكُرْ لَهُ مَوْقِفَيْنِ غَايَةً فِي الْعَجَبِ، تُبَيِّنُ شَجَاعَتَهُ الْعَجِيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ فِي الْأَرْضِ:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٤٦)، وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٦٦ بشار).

الْأُولَى: مَعَ سُلْطَانِ مِصْرَ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَنَجْمُ الدِّينِ قَالَ عَنْهُ صَاحِبُ «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ فِي مُلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَة» (٣٣٥/٦): كَانَ كَثِيرَ التَّخَيُّلِ وَالْغَضَبِ، وَالْمُؤَاخَذَةِ مَعَ الذَّنْبِ الصَّغِيرِ، وَالْمُعَاقَبَةِ عَلَى الوهْم، لَا يَقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً، وَلَا يَرْعَى سَالِفَ خِدْمَةٍ، السَّيِّئَةُ عِنْدَهُ لَا تُغْتَفَرُ، وَكَانَ جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا، شَدِيدَ السَّطْوَةِ، كَثِيرَ التَّجَبُّرِ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَنُدَمَائِهِ وَخَوَاصِّهِ، ثَقِيلَ الْوَطْأَةِ، حَتَّى إِنَّ خَوَاصَّهُ لَمْ يَكُونُوا يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الِاحْتِرَازِ مِنْهُ، ولمْ يَكُنْ فِي خُلُقِهُ الْمَيْلُ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا أَهْلِهِ، وَلَا أَوْلَاده، وَلَا الْمَحَبَّةُ لَهُمْ، وَلَا الْحُنُوُّ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ».

مَعَ كُلِّ هَذَا تَعَالَوْا نَتَدَبَّرُ مَوْقِفَ سُلْطَانِ الْعُلَمَاءِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] مَعَ هَذَا الْجَبَّارِ:

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تِلْمِيذُ الْعِزِّ: طَلَعَ شَيْخُنَا عِزُّ الدِّينِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] مَرَّةً إِلَى السُّلْطَانِ فِي يَوْمِ عِيدٍ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَشَاهَدَ الْعَسَاكِرَ مُصْطَفِّينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَجْلِسَ الْمَمْلَكَةِ، وَمَا السُّلْطَانُ فِيهِ يَوْمَ الْعِيدِ مِنَ الْأُبَّهَةِ، وَقَدْ خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، عَلَى عَادَةِ سَلَاطِينِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَخَذَتِ الْأُمَرَاءُ تُقَبِّلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ، فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَنَادَاهُ: يَا أَيُّوبُ!! مَا حُجَّتُكَ عِنْدَ اللهِ، إِذَا قَالَ لَكَ: يَا أَيُّوبُ، ألم أُبَوِّئْ لَكَ مُلْكَ مِصْرَ، ثُمَّ تُبِيحُ الْخُمُورَ؟! فَقَالَ: هَلْ جَرَى هَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ، الْحَانَةُ الْفُلَانِيَّةُ يُبَاعُ فِيهَا الْخُمُورُ وَغَيرُهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَأَنْتَ تَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَةِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ – يُنَادِيهِ بَأَعْلَى صَوْتِهِ، وَالْعَسَاكِرُ وَاقِفُونَ–، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي، هَذَا مَا أَنَا عَمِلْتُهُ، هَذَا مِنْ زَمَانِ أَبِي. فَقَالَ: أَنْتَ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ

ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٢](١). فَرَسَمَ السُّلْطَانُ بِإِبْطَالِ تِلْكَ الْحَانَةِ!!.

يَقُولُ الْبَاجِيُّ [رَحِمَهُ اللَّهُ]: فَسَأَلْتُ الشَّيْخَ لَمَّا جَاءَ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ، وَقَدْ شَاعَ هَذَا الْخَبَرُ، يَا سَيِّدِي كَيْفَ الْحَالُ؟!! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، رَأَيْتُهُ فِي تِلْكَ الْعَظَمَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُهِينَهُ!!، لِئَلَّا تَكْبُرَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَتُؤْذِيهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَمَا خِفْتَهُ؟! فَقَالَ: وَاللهِ يَا بُنَيَّ اسْتَحْضَرْتُ هَيْبَةَ اللهِ تَعَالَى؛ فَصَارَ السُّلْطَانُ قُدَّامِي كَالْقِطِّ!!!(٢).

أَمَّا الْحَادِثَةُ الثَّانِيَةُ فَمَا سَمِعَ التَّارِيخُ بِمِثْلِهَا؛ فَإِنَّهُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- «لَمَّا تَوَلَّى الْقَضَاءَ، تَصَدَّى لِبَيْعِ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَتْرَاكِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ!!! وَأَنَّ حُكْمَ الرِّقِّ مُسْتَصْحَبٌ عَلَيْهِمْ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ، فَعَظُمَ الْخَطْبُ عِنْدَهُمْ، وَأُضْرِمَ [اشْتَعَلَ والْتَهَبَ] الْأَمْرُ، وَالشَّيْخُ مُصَمِّمٌ لَا يُصَحِّحُ لَهُمْ بَيْعًا وَلَا شِرَاءً وَلَا نِكَاحًا، وَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ لِذَلِكَ وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ!!! فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا، فَاجْتَمَعُوا وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: نَعْقِدُ لَكُمْ مَجْلِسًا وَيُنَادَى عَلَيْكُمْ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ!! وَيَحْصُلُ عِتْقُكُمْ بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ!! فَرَفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى السُّلْطَانِ!!! فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْ!!!(٣)، فَجَرَتْ مِنَ السُّلْطَانِ كَلِمَةٌ فِيهَا

---

(١) هل سيقول أتباعُ الدَّجَّال مُرْجِئةُ عصرنَا عَنْهُ: إنَّه خارجيٌّ!! أم ماذا سيقولون؟!!!

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٨ / ٢١١-٢١٢).

(٣) فهو بِهذا مِن أكبر الْخَوارِج عِنْدَ أتباعِ الدَّجَّالِ مُرْجِئةِ عَصْرِنَا!!!! لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِم.

غِلْظَةٌ، حَاصِلُهَا الْإِنْكَارُ عَلَى الشَّيْخِ فِي دُخُولِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ!!، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ!!، فَغَضِبَ الشَّيْخُ وَحَمَلَ حَوَائِجَهُ عَلَى حِمَارٍ، وَأَرْكَبَ عَائِلَتَهُ عَلَى حِمَارٍ آخَرَ!!، وَمَشَى خَلْفَهُمْ خَارِجًا مِنَ الْقَاهِرَةِ قَاصِدًا نَحْوَ الشَّامِ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَى نَحْوِ نِصْفِ بَرِيدٍ إِلَّا وَقَدْ لَحِقَهُ غَالِبُ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ تَكَدِ امْرَأَةٌ وَلَا صَبِيٌّ وَلَا رَجُلٌ لَا يُؤْبَهُ إِلَيْهِ يَتَخَلَّفُ، لَاسِيَّمَا الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالتُّجَّارُ وَأَنْحَاؤهُمْ، فَبَلَغَ السُّلْطَانَ الْخَبَرُ، وَقِيلَ لَهُ: مَتَى رَاحَ ذَهَبَ مُلْكُكَ!!، فَرَكِبَ السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ، وَلَحِقَهُ، وَاسْتَرْضَاهُ، وَطَيَّبَ قَلْبَهُ، فَرَجَعَ، وَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُنَادَى عَلَى الْأُمَرَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بالْمُلَاطَفَةِ فَلَمْ يُفِدْ، فَانْزَعَجَ النَّائِبُ، وَقَالَ: كَيْفَ يُنَادِي عَلَيْنَا هَذَا الشَّيْخُ وَيَبِيعُنَا، وَنَحْنُ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟!! وَاللهِ، لَأَضْرِبَنَّه بِسَيْفِي هَذَا!!، فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ فِي جَمَاعَتِهِ، وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ الشَّيْخِ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ، فَطَرَقَ الْبَابَ، فخَرَجَ وَلَدُ الشَّيْخِ عَبْدُ اللَّطِيفِ؛ فَرَأَى مِنْ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ مَا رَأَى، وَشَرَحَ لَهُ الْحَالَ فَمَا اكْتَرَثَ لِذَلِكَ، وَقَالَ: يَا وَلَدِي، أَبُوكَ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ!!. ثُمَّ خَرَجَ كَأَنَّهُ قَضَاءُ اللهِ قَدْ نَزَلَ عَلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ ، فَحِينَ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى النَّائِبِ يَبُسَتْ يَدُ النَّائِبِ، وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْهَا، وَأُرْعِدَتْ مَفَاصِلُهُ، فَبَكَى وَسَأَلَ الشَّيْخَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، وقَالَ: يَا سَيِّدِي، خَبِّرْ أَيْش تَعْمَلُ؟! قَالَ: أُنَادِي عَلَيْكُمْ، وَأَبِيعُكُمْ!! قَالَ: فَفِيمَ تَصْرِفُ ثَمَنَنَا؟! قَالَ: فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: وَمَنْ يَقْبِضُهُ؟! قَالَ: أَنَا!! فَتَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ، وَنَادَى عَلَى الْأُمَرَاءِ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَغَالَى فِي ثَمَنِهِمْ، ولمْ يَبِعْهُمْ إِلَّا بِالثَّمَنِ الْوَافِي، وَقَبَضَهُ، وَصَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَهَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ عَنْ أَحَدٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ

عَنْهُ(١).

رَحِمَ اللهُ الْعِزَّ، وَأَيَّامًا عَاشَ فِيهَا الْعِزُّ !!!.

قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «قَدْ أَمَرَنَا اللهُ بِالْجِهَادِ فِي نُصْرَةِ دِينِهِ إِلَّا أَنَّ سِلَاحَ الْعَالِمِ عِلْمُهُ وَلِسَانُهُ، كَمَا أَنَّ سِلَاحَ الْمَلِكِ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ، فَكَمَا لَا يَجُوزُ لِلْمُلُوكِ إِغْمَادُ أَسْلِحَتِهِمْ عَنِ الْمُلْحِدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لَا يَجُوزُ لِلْعُلَمَاءِ إِغْمَادُ أَلْسِنَتِهِمْ عَنِ الزَّائِغِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ، فَمَنْ نَاضَلَ عَنِ اللهِ وَأَظْهَرَ دِينَ اللهِ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَحْرُسَهُ اللهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَيُعِزُّهُ بِعِزِّهِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَيَحُوطُهُ بِرُكْنِهِ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ»(٢).

«وَعَلَى الْجُمْلَةِ يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ إِذَا أُذِلَّ الْحَقُّ، وَأُخْمِلَ الصَّوَابُ، أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ فِي نَصْرِهِمَا، وَأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ بِالذُّلِّ وَالْخُمُولِ أَوْلَى مِنْهُمَا، وَإِنْ عَزَّ الْحَقُّ فَظَهَرَ الصَّوَابُ أَنْ يَسْتَظِلَّ بِظِلِّهِمَا، وَأَنْ يَكْتَفِيَ بِالْيَسِيرِ مِنْ رَشَاشِ غَيْرِهِمَا

(قَلِيلٌ مِنْكَ يَنْفَعُنِي وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ)

وَالْمُخَاطَرَةُ بِالنُّفُوسِ مَشْرُوعَةٌ فِي إِعْزَازِ الدِّينِ، وَلِذَلِكَ يَجُوزُ لِلْبَطَلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْغَمِرَ فِي صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَذَلِكَ الْمُخَاطَرَةُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَنُصْرَةُ قَوَاعِدِ الدِّينِ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ مَشْرُوعَةٌ، فَمَنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ سَقَطَ عَنْهُ الْوُجُوبِ وَبَقِي الِاسْتِحْبَابُ، وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ التَّغْرِيرَ بِالنُّفُوسِ لَا يَجُوزُ، فَقَدْ بَعُدَ عَنِ الْحَقِّ وَنَأَى عَنِ

---

(١) طبقات الشافعية (٨ / ٢١٦-٢١٧)، وحسن المحاضرة (٢/ ١٦٢).

(٢) طبقات الشافعية (٨ / ٢٢٦-٢٢٧).

الصَّوَابِ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَمَنْ آثَرَ اللَّهَ عَلَى نَفْسِهِ آثَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَا اللَّهِ بِمَا يُسْخِطُ النَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَا النَّاسِ بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ، وَفِي رِضَا اللَّهِ كِفَايَةٌ عَنْ رِضَا كُلِّ أَحَدٍ»(١).

وَأَخْتِمُ هَذَا الْفَصْلَ بِنُبْذَةٍ مِنْ شَجَاعَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ والْمُسْلِمِينَ، وَدُرَّةِ الْمُوَحِّدِينَ، وَبَقِيَّةِ السَّلَفِ الْعَامِلِينَ، أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الذَّهَبِيُّ- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ وَجِهَادُهُ وَإِقْدَامُهُ فَأَمْرٌ يَتَجَاوَزُ الْوَصْفَ، وَيَفُوقُ النَّعْتَ(٢).

وقَالَ - أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ فَبِهَا تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ؛ وَبِبَعْضِهَا يَتَشَبَّهُ أَكَابِرُ الْأَبْطَالِ. فَلَقَدْ أَقَامَهُ اللَّهُ فِي نَوْبَةِ غَازَان، وَالْتَقَى أَعْبَاءَ الْأَمْرِ بِنَفْسِهِ؛ وَقَامَ وَقَعَدَ وَطَلَعَ وَخَرَجَ، وَاجْتَمَعَ بالْمَلِكِ مَرَّتَينِ، وَبِقُطْلُوشَاه وَبِبُولَاي، وَكَانَ قَبْجَقُ يَتَعَجَّبُ مِنْ إِقْدَامِهِ وَجُرْأَتِهِ عَلَى الْمَغُول»(٣).

وَانْظُرْ إِلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا تَقَاعَسَ السُّلْطَانُ وَالْأُمَرَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَنْ نُصْرَةِ أَهْلِ الشَّامِ عِنْدَ غَزْوِ التَّتَارِ؛ قَالَ لَهُمْ رضي الله عنه: إِنْ كُنْتُمْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ

---

(١) طبقات الشافعية (٨ / ٢٢٨).

(٢) الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين ص (٨٥) لابن عبد الهادي.

(٣) الانتصار لابن عبد الهادي ص (١٧٨).

الشَّامِ وَحِمَايَتِهِ، أَقَمْنَا لَهُ سُلْطَانًا يَحُوطُهُ وَيَحْمِيهِ، وَيَسْتَغِلُّهُ فِي زَمَنِ الْأَمْنِ!!(١) وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى جُرِّدَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى الشَّامِ. ثُمَّ قَالَ: لَوْ قُدِّرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ حُكَّامَ الشَّامِ وَلَا مُلُوكَهُ وَاسْتَنْصَرَكُمْ أَهْلُهُ وَجَبَ عَلَيْكُمُ النَّصْرُ، فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حُكَّامُهُ وَسَلَاطِينُهُ، وَهُمْ رَعَايَاكُمْ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ. وَقَوَّى جَأْشَهُمْ، وَضَمِنَ لَهُمُ النَّصْرَ هَذِهِ الْكَرَّةَ، فَخَرَجُوا إِلَى الشَّامِ(٢)

أما قَازَانُ أَوْ غَازَانُ مَلِكُ التَّتَارِ؛ فَقَدْ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لِقَازَانِ: أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ وَمَعَكَ مُؤَذِّنُونَ، وَقَاضٍ، وَإِمَامٌ، وَشَيْخٌ، عَلَى مَا بَلَغَنَا، فَغَزَوْتَنَا، وَدَخَلْتَ بِلَادَنَا عَلَى مَاذَا؟! وَأَبُوكَ وَجَدُّكَ هُولَاكُو كَانَا كَافِرَيْنِ، وَمَا غَزَوَا بِلَادَ الْإِسْلَامِ، بَلْ عَاهَدَا فَوَفَّيَا، وَأَنْتَ عَاهَدْتَ فَغَدَرْتَ، وَقُلْتَ فَمَا وَفَّيْتَ. قَالَ: وَجَرَتْ لَهُ مَعَ قَازَانَ، وَقُطْلُوشَاهْ، وَبُولَايْ، أُمُورٌ وَنُوَبٌ، قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِيهَا كُلِّهَا لِلَّهِ وَقَالَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَقُرِّبَ إِلَى الْجَمَاعَةِ(٣) طَعَامٌ فَأَكَلُوا مِنْهُ إِلَّا ابْنَ تَيْمِيَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَأْكُلُ؟! فَقَالَ: كَيْفَ آكُلُ مِنْ طَعَامِكُمْ وَكُلُّهُ مِمَّا نَهَبْتُمْ مِنْ أَغْنَامِ النَّاسِ، وَطَبَخْتُمُوهُ بِمَا قَطَعْتُمْ مِنْ أَشْجَارِ النَّاسِ؟ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ قَازَانَ طَلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ؛ فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا مَحْمُودٌ إِنَّمَا يُقَاتِلُ لِتَكُونَ كَلِمَتُكَ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لَكَ فَانْصُرْهُ، وَأَيِّدْهُ، وَمَلِّكْهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً وَطَلَبًا لِلدُّنْيَا، وَلِتَكُونَ كَلِمَتُهُ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِيُذِلَّ

---

(١) هل سيقول أتباعُ الدَّجَّال مُرْجِئةُ عَصرنَا عَنْهُ: إِنَّه خارجيٌّ!! أم ماذا سيقولون؟!!!

(٢) البداية والنهاية (١٧/ ٧٣٨ ط. هجر).

(٣) أي وجهاء وكبار أهل دمشق الذين خرجوا لِلاجتماع بقازان.

الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَاخْذُلْهُ، وَزَلْزِلْهُ، وَدَمِّرْهُ، وَاقْطَعْ دَابِرَهُ!!. قَالَ: وَقَازَانُ يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْبَالِسِيُّ: فَجَعَلْنَا نَجْمَعُ ثِيَابَنَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تَتَلَوَّثَ بِدَمِهِ إِذَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ صَصْرَى وَغَيْرُهُ: كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنَا، وَتُهْلِكَ نَفْسَكَ، وَاللهِ لَا نَصْحَبُكَ مِنْ هُنَا. فَقَالَ: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا عُصْبَةً، وَتَأَخَّرَ هُوَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَسَامَعَتْ بِهِ الْخَوَاقِينُ وَالْأُمَرَاءُ مِنْ أَصْحَابِ قَازَانَ، فَأَتَوْهُ يَتَبَرَّكُونَ بِدُعَائِهِ، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى دِمَشْقَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَاللهِ مَا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَّا فِي نَحْوِ ثَلَاثِ مِئَةِ فَارِسٍ فِي رِكَابِهِ، وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَصْحَبُوهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّتَرِ فَشَلَحُوهُمْ(١)عَنْ آخِرِهِمْ(٢).

وَمِنْ آخِرِهِمْ وَلَيْسَ بِآخِرِهِمْ **فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ شَاكِرِ وَكِيلِ الأَزْهَرِ فِي وَقْتِهِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –** :

قَالَ شَيْخُ شُيُوخِنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو الأَشْبَالِ أَحْمَدُ شَاكِر رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «كَلِمَة الْحَقِّ» ص (١٧٣-١٧٧): كَانَ الشَّيْخُ طَهَ حُسَيْنٍ طَالِبًا بِالْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، حِينَ كَانَتْ مُتَشَرِّفَةً بِرِيَاسَةِ سُمُوِّ الْأَمِيرِ فُؤَادٍ (حَضْرَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْمَلِكِ فُؤَادٍ رَحِمَهُ اللهُ)، وَتَقَرَّرَ إِرْسَالُهُ فِي بَعْثَةٍ إِلَى أُورُبَّةَ، فَأَرَادَ

---

(١) شُلِّحَ فلانٌ: إذا خَرَجَ عَلَيْهِ قُطَّاع الطَّرِيقِ فَسَلَبُوهُ ثِيَابَهُ وعَرَّوْهُ.

[لسان العرب مادة: ش ل ح].

(٢) البداية والنهاية (١٨/ ١٨٢-١٨٣ ط. هجر).

حَضْرَةُ صَاحِبِ الْعَظَمَةِ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يُكْرِمَهُ بِعَطْفِهِ وَرِعَايَتِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي قَصْرِهِ اسْتِقْبَالًا كَرِيمًا، وَحَبَاهُ هَدِيَّةً قَيِّمَةَ الْمَغْزَى وَالْمَعْنَى.

وَكَانَ مِنْ خُطَبَاءِ الْمَسَاجِدِ التَّابِعِينَ لِوِزَارَةِ الْأَوْقَافِ، خَطِيبٌ فَصِيحٌ مُتَكَلِّمٌ مُقْتَدِرٌ، وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيّ خَطِيبُ «مَسْجِدِ عَزَبَانِ»، وَكَانَ السُّلْطَانُ حُسَيْنٌ رَحِمَهُ اللهُ مُوَاظِبًا عَلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فِي حَفْلٍ فَخْمٍ جَلِيلٍ، يَحْضُرُهُ الْعُلَمَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْكُبَرَاءُ.

فَصَلَّى الْجُمُعَةَ يَوْمًا مَا، «بِمَسْجِدِ الْمَبْدُولِي» الْقَرِيبِ مِنْ قَصْرِ عَابِدِينَ الْعَامِرِ، وَنَدَبَتْ وِزَارَةُ الْأَوْقَافِ ذَاكَ الْخَطِيبَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَرَادَ الْخَطِيبُ أَنْ يَمْدَحَ عَظَمَةَ السُّلْطَانِ، وَأَنْ يُنَوِّهَ بِمَا أَكْرَمَ الشَّيْخَ طَهَ حُسَيْنٍ، وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَكِنْ خَانَتْهُ فَصَاحَتُهُ، وَغَلَبَهُ حُبُّ التَّغَالِي فِي الْمَدْحِ، فَزَلَّ زَلَّةً لَمْ تَقُمْ لَهُ قَائِمَةٌ مِنْ بَعْدِهَا، إِذْ قَالَ أَثْنَاءَ خُطْبَتِهِ: جَاءَهُ الْأَعْمَى، فَمَا عَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَمَا تَوَلَّى!!!

وَكَانَ مِنْ شُهُودِ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَالِدِي الشَّيْخُ مُحَمَّدُ شَاكِر وَكِيلِ الْأَزْهَرِ سَابِقًا رَحِمَهُ اللهُ، فَقَامَ بَعْدَ الصَّلَاةِ يُعْلِنُ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ أَنَّ صَلَاتَهُمْ بَاطِلَةٌ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُعِيدُوا صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَأَعَادُوهَا؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَطِيبَ كَفَرَ(١) بِمَا شَتَمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَعْرِيضًا لَا تَصْرِيحًا، لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ عَتَبَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ حِينَ جَاءَهُ ابنُ أَمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، وَهُوَ يُحَدِّثُ بَعْضَ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَعْرَضَ عَنِ الْأَعْمَى قَلِيلًا حَتَّى

---

(١) هل سيقول أتباعُ الدَّجَّال مُرْجِئةُ عَصرنَا عَنْهُ: إنَّه خارجيٌّ!! أم تكفيريٌّ !! أم ماذا سيقولون؟!!! شِرْذِمَةٌ قَذِرة!! تدَّعي الدِّين والسَّلفيَّةَ كذِبًا وزُورًا!!!

يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عِتَابَ رَسُولِهِ [ﷺ] فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْخَطِيبُ الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ، يُرِيدُ أَنْ يَتَمَلَّقَ عَظَمَةَ السُّلْطَانِ رَحِمَهُ اللهُ، وَهُوَ عَنْ تَمَلُّقِهِ غَنِيٌّ وَالْحَمْدُ لِلهِ، فَمَدَحَهُ بِمَا يُوهِمُ السَّامِعُ أَنَّهُ يُرِيدُ إِظْهَارَ مَنْقَبَةٍ لِعَظَمَتِهِ، بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا عَاتَبَ اللهُ [سُبْحَانَهُ] عَلَيْهِ رَسُولَهُ [ﷺ]، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ حِكَايَةِ هَذَا. فَكَانَ صُنْعُ الْخَطِيبِ الْمِسْكِينِ تَعْرِيضًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَرْضَى بِهِ مُسْلِمٌ، وَفِي مُقَدِّمَةِ مَنْ يُنْكِرُهُ السُّلْطَانُ نَفْسُهُ.

ثُمَّ ذَهَبَ الْوَالِدُ رَحِمَهُ اللهُ فَوْرًا إِلَى قَصْرِ عَابِدِينَ الْعَامِرِ، وَقَابَلَ مَحْمُودَ شُكْرِي بَاشَا رَحِمَهُ اللهُ، وَهُوَ لَهُ صَدِيقٌ حَمِيمٌ، وَكَانَ رَئِيسَ الدِّيوَانِ إِذْ ذَاكَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَ الْأَمْرَ إِلَى عَظَمَةِ السُّلْطَانِ، وَأَنْ يُبَلِّغَهُ حُكْمَ الشَّرْعِ فِي هَذَا بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي بَطَلَتْ بِكُفْرِ الْخَطِيبِ!!!.

وَلَمْ يَتَرَدَّدْ شُكْرِي بَاشَا فِي قَبُولِ مَا حُمِّلَ مِنَ الْأَمَانَةِ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَظَمَةَ السُّلْطَانِ لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِ حُكْمِ الشَّرْعِ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ.

وَكَادَ الْأَمْرُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ هَذَا الحدِّ؛ لِأَنَّ قَوَانِينَكُمْ هَذِهِ الَّتِي تَدِينُونَ بِهَا لَا تَحْمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ سَفَهِ السُّفَهَاءِ، وَلَا مِنْ حُمْقِ الْحَمْقَى وَالْأَدْعِيَاءِ.

ثُمَّ دَخَلَ فِيهِ دُخَلَاءُ السُّوءِ، مِمَّنْ يَحْرِصُونَ أَشَدَّ الْحِرْصِ ـ فِيمَا زَعَمُوا ـ عَلَى حُقُوقِ الْأَفْرَادِ، وَيَغْلُونَ أَشَدَّ الْغُلُوِّ فِي هَضْمِ الْعُلَمَاءِ وَهَدْمِهِمْ، حَتَّى يُشْغِلُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَصْرِ دِينِهِمْ وَالذَّبِّ عَنْ حَوْضِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْخَطِيبُ مُتَّصِلًا بِبَعْضِ الْمُسْتَشَارِينَ الْكِبَارِ، اتِّصَالَ التَّابِعِ بِالْمَتْبُوعِ،

يُؤَدِّي لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْخِدْمَاتِ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَرْفَعَ دَعْوَى جُنْحَةٍ مُبَاشِرَةٍ عَلَى أَبِي؛ لِأَنَّهُ سَبَّهُ سَبًّا عَلَنِيًّا فِي الْمَسْجِدِ وَفِي دِيوَانِ السُّلْطَانِ. وَأَشْفَقَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَنَالَ أَبِي مِنْ ذَلِكَ سُوءٌ، وَثَارَ الْبَلَدُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَوَقَفَ رِجَالٌ كِرَامٌ مِنْ رِجَالِ الْقَضَاءِ الْأَهْلِيِّ فِي ذَلِكَ مَوَاقِفَ مُشَرِّفَةً، بَيْنَ مُسْلِمٍ وَقِبْطِيٍّ، كَانُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي الذَّبِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنْكَارِ أَيِّ مَسَاسٍ وَلَوْ مِنْ بَعِيدٍ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ.

وَلَمْ يَعْبَأْ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ بِقَضِيَّةِ الْخَطِيبِ، وَلَا بِمَنْ وَرَاءَهُ مِنَ الْكِبَارِ، بَلْ وَكَّلَ عَنْهُ صَدِيقَهُ الْأُسْتَاذُ الْكَبِيرُ مُحَمَّدُ بِكَ أَبُو شَادِي، وَكَانَ مَوْقِفُ أَبِي فِي الْقَضِيَّةِ أَنَّه لَنْ يَحْتَكِمَ فِي حُكْمِ الشَّرْعِ فِي جَرِيمَةِ هَذَا الْمُجْرِمِ إِلَى عُلَمَاءُ الْأَزْهَرِ؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْمَسَاسِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَو تَعْرِيضًا مَعْرُوفٌ لِلدَّهْمَاءِ لَا يُنْكِرُهُ [إِلَّا] جَاهِلٌ أَوْ مُتَعَنِّتٌ أَوْ غَبِيٌّ، وَإِنَّمَا نُقْطَةُ الْبَحْثِ الصَّحِيحَةِ فِيهَا عَرَبِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ صِرْفَةٌ: آلَّذِي صَدَرَ مِنَ الرَّجُلِ الْجَانِي الْمُدَّعِي أَنَّهُ مَجْنِيٌّ عَلَيْهِ تَعْرِيضٌ بِالْمَقَامِ الْكَرِيمِ مَقَامِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ [ﷺ]، بِدِلَالَةِ اللُّغَةِ وَالِاسْتِعْمَالِ أَمْ لَيْسَ بِتَعْرِيضٍ؟ وَلَا يَحْتَاجُ الْفَصْلُ فِي هَذَا إِلَى عُلَمَاءُ الْأَزْهَرِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ مَا هُمْ بُرَءَاءُ مِنْهُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، بَلْ هِيَ نُقْطَةٌ عَرَبِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ، يَكْفِي فِيهَا رَأْيِ بَعْضِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْإِفْرِنْجِ، مِمَّنْ لا يُظَنُّ بِهِمْ الْعَصَبِيَّةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، بَلْ هُمْ مَظِنَّةُ الضِّدِّ مِنْ ذَلِكَ!!

فَكَانَ تَصْمِيمُ الوَالِدِ رَحِمَهُ اللهُ وَعَزْمُهُ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا وَصَلَتِ الْقَضِيَّةُ إِلَى الْمَحْكَمَةِ؛ وَعُرِضَتْ، أَنْ يَطْلُبَ نَدْبَ خُبَرَاءَ مُسْتَشْرِقِينَ؛ لِيُحَدِّدُوا بِخِبْرَتِهِمْ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ دَلَالَةَ كَلَامِ الْخَطِيبِ مِنَ الْوِجْهَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَهُوَ تَعْرِيضٌ أَمْ لَا؟!!! ثُمَّ يَكُونُ الْفَصْلُ الْقَضَائِيُّ طِبْقًا لِمَا يُقَرِّرُهُ الْخُبَرَاءُ.

ثُمَّ دَخَلَتِ الْحُكُومَةُ فِي الْأَمْرِ، خَشْيَةَ مَا يَكُونُ مِنْ وَرَاء هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَخْطَارٍ، وطُوِيَ بِسَاطُهَا قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَهَا الْقَضَاءُ.

وَلَكِنَّ اللهَ لَمْ يَدَعْ لِهَذَا الْمُجْرِمِ جُرْمَهُ فِي الدُّنْيَا، قَبْلَ أَنْ يَجْزِيَهُ جَزَاءَهُ فِي الْأُخْرَى، فَأُقْسِمُ بِاللهِ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِي، بَعْدَ بِضْعِ سِنِينَ، وبَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَعَالِيًا مُنْتَفِخًا، مُسْتَعِزًّا بِمَنْ لَاذَ بِهِمْ مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، رَأَيْتُهُ مَهِينًا ذَلِيلًا، خَادِمًا عَلَى باب مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ الْقَاهِرَةِ، يَتَلَقَّى نِعَالَ الْمُصَلِّينَ يَحْفَظُهَا، فِي ذِلَّةٍ وَصَغَارٍ، حَتَّى لَقَدْ خَجِلْتُ أَنْ يَرَانِي، وَأَنَا أَعْرِفُهُ وَهُوَ يَعْرِفُنِي، لَا شَفَقَةً عَلَيْهِ، فَمَا كَانَ مَوْضِعًا لِلشَّفَقَةِ، وَلَا شَمَاتَةَ فِيهِ، فَالرَّجُلُ النَّبِيلُ يَسْمُو عَلَى الشَّمَاتَة(١)، وَلَكِنْ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ عِبْرَةٍ

وَغَيْرُهُمْ وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ؛ فَرَضِي اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَنَا عَلَى دَرْبِهِمْ سَائِرِينَ.

---

(١) هلّا تخلق بأخلاق علمائنا وسلفنا هذه الشرذمة القذرة الأدعياء؛ فقد استولت عليهم الشماتة برجل من أهل العلم عندما مرض وفقد بعض أعضائه، بسبب خلاف منهجي في بعض المسائل!!! فإلى الله وحده المشتكى!!!

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: السَّخَاءُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ، وَالْجَاهِ، وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ غَمًّا وَهَمًّا(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: «**ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ [وفي رواية: جُنَّتَانِ] مِنْ حَدِيدٍ، قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ، حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا**».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ «**فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَوَسَّعُ**»!!(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٦ /١٥٩):

فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْجَوَادِ الْمُنْفِقِ، وَالْبَخِيلِ الْمُمْسِكِ، فَجَعَلَ مَثَلَ الْجَوَادِ مَثَلَ رَجُلٍ لَبِسَ دِرْعًا سَابِغَةً، إِلَّا أَنَّهُ أَوَّل مَا يَلْبَسُهَا تَقَعُ عَلَى الصَّدْرِ وَالثَّدْيَيْنِ إِلَى أَنْ يُسْلِكَ يَدَيْهِ فِي كُمَّيْهَا، وَيُرْسِلَ ذَيْلَهَا عَلَى أَسْفَلِ يَدَيْهِ ، فَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى سَتَرَتْ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَحَصَّنَتْهُ. وَجَعَلَ مَثَلَ الْبَخِيلِ

---

(١) زاد المعاد (٢ / ٢٥–٢٦ ط. الرسالة)، و(٢ / ٣٠ ط. المجمع).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٣، ٢٩١٧، ٥٢٩٩، ٥٧٩٧)، ومسلم (١٠٢١)، والنسائي (٢٥٤٧، ٢٥٤٨)، وأحمد (٧٣٣٥، ٧٤٨٣، ٩٠٥٧، ١٠٧٧٠) وغيرهم.

مَثَلَ رَجُلٍ كَانَتْ يَدَاهُ مَغْلُولَتَيْنِ إِلَى عُنُقِهِ، ثَابِتَتَيْنِ دُونَ صَدْرِهِ؛ فَإِذَا لَبِسَ الدِّرْعَ؛ حَالَتْ يَدَاهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَنْ تَمُرَّ عَلَى الْبَدَنِ؛ فَاجْتَمَعَتْ فِي عُنُقِهِ، وَلَزِمَتْ تَرْقُوَتَهُ، فَكَانَتْ ثِقَلًا وَوَبَالًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْصِينٍ لِبَدَنِهِ. وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى أَنَّ الْجَوَادَ إِذَا هَمَّ بِالنَّفَقَةِ؛ اتَّسَعَ لِذَلِكَ صَدْرُهُ، وَطَاوَعَتْهُ يَدَاهُ، فَامْتَدَّ بِالْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ؛ وَالْبَخِيلُ يَضِيقُ صَدْرُهُ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي الْمَعْرُوفِ». أهـ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «**الْوَابِلِ الصَّيِّبِ**» ص (٧٤-٧٧ ط. المجمع):

وَلَمَّا كَانَ الْبَخِيلُ مَحْبُوسًا عَنِ الْإِحْسَانِ، مَمْنُوعًا عَنِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، كَانَ جَزَاؤُهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، فَهُوَ ضَيِّقُ الصَّدْرِ، مَمْنُوعٌ مِنَ الِانْشِرَاحِ، ضَيِّقُ الْعَطَنِ، صَغِيرُ النَّفْسِ، قَلِيلُ الْفَرَحِ، كَثِيرُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ، لَا يَكَادُ تُقْضَى لَهُ حَاجَةٌ، وَلَا يُعَانُ عَلَى مَطْلُوبٍ. فَهُوَ كَرَجُلٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَيْثُ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِخْرَاجِهَا وَلَا حَرَكَتِهَا، وَكُلَّمَا أَرَادَ إِخْرَاجَهَا، أَوْ تَوْسِيعَ تِلْكَ الْجُبَّةَ لَزِمَتْ كُلَّ حَلْقَةٍ مِنْ حِلَقِهَا مَوْضِعَهَا؛ وَهَكَذَا الْبَخِيلُ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ مَنَعَهُ الْبُخْلُ، فَيَبْقَى قَلْبُهِ فِي سِجْنِهِ كَمَا هُوَ. وَالْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْشَرَحَ لَهَا قَلْبُهُ، وَانْفَسَحَ بِهَا صَدْرُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اتِّسَاعِ تِلْكَ الْجُبَّةِ عَلَيْهِ، فَكُلَّمَا تَصَدَّقَ اتَّسَعَ وَانْفَسَحَ وَانْشَرَحَ، وَقَوِيَ فَرَحُهُ، وَعَظُمَ سُرُورُهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الْفَائِدَةُ وَحْدُهَا لَكَانَ الْعَبْدُ حَقِيقًا بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩ ﴾ [سورة الحشر: ٩].

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ: أَنَّ الشُّحَّ هُوَ شِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْإِحْفَاءُ فِي طَلَبِهِ، وَالِاسْتِقْصَاءُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَجَشَعُ النَّفْسِ عَلَيْهِ. وَالْبُخْلُ مَنْعُ إِنْفَاقِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَحُبُّهُ وَإِمْسَاكُهُ، فَهُوَ شَحِيحٌ قَبْلَ حُصُولِهِ، بَخِيلٌ بَعْدَ حُصُولِهِ، فَالْبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ، وَالشُّحُّ يَدْعُو إِلَى الْبُخْلِ، وَالشُّحُّ كَامِنٌ فِي النَّفْسِ؛ فَمَنْ بَخِلَ فَقَدْ أَطَاعَ شُحَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَبْخَلْ فَقَدْ عَصَى شُحَّهُ، وَوُقِيَ شَرَّهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُفْلِحُ ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة التغابن: ١٦].

وَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ أَهْلِهِ، وَقَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَعِيدٌ مِنَ النَّارِ. والبخيل بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، بعيد مِنْ خَلْقِهِ، بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، فَجُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلَى أَضْدَادِهِ، وَبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ.

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا ... يُزَيِّنُ وَيَزْرِي بِالْفَتَى قُرنَاؤُهُ
وَأَقْلِلْ إِذَا مَا اسْتَطَعْتَ قَوْلًا فَإِنَّهُ ... إِذَا قَلَّ قَوْلُ الْمَرْءِ قَلَّ خَطَأُهُ
وَإِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ... وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يدري وإن كان حازمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إذا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ ... فَنَادِ بِهِ فِي النَّاسِ هَذَا جَزَاؤُهُ

وَحَدُّ السَّخَاءِ بَذْلُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَنْ يُوصَّلَ ذَلِكَ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ. وإذا كَانَ السَّخَاءُ مَحْمُودًا، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى حَدِّهِ سُمِّي

كَرِيمًا، وَكَانَ لِلْحَمْدِ مُسْتَوْجِبًا، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْه كَانَ بَخِيلًا، وَكَانَ لِلذَّمِّ مُسْتَوْجِبًا.

وَالسَّخَاءُ نَوْعَانِ: فَأَشْرَفُهُمَا سَخَاؤُكَ عَمَّا بِيَدِ غَيْرِكَ.

وَالثَّانِي: سَخَاؤُكَ بِبَذْلِ مَا فِي يَدِكَ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَهُوَ لَا يُعْطِيهِمْ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سَخَا عمَّا فِي أَيْدِيهِمْ. وَهَذَا معَنْى قَوْلِ بَعْضِهِمْ: السَّخَاءُ أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مُتَبَرِّعًا، وَعَنْ مَالِ غَيْرِكَ مُتَورِّعًا. انتهى.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، والنسائي (٥٣٨٠)، والترمذي (٢٣٩١)، وأحمد (٩٦٦٥) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤)، ومسلم (٢٣٠٨)، وأحمد (٢٠٤٢، ٢٦١٦، ٣٤٢٥، ٣٤٦٩، ٣٥٣٩) وغيرهم.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ**، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ».

قَالَ أنس رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، (أي الْمُهْر) حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠٨)، وأحمد (٣٦٥١، ٤١٠٩) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٠، ٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤)، والنسائي (٢٥٢٥)، =

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**»(٢).

«أَشْرَفُ مَلَابِسِ الدُّنْيَا، وَأَزْيَنُ حُلَلِهَا، وَأَجْلَبُهَا لِحَمْدٍ، وَأَدْفَعُهَا لِذَمٍّ، وَأَسْتَرُهَا لِعَيْبٍ، كَرَمُ طَبِيعَةٍ يَتَحَلَّى بِهَا السَّمْحُ السَّرِيُّ، وَالْجَوَادُ السَّخِيُّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَرَمِ إِلَّا أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى تَسَمَّى بِهَا، فَهُوَ الْكَرِيمُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ كَانَ كَرِيمًا مِنْ خَلْقِهِ؛ فَقَدْ تُسَمَّى بِاسْمِهِ، وَاحْتَذَى عَلَى صِفَتِهِ»(٣).

=

والترمذي (٦٦١)، وابن ماجه (١٨٤٢)، وأحمد (٨٩٦١، ٩٢٤٥، ٩٤٢٣، ٩٤٣٣، ١٠٩٤٥) وغيرهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) وقد توسعت في تخريجه في كتابي « اتق دعوة المظلوم » ص (٣٥).

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٦٤٨٧، ٦٧٩٢، ٦٨٣٧)، وغيره، وقد توسعت في تخريجه في كتابنا «اتق دعوة المظلوم » ص(٣٦).

(٣) العقد الفريد (١/ ٢٢٥ لجنة التأليف)، و(١/ ١٨٨ دار الكتب العلمية).

فَإِذَا كَانَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ قَدْ أَدْخَلَ بَغِيًّا مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهَا سَقَتْ كَلْبًا عَلَى ظَمَأٍ(١)، فَكَيْفَ بِمَنْ جَادَ بِمَالِهِ، فَكَشَفَ الْكُرُبَاتِ، وَرَفَعَ الضَّائِقَةَ، وَأَطْعَمَ وَأَسْقَى؟!!.

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

وَإِنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُكَ فِي الْبَرَايَا ... وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغَطِّيهِ – كَمَا قِيلَ– السَّخَاءُ

وَقَوْل الْآخَرِ:

الناسُ بالناسِ مَادَامَ الحَيَاةُ بِهِمْ ... وَالسّعْدُ لاشَك تَارَاتٌ وَهِبَاتُ
وَأَفْضَلُ الناسِ مَا بَيْنَ الوَرَى رَجُلٌ ... تُقضَى عَلَى يَدِهِ للناسِ حَاجَاتُ
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ ... مَا دُمْت مُقْتدرًا فَالسعْدُ تَارَاتُ
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللهِ إِذْ جُعِلتْ ... إِلَيْكَ، لَا لَكَ عِنْدِ الناسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُم ... وَعَاشَ قَومٌ وَهُم فِي الناسِ أَمْوَاتُ

وَصَدَقَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ إذ يَقُولُ: «**شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ**»(٢).

وَانْظُرْ إِلَى كَرَمِ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لَمَّا دَخَلَ

---

(١) البخاري (٣٣٢١)، ومسلم (٢٢٤٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (**صحيح**) أخرجه أحمد (٨٠١٠، ٨٢٦٣)، وأبو داود (٢٥١١)، وابن حبان (٣٢٥٠)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، مَاذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ!! ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (أي مشوي) [سورة هود: ٦٩].

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٦].

وَتَفَكَّرْ مَعِي فِي انْشِرَاحِ صَدْرِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ - مَعَ كُفْرِهِ - بِالسَّخَاءِ وَالْكَرَمِ، حَيْثُ يَقُولُ لِخَادِمِهِ:

أَوْقِدْ فإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلُ قَر(١)   إذَا أَتَى ضَيْفٌ فَأَنْتَ حُر

وَيَقُولُ لِامْرَأَتِهِ:

إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ   أَكُولًا فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وَيَقُولُ:

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَـــالَ غَـــادٍ وَرَائِحُ   وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْــرُ

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى   إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

ومِنْ هَؤُلَاءِ الْأَكَارِمِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ رضي الله عنه:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **أَنْ نَتَصَدَّقَ،** فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ [رضي الله عنه] إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ**

(١) القرّ: شدة البرودة.

لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، **فَقَالَ**: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»(١).

وَتَفَكَّرْ وَتَدَبَّرْ مَعِي قَوْلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ: «فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ [رضي الله عنه] وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ [رضي الله عنها] مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ** ﴾ [سورة النور: ٢٢].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]: بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»(٢).

وَمِنْهُمْ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رحمه الله: قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ [رضي الله عنه]، أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: **مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً**» وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ

---

(١) (**صحيح**) أخرجه الترمذي (٣٦٧٥) وصححه. وغيره.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) وغيرهما.

مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الجَيْشَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَا بِثَمَنٍ فَابْتَعْتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ، نَعَمْ، وَأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا»(١).

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ دِيْنَارٍ رحمه الله، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ [رضي الله عنهما] إِلَى مَكَّةَ، فعرَّسْنَا(٢)،فَانحدَرَ عَلَيْنَا رَاعٍ مِنْ جبلٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما]: أَرَاعٍ؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِعْنِي شَاةً مِنَ الغَنَمِ. قَالَ: إِنِّيْ مَمْلُوْكٌ. قَالَ: قُلْ لِسَيِّدِكَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ. قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟!! قَالَ ابْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما]: فَأَيْنَ اللهُ!! ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ اشْتَرَاهُ بَعْدُ، فَأَعتَقَهُ!!! وَاشْتَرَى لَهُ الغَنَمَ»(٣).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ – رَحِمَهُمْ اللهُ تَعَالَى-: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ [رضي الله عنهما] كَاتَبَ(٤) غُلَامًا لَهُ بِأَرْبَعِيْنَ أَلْفًا، فَخَرَجَ إِلَى الكُوْفَةِ، فَكَانَ يَعملُ عَلَى حُمُرٍ لَهُ، حَتَّى أَدَّى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَجَاءهُ إِنْسَانٌ، فَقَالَ: أَمَجْنُوْنٌ أَنْتَ؟ أَنْت هَا هُنَا تُعذِّبُ نَفْسَكَ، وَابْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما] يَشْتَرِي الرَّقِيق يَمِيْنًا وَشِمَالًا، ثُمَّ يُعْتِقُهُم؛ ارجعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ: عَجِزْتُ. فَجَاءَ إِلَيْهِ بِصَحيفَةٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! قَدْ عَجِزْتُ، وَهَذِهِ صَحيفَتِي، فَامْحُهَا. فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨ مذاكرة)، والنسائي (٣٦٠٦-٣٦١٠)، والترمذي (٣٦٩٩) وصححه. وغيرهم.

(٢) التعريس: نزول المسافرين آخر الليل للراحة.

(٣) الطبراني في الكبير (١٣٠٥٤)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٦).

(٤) المكاتبة: أن يكتب السيد بينه وبين عبده اتفاقًا على مال يقسطه فإذا دفعه صار حرًّا

امْحُهَا أَنْتَ إِنْ شِئْتَ. فَمحَاهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ، وَقَالَ: اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ. قَالَ: أَصلَحَكَ اللهُ، أَحْسِنْ إِلَى ابْنَيَّ. قَالَ: هُمَا حُرَّانِ. قَالَ: أَصلَحَكَ اللهُ ، أَحْسِنْ إِلَى أُمَّيْ وَلَدَيَّ. قَالَ: هُمَا حُرَّتَانِ»(١).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَعْطَى عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ ابنَ عُمَرَ [رضي الله عنهم] بِنَافِعٍ عَشْرَةَ آلَافٍ، فَدَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ امْرَأَتِهِ، فَحدَّثَهَا، قَالَتْ: فَمَا تَنْتَظِرُ؟! قَالَ: فَهَلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ حُرٌّ لوجِهِ اللهِ!!. فَكَانَ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ كَانَ يَنْوِي قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٢].

وَعَنْ نَافِعٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ: مَا مَاتَ ابْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما] حَتَّى أَعتقَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، أَوْ زَادَ(٢).

وَمِنْهُمْ الصِّدِّيْقَةِ الْكُبْرَى، بِنْتُ الصِّدِّيْقِ الْأَكْبَرِ، حَبِيبَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَ زَوجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرَةِ ، أُمُّنَا أمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها وَأَرْضَاهَا

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ– رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٩٨/٢):

كَانَتْ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَكْرَمِ أَهْلِ زَمَانِهَا؛ وَلَهَا فِي السَّخَاءِ أَخْبَارٌ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ رَحِمَهَا اللهُ، قَالَتْ: بَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ [رضي الله عنهما] إِلَى عَائِشَةَ [رضي الله عنها] بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، يَكُوْنُ مِئَةَ أَلْفٍ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ. فَلَمَّا أَمْسَتْ، قَالَتْ: هَاتِي يَا

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٧).

(٢) الحلية (١/ ٢٩٦)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٨) وقال الذهبي: إسناده صحيح.

جَارِيَةُ فُطُوْرِي. فَقَالَتْ أُمُّ ذَرَّةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ، أَمَا اسْتَطَعْتِ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ؟! قَالَتْ: لَا تُعَنِّفِيْنِي، لَوْ أَذْكَرْتِيْنِي لَفَعَلْتُ»(١).

وَمِنْهُمْ أُمُّنَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]. وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ»(٣).

عَنْ بَرْزَةَ بِنْتِ رَافِعٍ رَحِمَهَا اللهُ، قَالَتْ: أَرْسَلَ عُمَرُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] بِعَطَائِهَا، فَقَالَتْ: غَفَرَ اللهُ لِعُمَرَ، غَيْرِي كَانَ أَقْوَى عَلَى قَسْمِ هَذَا. قَالُوا: كُلُّهُ لَكِ!! قَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ!! وَاسْتَتَرَتْ مِنْهُ بِثَوْبٍ، وَقَالَتْ: صُبُّوْهُ، وَاطْرَحُوا عَلَيْهِ ثَوْبًا. وَأَخَذَتْ تُفَرِّقُهُ فِي رَحِمِهَا، وَأَيْتَامِهَا؛ وَأَعْطَتْنِي مَا بَقِيَ؛ فَوَجَدنَاهُ خَمْسَةً وَثَمَانِيْنَ دِرْهَمًا. ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَهَا إِلَى

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٤٨)، وحلية الأولياء (٢/ ٤٧)، وسير النبلاء (٢/ ١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢) واللفظ له، وغيرهما.

السِّمَاءِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكْنِي عَطَاءُ عُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا»(١).

وَمِنْهُمُ السَّيِّدُ العَالِمُ، الجَوَادُ ابْنُ الجَوَادِ، عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبِ الهَاشِمِيُّ رضي الله عنهما

قَالَ فِيهِ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رحمه الله في «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٣/ ٤٥٦): كَانَ كَبِيْرَ الشَّأْنِ، كَرِيْمًا، جَوَادًا، يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ.

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ رحمه الله: أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ بِدَجَاجَةٍ مَسْمُوطَةٍ(٢)، فَقَالَتْ لابْنِ جَعْفَرٍ [رضي الله عنهما]: بِأَبِي أَنْتَ! هَذِهِ الدَّجَاجَةُ كَانَتْ مِثْل بِنْتِي، فَآلَيْتُ أَنْ لَا أَدْفِنَهَا إِلَّا فِي أَكْرَمِ مَوْضِعٍ أَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ وَلَا وَاللهِ مَا فِي الَارْضِ أَكْرَمُ مِنْ بَطْنِكَ!!. قَالَ: خُذُوهَا مِنْهَا، وَاحْمِلُوا إِلَيْهَا. فَذَكَرَ أَنْوَاعًا مِنَ العَطَاءِ، حَتَّى قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ!! إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِيْنَ(٣).

ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ رحمه الله، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ أَبِي عَمَّارٍ [رحمه الله] وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فَقِيهُ أَهْلِ الحِجَازِ عَلَى نَخَّاسٍ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ جَارِيَةً، فَعَلِقَ بِهَا، وَأَخَذَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِقْدَارُ ثَمَنِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ عَطَاءٌ، وَطَاوُوْسٌ، وَمُجَاهِدٌ [رَحِمَهُمُ اللهُ]، يَعْذُلُوْنَهُ. وَبَلَغَ خَبَرُهُ عَبْدَ اللهِ [رضي الله عنه]، فَاشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِيْنَ أَلفاً، وَزَيَّنَهَا، وَحَلَاهَا، ثُمَّ طَلَبَ ابْنَ أَبِي عَمَّارٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ حُبُّكَ فُلَانَةً؟ قَالَ: هِيَ الَّتِي هَامَ قَلْبِي

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٢).

(٢) مسموطة: هُوَ مَا شوى بجلده بعد أَن نزع عَنهُ صوفه أَو شعره.

[مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢ / ٢٢٠]

(٣) تاريخ ابن عساكر (٢٩/ ١٩٣)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٤٦١).

بِذِكْرِهَا، وَالنَّفْسُ مَشْغُولَةٌ بِهَا. فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، أَخْرِجِيهَا. فَأَخْرَجَتْهَا تَرْفُلُ فِي الحُلِيِّ وَالحُلَلِ، فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَا، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا. فَقَالَ: لَقَدْ تَفَضَّلت بِشَيْءٍ مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ إِلَا اللهُ. فَلَمَّا وَلَّى بِهَا، قَالَ: يَا غُلَامُ! احْمِلْ مَعَهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: لَئِنْ وَاللهِ وُعِدْنَا نَعِيْمَ الآخِرَةِ، فَقَدْ عَجَّلْتَ نَعِيْمَ الدُّنْيَا(١).

وَعَنِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ رَجُلًا جَلَبَ سُكَّرًا إِلَى المَدِيْنَةِ، فَكَسَدَ، فَبَلَغَ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ [رضي الله عنهما]، فَأَمَرَ قَهْرَمَانَهُ أَنْ يَشْتَرِيَهُ، وَأَنْ يُنْهِبَهُ النَّاسَ(٢).

وَمِنْهُمْ السَّيِّدُ، الإِمَامُ، زَيْنُ العَابِدِيْنَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بْنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ رضي الله عنهم:

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ البَاقِرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا - أَنَّ أَبَاهُ قَاسَمَ اللهَ تَعَالَى مَالَهُ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُذْنِبَ التَّوَّابَ(٣).

وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ [رضي الله عنهما] كَانَ يَحْمِلُ الخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ، يَتْبَعُ بِهِ المَسَاكِيْنَ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُوْلُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ(٤).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩ / ١٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣ / ٤٦١).

(٢) تاريخ ابن عساكر (٢٩/ ١٩٣-١٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٣ / ٤٦١).

(٣) تاريخ ابن عساكر (٤٤/ ١٦٦)، وحلية الأولياء (٣ / ١٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٣٩٣).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ١٣٥-١٣٦)، وتاريخ ابن عساكر (٤٤/ ١٦٦)، وسير أعلام =

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ يَعِيْشُوْنَ لَا يَدْرُوْنَ مِنْ أَيْنَ كَانَ مَعَاشُهُم، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]، فَقَدُوا ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يُؤْتَوْنَ بِاللَّيْلِ(١).

وَمِنْهُمْ عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الإِمَامُ، الرَّبَّانِيُّ، أَحَدُ العُبَّادِ:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ]: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: أي: ابْن عُيَيْنَةَ [رَحِمَهُ اللَّهُ] أَنَّ عَامِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ سِتَّ مَرَّاتٍ -يَعْنِي: يَتَصَدَّقُ كُلَّ مَرَّةٍ بِدِيَتِهِ(٢).

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الإِسْلَامِ إِمَامُ مِصْرَ وَفَقِيهُهَا وَمُحَدِّثُهَا، بَلْ فَخْرُ مِصْرَ الْإِمَامُ اللَّيْثُ بنُ سَعْدِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ] يَصِلُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ] بِمِئَةِ دِيْنَارٍ فِي السَّنَةِ، فَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَيْهِ: عَلَيَّ دَيْنٌ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسِ مِئَةِ دِيْنَارٍ(٣).

وقَالَ ابْنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:كَتَبَ مَالِكٌ إِلَى اللَّيْثِ [رَحِمَهُمَا اللهُ]: إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أُدخِلَ بِنْتِي عَلَى زَوْجِهَا، فَأُحِبُّ أَنْ تَبْعَثَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ عُصْفُرٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ

=

النبلاء (٤/ ٣٩٣).

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٣٦)، وتاريخ ابن عساكر (٤٤/ ١٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٩).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٨) وسقط منه ابن وهب.

بِثَلَاثِيْنَ حِمْلًا عُصْفُرًا(١)، فَبَاعَ مِنْهُ بِخَمْسِ مِئَةِ دِيْنَارٍ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ(٢).

وقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ اللَّيْثُ [رَحِمَهُ اللهُ] يَسْتَغِلُّ عِشْرِيْنَ أَلْفَ دِيْنَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَقَالَ: مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ قَطُّ. وَأَعْطَى اللَّيْثُ ابْنَ لَهِيْعَةَ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَأَعْطَى مَالِكًا أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَأَعْطَى مَنْصُوْرَ بنَ عَمَّارٍ الوَاعِظَ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَجَارِيَةً تَسْوَى ثَلَاثَ مِئَةِ دِيْنَارٍ.

قَالَ: وَجَاءتِ امْرَأَةٌ إِلَى اللَّيْثِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الحَارِثِ، إِنَّ ابْنًا لِي عَلِيْلٌ، وَاشْتَهَى عَسَلًا. فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَعْطِهَا مِرْطًا مِنْ عَسَلٍ. وَالمِرْطُ: عِشْرُوْنَ وَمِئَةُ رَطْلٍ(٣).

وقَالَ شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُمْ اللهُ تَعَالَى: خَرَجْتُ حَاجًّا مَعَ أَبِي [رَحِمَهُ اللهُ]، فَقَدِمَ المَدِيْنَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ [رَحِمَهُ اللهُ] بِطَبَقِ رُطَبٍ. قَالَ: فَجَعَلَ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَرَدَّهُ إِلَيْهِ(٤).

وقَالَ مَنْصُوْرُ بنُ عَمَّارٍ رَحِمَهُ اللهُ: دَخَلْتُ عَلَى اللَّيْثِ [رَحِمَهُ اللهُ] خَلْوَةً، فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهِ كِيْسًا فِيْهِ أَلْفُ دِيْنَارٍ، وَقَالَ: يَا أَبَا السَّرِيِّ، لَا تُعْلِمْ بِهَا ابْنِي،

---

(١) العُصفر: نَبَات صَيْفِي من الفصيلة المركبة أنبوبية الزهر، يُسْتَعْمل زهره تابلًا، ويستخرج مِنْهُ صبغ أَحْمَر يصْبغ بِهِ الْحَرِير وَنَحْوه.
[المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٥]

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٧-٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٨).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٨)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٨-١٤٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٩)، وسير النبلاء (٨/ ١٥٠) والدينار ٤.٢٥ جرام من الذهب.

فَتَهُونَ عَلَيْهِ(١).

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَالِمُ زَمَانِهِ، وَأَمِيْرُ الاتْقِيَاءِ فِي وَقْتِهِ، عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : الَّذِي لَمَّا قَدِمَ الرَّشِيْدُ [رَحِمَهُ اللهُ] الرَّقَّةَ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ خَلْفَ ابْنِ الْمُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ]، وَتَقَطَّعَتِ النِّعَالُ، وَارتَفَعَتِ الغَبَرَةُ، فَأَشرَفَتْ أُمُّ وَلَدٍ لِأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ بُرْجٍ مِنْ قَصْرِ الخَشَبِ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟! قَالُوا: عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ قَدِمَ!!. قَالَتْ: هَذَا وَاللهِ المُلْكُ، لَا مُلْكُ هَارُوْنَ الَّذِي لَا يَجْمَعُ النَّاسَ إِلَّا بِشُرَطٍ وَأَعْوَانٍ(٢).

عَنْ عَلِيِّ بنِ الحَسَنِ بنِ شَقِيْقٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ ابْنُ المُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ] إِذَا كَانَ وَقْتُ الحَجِّ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ إِخْوَانُهُ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ، فَيَقُوْلُوْنَ: نَصْحَبُكَ. فَيَقُوْلُ: هَاتُوا نَفَقَاتِكُم. فَيَأْخُذُ نَفَقَاتِهِم، فَيَجْعَلُهَا فِي صُنْدُوْقٍ، وَيُقْفِلُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَكتَرِي لَهُم، وَيُخْرِجُهُم مِنْ مَرْوَ إِلَى بَغْدَادَ، فَلَا يَزَالُ يُنفِقُ عَلَيْهِم، وَيُطعِمُهُم أَطْيَبَ الطَّعَامِ، وَأَطْيَبَ الحَلوَى، ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْ بَغْدَادَ بِأَحْسَنِ زِيٍّ، وَأَكمَلِ مُرُوءةٍ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَدِيْنَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ فَيَقُوْلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ: مَا أَمَرَكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشتَرِيَ لَهُم مِنَ المَدِيْنَةِ مِنْ طُرَفِهَا؟ فَيَقُوْلُ: كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ يُخْرِجُهُم إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا قَضَوْا حَجَّهُم، قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم: مَا أَمَرَكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشتَرِيَ لَهُم مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ؟ فَيَقُوْلُ: كَذَا وَكَذَا. فَيَشْتَرِي لَهُم، ثُمَّ يُخْرِجهُم مِنْ مَكَّةَ، فَلَا يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِم إِلَى أَنْ يَصِيْرُوا إِلَى مَرْوَ، فَيُجَصِّصُ بُيُوْتَهُم وَأَبْوَابَهُم، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، عَمِلَ لَهُم وَلِيمَةً

(١) حلية الأولياء (٧ / ٣٢١)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٠ / ١٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٤).

وَكَسَاهُم، فَإِذَا أَكَلُوا وَسُرُّوا، دَعَا بِالصُّنْدُوقِ، فَفَتَحَهُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُم صُرَّتَهُ عَلَيْهَا اسْمُهُ!!!.

قَالَ: أَخْبَرَنِي خَادِمُهُ أَنَّهُ عَمِلَ آخرَ سَفْرَةٍ سَافَرَهَا دَعْوَةً، فَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ خَمْسَةً وَعِشْرِيْنَ خِوَانًا فَالُوْذَجَ، فَبَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ لِلْفُضَيْلِ: لَوْلَاكَ وَأَصْحَابُكَ مَا اتَّجَرْتُ. وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى الفُقَرَاءِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ(١).

وَعَنْ سَلَمَةُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ المُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ] فَسَأَلَهُ أَنْ يَقضِيَ دَيْنًا عَلَيْهِ، فَكَتَبَ لَهُ إِلَى وَكِيلٍ لَهُ. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الكِتَابُ، قَالَ لَهُ الوَكِيلُ: كَمِ الدَّيْنُ الَّذِي سَأَلتَهُ قَضَاءَهُ؟ قَالَ: سَبْعُ مئَةِ دِرْهَمٍ. وَإِذَا عَبْدُ اللهِ قَدْ كَتَبَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ سَبْعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَرَاجَعَهُ الوَكِيلُ، وَقَالَ: إِنَّ الغَلَاتِ قَدْ فَنِيَتْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ [رَحِمَهُ اللهُ]: إِنْ كَانَتِ الغَلَاتُ قَدْ فَنِيَتْ، فَإِنَّ العُمْرَ أَيْضًا قَدْ فَنِيَ، فَأَجِزْ لَهُ مَا سَبَقَ بِهِ قَلَمِي(٢).

قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوْسَى السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: عُوتِبَ ابْنُ المُبَارَكِ [رَحِمَهُ اللهُ] فِيْمَا يُفَرِّقُ مِنَ المَالِ فِي البُلْدَانِ دُوْنَ بَلَدِهِ، قَالَ: إِنِّيْ أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُم فَضْلٌ وَصِدْقٌ، طَلَبُوا الحَدِيْثَ، فَأَحْسَنُوا طَلَبَهُ، لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِمُ احْتَاجُوا، فَإِنْ تَرَكْنَاهُم، ضَاعَ عِلْمُهُم، وَإِنْ أَغْنَيْنَاهُمْ، بَثُّوا العِلْمَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ **لَا أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ دَرَجَةً أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ**(٣).

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ٣٨٦).

(٣) الجامع لشعب الإيمان (١٦٢٦)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠)، وتاريخ دمشق (٣٢/ ٤٥٥، ٤٥٦).

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بنُ سَحْنُوْنٍ القَيْرَوَانِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ عِيسى بْنُ مِسْكِينٍ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ الْعِرَاقِيُّونَ قَدِ اسْتَعْمَلُوا رَجُلًا يَسُبُّ مُحَمَّدَ بْنَ سَحْنُونٍ [رَحِمَهُ اللهُ] وَيَصِلُونَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إذَا لَقِيَ مُحَمَّدًا مُخْلِيًا سَبَّهُ عَلَانِيَةً وَإذَا لَقِيَهُ فِي أصْحَابِهِ سَبَّهُ سِرًّا فِي أُذُنِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْه مُحَمَّدٌ شَيْئًا، صَبْرًا مِنْهُ عَلَى الْأذَى رَجَاءً لِثَوَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَتَاهُ يَوْمًا فَوَجَدَهُ مَعَ أصْحَابِهِ، فَسَبَّهُ فِي أُذُنِهِ!! فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ سَبِّهِ خَافَ مُحَمَّدٌ مِنْ أصْحَابِهِ أنْ يَبْطِشُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ!! إذَا أنَا تَفَرَّغْتُ تَعُودُ إلَيَّ تُقْضَى حَاجَتُكَ إنْ شَاءَ اللهُ!! وَأوْهَمَ الْحَاضِرِينَ أنَّهُ إنَّمَا سَألَهُ فِي حَاجَةٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْعِرَاقِيِّينَ، وَقِيلَ لَهُمْ: أظَنَنْتُمْ أنَّ فُلَانًا يَسُبُّ مُحَمَّدَ بْنَ سَحْنُونٍ!![رَحِمَهُ اللهُ] وَهُوَ إنَّمَا حَدَثَهُ فِي أُذُنِهِ وَسَألَهُ حَاجَةً؟!! فَاتَّفَقُوا عَلَى قَطْعِ صِلَتِهِ!! فَضَاعَ الرَّجُلُ وَضَاعَ أهْلُهُ وَعِيَالُهُ وَوَصَلَ إلَيْهِمُ الضَّرَرُ. فَشَكَا مَا نَزَلَ بِهِ إلَى بَعْضِ الصَّالِحِينَ؛ فَقَالَ: إنْ فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ حَسُنَتْ عَاقِبَتُكَ وَعَاقِبَةُ أهْلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟! فَقَالَ: عَلَيْكَ بِصَاحِبِكَ الَّذِي كُنْتَ تَسُبُّهُ فَأطْلِعْهُ عَلَى أَمْرِكَ!! فَقَبِلَ نَصِيحَتَهُ وَمَضَى إلَى ابْنِ سَحْنُونٍ [رَحِمَهُ اللهُ]، فَوَجَدَهُ فِي مَجْلِسِهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، فَأَصْغَى إلَيْهِ بِأُذُنِهِ عَلَى الْعَادَةِ. فَقَالَ لَهُ: أصْلَحَكَ اللهُ مَا جِئْتُ لِهَذَا وَإنَّمَا جِئْتُ تَائِبًا مُنِيبًا مِمَّا كَانَ مِنِّى إلَيْكَ!!. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ. فَلَمَّا انْقَضَى الْمَجْلِسُ أخَذَ بِيَدِهِ، وَمَضَى إلَى دَارِه، وَدَفَعَ إلَيْهِ صُرَّةً فِيهَا عِشْرُونَ دِينَارًا عَيْنًا(١). وَقَالَ لَهُ: اتَّسِعْ بِهَذِهِ إلَى حِينِ يَلْطُفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا. ثُمَّ كَتَبَ مُحَمَّدُ بنُ سَحْنُوْنٍ

---

(١) في حدود سبعين ألف جنيه.

[رَحِمَهُ اللَّهُ] ثَلَاثِينَ كِتَابًا إِلَى ثَلَاثِينَ رَجُلًا مَيَاسِير مِنْ أَصْحَابِهِ بِالسَّاحِلِ، يَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي شِرَاءِ جَارِيَةٍ وَتَوْجِيهِهَا إِلَيْهِ. فَوَصَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ جَارِيَةً فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ. فَأَمَرَ بِبَيْعِ خَمْسٍ مِنْهُنَّ. وَكَسَا بِثَمَنِهِنَّ الْخَمْسَ وَالْعِشْرِينَ الْبَاقِيَاتِ وَحَلَّاهُنَّ، وَأَجْلَسَهُنَّ صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ أَحْضَرَ الرَّجُلَ الْعِرَاقِيَّ، فَلَمَّا دَخَلَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا أَصْلَحَكَ اللهُ؟! فَقَالَ: اسْتِحْيَاءً مِنْكَ لِمَا سَلَفَ مِن قُبْحِ فِعْلِي، وَسُوءِ لَفْظِي، وَعَظِيمِ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ!! ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْجَوَارِي. فَخَرَجَ مِنْ دَارِ مُحَمَّدٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ] بِخَمْس وَعِشْرِينَ جَارِيَةً»(١).

وَمِنْهُمْ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَج الْمُحَدِّثُ الْحُجَّةُ الْفَقِيهُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «تَارِيخ بَغْدَاد» (٨/٣٨٧):

كَانَ مِن ذَوِي الْيَسَارِ وَالْأَحْوَالِ، وَأَحَدَ الْمَشْهُورِين بِالْبِرِّ وَالْأَفْضَالِ، وَلَهُ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ، وَوُقُوفٌ مُحَبَّسَةٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ بِبَغْدَاد، وَمَكَّةَ، وَسِجِسْتَان.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ الوَاعِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُودِعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ أَبِي مُوْسَى الهَاشِمِيُّ [رَحِمَهُ اللَّهُ] عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَتِيمٍ، فَضَاقَتْ يَدُهُ، فَأَنْفَقَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ الْغُلَامُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ أمرَ السُّلْطَانُ بِفَكِّ الْحَجْرِ عَنْهُ، وَتَسْلِيمِ مَالِهِ إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَى ابْنِ أَبِي مُوْسَى بِحَمْلِ الْمَالِ لِيُسَلَّمَ إِلَى الْغُلَامِ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُوْسَى: فَلَمَّا تَقَدَّمَ إِلَيَّ بِذَلِكَ ضَاقَتْ عَلَيَّ الارْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَتَحَيَّرْتُ فِي

---

(١) رياض النفوس (١/ ٤٥١-٤٥٢)، وترتيب المدارك (٤ / ٢١٥-٢١٧).

أمْرِي، لَا أعْلَمُ مِنْ أيِّ وَجْهٍ أغْرَم الْمَالَ. فَبَكَّرْتُ مِنْ دَارِي، وَرَكِبْتُ بَغْلَتِي، وَقَصَدْتُ الكَرْخَ، لَا أعْلَمُ أيْنَ أتَوَجَّهُ، فَانْتَهَتْ بِي البَغْلَةُ إِلَى دَرْبِ السَّلُولِيِّ، وَوَقَفَتْ بِي عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دَعْلَجِ بْنِ أحْمَد [رَحِمَهُ اللَّهُ]، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ الفَجْرَ، فَلَمَّا انْفَتَلَ رَحَّبَ بِي، وَقُمْنَا فَدَخَلْنَا دَارَهُ، فَقُدِّمَتْ لَنَا هَرِيْسَةٌ، فَأَكَلْتُ وَقَصَّرْتُ، فَقَالَ: أَرَاكَ مُنْقَبِضًا؛ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: كُلْ!! فَإِنَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى، فَلَمَّا فَرَغْنَا، اسْتَدْعَى بِالذَّهَبِ وَالمِيزَانِ، فَوَزَنَ لِي عَشْرَةَ آلَافِ دِيْنَارٍ!!. وَقُمْتُ وَقَدْ كَادَ عَقْلِي يَطِيرُ فَرَحًا، فَوَضَعْتُ المَالَ عَلَى القَرَبُوْسِ [الجزء الْمُرْتفع الْمُقوس من السرْج، وهما قَرَبوسان] وَغَطَّيْتُهُ بِطَيْلَسَانِي [ما يُسمى الآن بالشَّال]، وعدتُ إلى دَارِي، وَانْحَدَرْتُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ وَجنَانٍ ثَابِتٍ، فَأُحْضِرَ قَاضِي القُضَاةِ وَالشُّهُودُ وَالنُّقَبَاءُ وَوُلَاةُ الْعُهُودِ، وَأُحْضِرَ الْغُلَامُ وَفُكَّ حَجْرُهُ وَسُلِّمَ الْمَالُ إِلَيْهِ، وَعَظمَ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَلَيَّ، فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي اسْتَدْعَانِي أَمِيْرٌ مِنْ أَوْلَادِ الخِلَافَةِ، وَكَانَ عَظِيمَ الحَالِ، فَقَالَ: قَدْ رَغِبْتُ فِي مُعَامَلَتِكَ، وَتَضْمِيْنِكَ أَمْلَاكِي، فَضَمِنْتُهَا، فَرَبِحْتُ فِي سَنَتِي رِبحًا عَظِيْمًا، وَكَسِبْتُ فِي ثَلَاثِ سِنِيْنَ ثَلَاثِيْنَ أَلفَ دِيْنَارٍ، وَحَمَلْتُ لِدَعْلَجٍ المَالَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ!! وَاللهِ مَا نَوَيْتُ أَخْذَهَا، حَلِّ بِهَا الصِّبْيَانَ!!!»(١).

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ أَحَدُ الْأَجْوَادِ وَالْأَسْخِيَاءِ الَّذِينَ يُضْرَبُ بِهِمُ

(١) تاريخ بغداد (٨ / ٣٩٠-٣٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٣-٣٤).

الْمَثَل(١).

وقَالَ الْحَافِظُ عُمَرُ الْبَزَّارُ فِي «الْأَعْلَامِ الْعَلِيَّةِ فِي مَنَاقِبِ ابْنِ تَيْمِيَة» ص (٦٣): كَانَ ﷺ مَجْبُولًا عَلَى الْكَرَمِ، لَا يَتَطَبَّعُهُ، وَلَا يَتَصَنَّعُهُ، بَلْ هُوَ لَهُ سَجِيَّةٌ، وَمَا شَدَّ عَلَى دِينَارٍ أَوْ دِرْهَمٍ قَطُّ، بَلْ كَانَ مَهْمَا قَدرَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ يَجُودُ بِهِ كُلِّهِ، وَكَانَ لَا يَرُدُّ مَنْ يَسْأَلُهُ شَيْئًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ دَرَاهِمَ وَلَا دَنَانِيرَ، وَلَا ثِيَابٍ، وَلَا كُتُبٍ، وَلَا غير ذَلِكَ. بَلْ رُبَّمَا كَانَ يَسْأَلُهُ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ شَيْئًا مِنَ النَّفَقَةِ، فإِنْ كَانَ حِينَئِذٍ مُتَعَذِّرًا لَا يَدَعُهُ يَذْهَبُ بِلَا شَيْءٍ بَلْ كَانَ يَعْمِدُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِ فَيَدْفَعُهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ حَالِهِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٣/٩٤-٩٦):

الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَمُعَامَلَتُهُ بِضِدِّ مَا عَامَلَكَ بِهِ. فَيَكُونُ الْإِحْسَانُ وَالْإِسَاءَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُطَّتَيْنِ. فَخُطَّتُكَ: الْإِحْسَانُ. وَخَطَّتُهُ: الْإِسَاءَةُ. وَفِي مَثْلِهَا قَالَ الْقَائِلُ:

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ وَنَعْتَذِرُ

وَمَنْ أَرَادَ فَهْمَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَمَا يَنْبَغِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّاسِ، يَجِدْهَا هَذِهِ بِعَيْنِهَا. وَلَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، ثُمَّ لِلْوَرَثَةِ مِنْهَا بِحَسَبِ سِهَامِهِمْ مِنَ التَّرِكَةِ. وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ

(١) الانتصار لابن عبد الهادي ص (٨٥).

الْأَكَابِرِ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ.

وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ.

وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ، وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذًى لَهُ. فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي وَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ، وَقَالَ: أَنَا لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ. وَنَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ. فَسُرُّوا بِهِ، وَدَعَوْا لَهُ. وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالَ مِنْهُ. فَرَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ.

وَهَذَا مَفْهُومٌ، إِلَّا الِاعْتِذَارُ إِلَى مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ فِي بَادِي الرَّأْيِ، إِذْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْكَ جِنَايَةٌ تُوجِبُ اعْتِذَارًا، وَغَايَتُكَ: أَنَّكَ لَمْ تُؤَاخِذْهُ. فَهَلْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْمُؤَاخَذَةِ؟!.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّكَ تُنْزِلُ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ الْجَانِي لَا الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ، وَالْجَانِي خَلِيقٌ بِالْعُذْرِ.

وَالَّذِي يُشْهِدُكَ هَذَا الْمَشْهَدَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا سُلِّطَ عَلَيْكَ بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّكَ بَدَأْتَ بِالْجِنَايَةِ فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْكَ عَلَى يَدِهِ كُنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْلَى بِالِاعْتِذَارِ.

وَمِنْهُمْ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ جِدًّا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَنَخْتِمُ بِشَيْخِنَا سَمَاحَةِ الْوَالِدِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ إِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي عَصْرِنَا–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً– فَكَرَمُهُ وَسَخَاؤُهُ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ سَارَتْ بِهِ

الرُّكْبَان، وَتَحَدَّثَ بِهِ بَنُوا الْإِسْلَامِ. فَمَاذَا نَقُولُ فِي رَجُلٍ مَا أَكَلَ طَعَامًا إِلَّا بِحَضْرَةِ الضَّيْفِ أَوِ الْعُلَمَاءِ أَوْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ سِنِينَ طَوِيلَةً؟!، وَمَا ادَّخَرَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ، إِنَّمَا يُنْفِقُهُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ. وَقَدْ كَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَقَدِ اقْتَرَضَ مِنْ مُرَتَّبِهِ مِنَ الشَّهْرِ الْقَادِمِ.

فَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ، وَجَعَلَنَا عَلَى دَرْبِهِمْ سَائِرِين.

إِنَّ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَسَنْ ... وَالْبَذْلُ أحْسَنُ ذَلِكَ الْحَسَنِ

كَمْ عَارِفٌ بِي لَسْتُ أعْرِفُهُ ... وَمُخَبِّرٌ عَنِّي وَلَمْ يَرَنِي

يَأْتِيهِمْ خَبَرِي وإنْ بَعُدْتُ ... وَلِحُرِّ عِرْضِي غَيْرُ مُمْتَهِنِ

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: بَلْ مِنْ أَعْظَمِهَا: إِخْرَاجُ دَغَلِ الْقَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تُوجِبُ ضِيقَهُ وَعَذَابَهُ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُصُولِ الْبُرْءِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَتَى بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَشْرَحُ صَدْرَهُ، وَلَمْ يُخْرِجْ تِلْكَ الَاوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَحْظَ مِنَ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِطَائِلٍ، وَغَايَتُهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَادَّتَانِ تَعْتَوِرَانِ عَلَى قَلْبِهِ، وَهُوَ لِلْمَادَّةِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ مِنْهُمَا(١)

«وَالطَّرِيقُ فِي إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ الَّتِي تَصْلُحُ الْأَجْسَادُ بِصَلَاحِهَا وَتَفْسَدُ بِفَسَادِهَا: تَطْهِيرُهَا مِنْ كُلِّ مَا يُبَاعِدُ مِنَ اللهِ، وَتَزْيِينُهَا بِكُلِّ مَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ وَيُزْلِفُ لَدَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ،وَحُسْنِ الْآمَالِ، وَلُزُومِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، والإصغاءِ إِلَيْهِ، وَالمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ عَلَى حَسَبِ الْإِمْكَانِ، فِي غَيْرِ أَدَاءٍ إِلَى السَّآمَةِ والْمَلَالِ.

وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ هِيَ الْمُلَقَّبَةُ بِعِلْمِ الْحَقِيقَةِ، وَلَيْسَتِ الْحَقِيقَةُ خَارِجَةً عَنِ الشَّرِيعَةِ،بل الشَّرِيعَةُ طَافِحَةٌ بِإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ وَالْعُزُومِ وَالنِّيَّاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

فَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الظَّوَاهِرِ مُعَرِّفَةٌ لِجُلِّ الشَّرْعِ، وَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الْبَوَاطِنِ مُعَرِّفَةٌ لِدِقِّ الشَّرِيعَةِ، وَلَا يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْهُما إِلَّا كَافِرٌ أَوْ فَاجِرٌ. وَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْقَوْمِ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا يُقَارِبُهُمْ في شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ، وَهُمْ شَرٌّ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْطَعُونَ طُرُقَ الذَّاهِبِينَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَدِ اعْتَمَدُوا عَلَى كَلِمَاتٍ قَبِيحَاتٍ يُطْلِقُونَهَا عَلَى اللهِ، وَيُسِيئُونَ الْأَدَبَ عَلَى الرُّسُلِ

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٧ ط. الرسالة)، و(٢/ ٣٢ ط. المجمع).

وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَتْقِيَاءِ، وَيَنْهَوْنَ مَنْ يَصْحَبُهُمْ عَنِ السَّمَاعِ مِنَ الْفُقَهَاءِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْفُقَهَاءَ يَنْهَوْنَ عَنْ صُحْبَتِهِمْ وَعَنْ سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ»(١).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﵄ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ [﵁]، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟! قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟! قَالَ حُذَيْفَةُ [﵁]: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا!! قَالَ: أَنْتَ، لِلهِ أَبُوكَ!! قَالَ حُذَيْفَةُ [﵁]: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(٢).

وَمِنْ أَخْبَثِ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَفْتِكُ بِالْقَلْبِ – بَعْدَ الشِّرْكِ – وَتُفْسِدُ النَّفْسَ، وَتُوجِبُ ضِيقَ الصَّدْرِ وَعَذَابَهُ مَرَضُ الْحَسَدِ، فَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ،

(١) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للعزِّ بن عبد السلام (٢/ ٣٤٩ ط. دار القلم).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤)، وأصله في البخاري (٥٢٥).

أسود مربادًّا: شدة البياض في سواد.

مُجخِّيا: منكوسًا

وَالْمَرَضُ الْفَتَّاكُ، وَبِسَبَبِهِ تَقَعُ الْجَرَائِمُ وَالْكَبَائِرُ، فَأَوَّلُ ذَنْبٍ، بَلْ أَوَّلُ قَتْلٍ وَقَعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ بِسَبَبِهِ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٧ – ٣٢].

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْحَاسِدَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ ضِيقًا في الصَّدْرِ، وَهَمًّا فِي النَّفْسِ، وَحَسْرةً فِي الْقَلْبِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ.

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ ؟
أَسَـأْتَ عَلَى اللـَّهِ فِي فِـعْلِهِ ... لِأَنَّكَ لَـمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَـجَازَاكَ عَنِّي بِـأَنْ زَادَنِـي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُـوهَ الطَّـلَبْ

إنْ يَحْسُدُونَنِي فَإِنِّي غَيرُ لَائِمُهُمْ قَبلِي مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِـهِمْ وَمَاتَ أَكْـثَـرُنَا غَيْظًـا بِمَـا يَـجِـدُ

مَحَسَّدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً مَنْ عَاشَ فِي النَّاسِ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُود

فَتَنْقِيَةُ الْقُلُوبِ مِنَ الدَّغَلِ وَالْفَسَادِ وَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ لَا يَتِمُّ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ إِلَّا بِهِ، بَلْ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ الْعَبْدِ وَإِيمَانُهُ إِلَّا بِإِخْرَاجِ الشِّرْكِ، وَإِحْلَالِ التَّوْحِيدِ، وَإِخْرَاجِ الْبِدْعَةِ، وَإِحْلَالِ السُّنَّةِ، وَإِخْرَاجِ الْمَعْصِيَةِ، وَإِحْلَالِ الطَّاعَةِ، فَمَنْ أَخْلَىٰ قَلْبَهُ مِنَ الدَّغَلِ وَالصِّفَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَحَلَّى قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وَارْتَاحَ ضَمِيرُهُ، وَعَلَى قَدْرِ التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ يَكُونُ قَدْرُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ.

فَـ«حَقِيقٌ بِكُلِّ عَاقِلٍ أَلَّا يَسْلُكَ سَبِيلًا حَتَّىٰ يَعْلَمَ سَلَامَتَهَا، وَآفَاتِهَا، وَمَا تُوَصِّلُ إِلَيْهِ تِلْكَ الطَّرِيقُ مِنْ سَلَامَةٍ، أَوْ عَطَبٍ، وَهَذَانِ السَّبِيلَانِ هَلَاكُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِهِمَا، وَفِيهِمَا مِنَ الْمَعَاطِبِ وَالْمَهَالِكِ مَا فِيهِمَا، وَيُفْضِيَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى أَقْبَحِ الْغَايَاتِ، وَشَرِّ مَوَارِدِ الْهَلَكَاتِ»(١).

«فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ لَذَّةَ الْعَيْشِ، وَطَيِّبَهُ بِمَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، عَاقَبَهُ اللهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ؛ فإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ مَعْصِيَتَهُ سَبَبًا إِلَى خَيْرٍ قَطُّ، وَلَوْ عَلِمَ الْفَاجِرُ مَا فِي الْعَفَافِ مِنَ اللَّذَّةِ، وَالسُّرُورِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَطِيبِ الْعَيْشِ، لَرَأى أَنَّ الَّذِي فَاتَهُ مِنَ اللَّذَّةِ أَضْعَافُ

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص (٤٨٥ ط. المجمع).

أَضْعَافِ مَا حَصُلَ لَهُ، دَعْ رِبْحَ الْعَاقِبَةِ، وَالْفَوْزَ بِثَوَابِ اللهِ، وَكَرَامَتِهِ»(١).

«وَأَشَدُّ الْعُقُوبَات الْعُقُوبَةُ بِسَلْبِ الْإِيمَانِ، وَدونَهَا الْعُقُوبَةُ بِمَوْتِ الْقَلْبِ وَمَحْوِ لَذَّةِ الذِّكْرِ، وَالْقِرَاءَةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالْمُنَاجَاةِ مِنْهُ، وَرُبَّمَا دَبَّتْ عُقُوبَةُ الْقَلْبِ فِيهِ دَبِيبَ الظُّلْمَةِ إِلَى أَنْ يَمْتَلِئَ الْقَلْبُ بِهَا فَتَعْمَى الْبَصِيرَةُ»(٢).

«فَالْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُوقُ كُلُّهُ غُمُومٌ، وَكُلَّمَا عَزَمَ الْعَبْدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ، أَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَشَيْطَانُهُ وَمَأْلَفُهُ، فَلَا يَزَالُ فِي غَمِّ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ، فَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ غَمَّ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، بَقِيَ فِي غَمِّهِ فِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْقِيَامَةِ، وإِنْ خَرَجَ مِنْ غَمِّهِ وَضِيقِهِ هَاهُنَا، خَرَجَ مِنْهُ هُنَاكَ، فَمَا حَبَسَ الْعَبْدَ عَنِ اللهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ حَبَسَهُ عَنْهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَكَانَ مُعذَّبًا بِهِ هُنَاكَ، كَمَا كَانَ قَلْبُهُ مُعذَّبًا بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَلَيْسَ الفُسَّاقُ وَالْفَجَرَةُ وَالظَّلَمَةُ فِي لَذَّةٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وإِنَّمَا هُمْ مُعَذَّبُونَ فِيهَا وَفِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ سُكْرُ الشَّهْوَةِ وَمَوْتُ الْقُلُوبِ حَالَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الشُّعُورِ بِالْأَلَمِ، فَإِذَا حِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ أُحْضِرَتْ نُفُوسُهُمُ الْأَلَمَ الشَّدِيدَ، وَصَارَ يَعْمَلُ فِيهَا بَعْدَ الْمَوْتِ نَظِيرَ مَا يَعْمَلُ الدُّودُ فِي لُحُومِهِمْ. فَالْآلَامُ تَأْكُلُ أَرْوَاحَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَفْنَى، وَالدُّودُ يَأْكُلُ جُسُومَهُمْ»(٣).

« فَمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ شَيْئًا إِلَّا عَوَّضَهُمْ خَيْرًا مِنْهُ، كَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ

---

(١) نفسه ص (٤٩٦).

(٢) نفسه ص (٥٩٤-٥٩٥).

(٣) نفسه ص (٥٩٨).

الِاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْهُ دُعَاءَ الِاسْتِخَارَةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرِّبَا، وَعَوَّضَهُمْ مِنْهُ التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْقِمَارَ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَكْلَ الْمَالِ بِالْمُسَابَقَةِ النَّافِعَةِ فِي الدِّينِ، بِالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالسِّهَامِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَرِيرَ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُ أَنْوَاعَ الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكِتَّانِ وَالْقُطْنِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الزِّنَى وَاللُّواطَ، وَأَعَاضَهُمْ مِنْهُمَا بِالنِّكَاحِ وَالتَّسَرِّي بِصُنُوفِ النِّسَاءِ الْحِسَانِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُرْبَ الْمُسْكِرِ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهُ بِالْأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ النَّافِعَةِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ سَمَاعَ آلَاتِ اللَّهْوِ مِنَ الْمَعَازِفِ وَالْمَثَانِي، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهَا بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ، وَأَعَاضَهُمْ عَنْهَا بِالْمَطَاعِمِ الطَّيِّبَاتِ.

ومَنْ تَلَمَّحَ هَذَا وَتَأَمَّلَهُ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُ الْهَوَى الْمُرْدِي، وَاعْتَاضَ عَنْهُ بِالنَّافِعِ الْمُجْدِي، وَعَرَفَ حِكْمَةَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ، وَتَمَامَ نِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَبَاحَهُ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بما أَمَرَهُمْ بِهِ حَاجَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا نَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنه بُخْلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ إِحْسَانًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، ونَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ صِيَانَةً لَهُمْ وَحِمْيَةً»(١).

وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [سورة المدثر: ١ – ٤].

فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا بَالُنَا بِنَا نَحْنُ !!!.

---

(١) السابق ص (١٨-١٩).

فَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالثِّيَابِ هُنَا الْقَلْبُ، وَالْمُرَادَ بِالطَّهَارَةِ إِصْلَاحُ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

وَانْظُرْ مَعِي وَتَفَكَّرْ فِي حَالِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ رضي الله عنه: فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له، وغيرهما.

وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ [رضي الله عنهما] فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ [رضي الله عنه]: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ [رضي الله عنه] يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ [رضي الله عنه]: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ [رضي الله عنه]: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»(١).

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أحمد (١٢٦٩٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٣٣)، وعبد بن حميد (١١٦٠)، والبزار (٦٣٠٧، ٦٣٠٨) وغيرهم.

وَأَخْتِمُ بِمَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

«الْحَاسِدُ يَحْمِلُهُ بُغْضُ الْمَحْسُودِ عَلَى مَعَادَاتِهِ، وَالسَّعْيِ فِي أَذَاهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، مَعَ عِلْمِهِ بِفَضْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ فِيهِ يُوجِبُ عَداوَتَهُ إِلَّا مَحَاسِنُهُ وَفَضَائِلُهُ. وَلِهَذَا قِيلَ: الْحَاسِدُ عَدُوٌّ لِلنِّعَمِ وَالْمَكَارِمِ، فَالْحَاسِدُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى مُعَادَاةِ الْمَحْسُودِ جَهْلُهُ بِفَضْلِهِ وَكَمَالِهِ، وإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ فَسَادُ قَصْدِهِ وَإِرَادَتِهِ، كَمَا هِيَ حَالُ الرُّسُلِ وَوَرَثَتِهِمْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ سَلَبَهُمُ الرُّسُلُ وَوَارِثُوهُمْ رِئاسَتَهُمُ الْبَاطِلَةَ، فَعَادُوهُمْ، وَصَدُّوا النُّفُوسَ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ، ظَنًّا أَنَّ الرِّيَاسَةَ تَبْقَى لَهُمْ، وَيَنْفَرِدُونَ بِهَا، وَسُنَّةُ اللهِ فِي هَؤُلَاءِ أَنْ يَسْلُبَهُمْ رِيَاسَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُصَغِّرَهُمْ فِي عُيُونِ الْخَلْقِ مُقَابَلَةً لَهُمْ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[سورة فصلت: ٤٦]

«**وَمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَعَرَفَ لِذِي الْفَضْلِ فَضْلَهُ، فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التَّوْفِيقِ، وَاللهُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**»[١].

وَمَا قَالَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: في «صيد الخاطر» ص (٢٢٠) ط. دار القلم.

«وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَالصَّمْتَ، وَيَتَخَشَّعُ فِي نَفْسِهِ وَلِبَاسِهِ، وَالْقُلُوبُ تَنْبُو [تَبْتَعِدُ] عَنْهُ، وَقَدْرُهُ فِي النَّاسِ لَيْسَ بِذَاكَ، وَرَأَيْتُ مَنْ يَلْبَسُ فَاخِرَ الثِّيَابِ، ولَيْسَ لَهُ كَبِيرُ نَفْلٍ، وَلَا تَخَشُّعٍ، وَالْقُلُوبُ تَتَهَافَتُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، فَتَدَبَّرْتُ السَّبَبَ؛ فَوَجَدْتُهُ السَّرِيرَةَ».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصُّدُورِ: الصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ:

«فَمِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمُ الشِّدَّةَ وَالضُّرَّ، وَمَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ، فَيَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُونَهُ وَلَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ، أَوِ الْجَدْبِ، أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ وَزَوَالِ الْعُسْرِ فِي الْمَعِيشَةِ، فإِنَّ ذَلِكَ لَذَّاتٌ بَدَنِيَّةٌ وَنِعَمٌ دُنْيَوِيَّةٌ، قَدْ يَحْصُلُ لِلْكَافِرِ مِنْهَا أَعْظَمُ مَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ.

وأَمَّا مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الْمُخْلِصِينَ لِلهِ الدِّينَ فَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ كُنْهِهِ مَقَالٌ، أَوْ يَسْتَحْضِرَ تَفْصِيلَهُ بَالٌ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيمَانِه»(١).

«فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الصَّبْرَ جَوَادًا لَا يَكْبُو، وَصَارِمًا لَا يَنْبُو، وَجُنْدًا غَالِبًا لَا يُهْزَمُ، وَحِصْنًا حَصِينًا لَا يُهْدَمُ، وَلَا يُثْلَمُ، فَهُوَ وَالنَّصْرُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ. فَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجُ مَعَ الْكَرْبِ، وَالْعُسْرُ مَعَ الْيُسْرِ، وَهُوَ أَنْصَرُ لِصَاحِبِهِ مِنَ الرِّجَالِ بِلَا عُدَّةٍ وَلَا عَدَدٍ؛ وَمَحِلُّهُ مِن الظَّفَرِ كَمَحِلِّ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. وَلَقَدْ ضَمِنَ الْوَفِيُّ الصَّادِقُ لِأَهْلِهِ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ أَنَّهُ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَعَهُمْ بِهِدَايَتِهِ وَنَصْرِهِ الْعَزِيزِ، وَفَتْحِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [سورة

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣٣)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٨٤-٢٨٥).

الأنفال: ٤٦]. فَظَفَرَ الصَّابِرُونَ بِهَذِهِ الْمَعِيَّةِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفَازُوا بِهَا بِنِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ مَنُوطَةً بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَقَالَ تَعَالَى وَبِقَوْلِهِ اهْتَدَى الْمُهْتَدُونَ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[سورة السجدة: ٢٤].

وَأَخْبَرَ أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ مُؤَكَّدًا بِالْيَمِينِ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[سورة النحل: ١٢٦].

وَأَخْبَرَ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى لَا يَضُرُّ كَيْدُ الْعَدُوِّ، وَلَوْ كَانَ ذَا تَسْلِيطٍ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[سورة آل عمران: ١٢٠]

وَأَخْبَرَ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ أَنَّ صَبْرَهُ وتقواه وصَّلَاهُ إِلَى مَحَلِّ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ؛ فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[سورة يوسف: ٩٠].

وَعَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، فَعَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[سورة آل عمران: ٢٠٠].

وَأَخْبَرَ عَنْ مَحَبَّتِهِ لِأَهْلِهِ، وَفِي ذَلِكَ أَعْظَمُ تَرْغِيبٍ لِلرَّاغِبِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[سورة آل عمران:١٤٦].

وَلَقَدْ بَشَّرَ الصَّابِرِينَ بِثَلَاثٍ، كُلٌّ مِنْهَا خَيْرٌ مِمَّا عَلَيْهِ أَهْلُ الدُّنْيَا يَتَحَاسَدُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وَأَوْصَى عِبَادَهُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَوَائِبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[سورة البقرة: ٤٥].

وَجَعَلَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ لَا يَحْظَى بِهِ إِلَّا الصَّابِرُونَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ١١١].

وَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّغْبَةَ فِي ثَوَابِهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، لَا يَنَالُهَا إِلَّا أُولُوا الصَّبْرِ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[سورة القصص: ٨٠].

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ تَجْعَلُ الْمُسِيءَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [سورة فصلت: ٣٤].

وَأَنَّ هَذِهِ الْخَصْلَةَ: ﴿مَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت: ٣٥](١).

«والصَّبْرُ آخيَّةُ الْمُؤْمِنِ الَّتِي يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَسَاقُ إيمَانِهِ الَّذِي لَا اعْتِمَادَ لَهُ إِلَّا عَلَيْهَا. فَلَا إيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، وإنْ كَانَ فَإيمَانٌ قَلِيلٌ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، وَصَاحِبُهُ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ، فَإنْ أصَابَهِ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَلَمْ يَحْظَ مِنْهُمَا إِلَّا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ. فَخَيْرُ عَيْشٍ أدْرَكَهُ السُّعَدَاءُ بِصَبْرِهِمْ، وَتَرَقَّوْا إِلَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ بِشُكْرِهِمْ، فَسَارُوا بَيْنَ جَنَاحَي الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(٢).

«الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ»(٣).

وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة الزمر: ١٠]

وَعَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(٤).

---

(١) عُدَّة الصابرين ص (٢٤-٢٦) تحقيق صاحبنا الشيخ سليم الهلالي سلمه الله.

(٢) السابق ص (٢٧).

(٣) مدارج السالكين في منازل السائرين (٢/ ٤٤٩ ط. المجمع).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، وأحمد(١٨٩٣٤، ١٨٩٣٩، ٢٣٩٢٤، ٢٣٩٣٠) وغيرهما

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « **مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟!، **قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(٤).

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، وابن ماجه (٢٨٠) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٤) تقدم تخريجه في المقدمة.

« وَفِي قَوْلِ يُوسُفَ [الطَّيْلَا]: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣٣] عِبْرَتَانَ:

إِحْدَاهُمَا: اخْتِيَارُ السِّجْنِ وَالْبَلَاءِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

وَالثَّانِيَةُ: طَلَبُ سُؤَالِ اللهِ وَدُعَائِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى دِينِهِ، وَيَصْرِفَهُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَإِلَّا فَإِذَا لَمْ يُثَبِتِ الْقَلْبَ وَإِلَّا صَبَا إِلَى الْآمِرِينَ بِالذُّنُوبِ وَصَارَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فِفِي هَذَا تَوَكُّلٌ عَلَى اللهِ وَاسْتِعَانَةٌ بِهِ أَنْ يُثَبِّتَ الْقَلْبَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ، وَفِيهِ صَبْرٌ عَلَى الْمِحْنَةِ وَالْبَلَاءِ، وَالْأَذَى الْحَاصِلِ إِذَا ثَبَتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

فَلَابُدَّ مِنَ التَّقْوَى بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ، كَمَا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ اتَّقَى اللهَ بِالْعِفَّةِ عَنِ الْفَاحِشَةِ، وَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ لَهُ بِالْمُرَاوَدَةِ وَالْحَبْسِ، وَاسْتَعَانَ اللهَ وَدَعَاهُ حَتَّى يُثَبِّتَهُ عَلَى الْعِفَّةِ، فَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، وَصَبَرَ عَلَى الْحَبْسِ.

فَإِنَّهُ لَابُدَّ مِنْ أَذَى لكلِّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْأَذَى فِي طَاعَةِ اللهِ، بَلِ اخْتَارَ الْمَعْصِيَةَ، كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمَّا فرَّ مِنْهُ بِكَثِيرٍ.

وَمَنِ احْتَمَلَ الْهَوَانَ وَالْأَذَى فِي طَاعَةِ اللهِ عَلَى الْكَرَامَةِ وَالْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ كَمَا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَذَى قَدِ انْقَلَبَ نَعِيمًا وَسُرُورًا، كَمَا أَنَّ مَا يَحْصُلُ لِأَرْبَابِ الذُّنُوبِ مِنَ التَّنَعُّمِ بِالذُّنُوبِ يَنْقَلِبُ

حُزْنًا وَثُبُورًا.

فَيُوسُفُ ﷺ خَافَ اللهَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَمْ يَخَفْ مِنْ أَذَى الْخَلْقِ وَحَبْسِهِمْ؛ إِذْ أَطَاعَ اللهَ، بَلْ آثَرَ الْحَبْسَ وَالْأَذَى مَعَ الطَاعَةِ عَلَى الْكَرَامَةِ وَالْعِزِّ وَقَضَاءِ الشَّهَوَاتِ وَنَيْلِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ مَعَ الْمَعْصِيةِ، فَإِنَّهُ لَوْ وَافَقَ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ نَالَ الشَّهْوَةَ، وَأَكْرَمَتْهُ الْمَرْأَةُ بِالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ، وَزَوْجُهَا فِي طَاعَتِهَا، فاختار يُوسُفُ [ﷺ]الذُّلَّ وَالْحَبْسَ، وَتَرَكَ الشَّهْوَةَ وَالْخُرُوجَ عَنِ الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ مَعَ الطَاعَةِ، عَلَى العِزِّ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ وَقَضَاءِ الشَّهْوَةِ مَعَ الْمَعْصِيةِ.

بَلْ قَدَّمَ الْخَوْفَ مِنَ الْخَالِقِ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ، وَإِنْ آذَاهُ بِالْحَبْسِ وَالْكَذِبِ، فَإِنَّهَا كَذَبَتْ عَلَيْهِ؛ فَزَعَمَتْ أَنَّه رَاوَدَهَا، ثُمَّ حَبَسَتْه بَعْدَ ذَلِكَ(١).

«فَلِأَهْلِ الذُّنُوبِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ عِظَامٍ يَتَطَهَّرُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ لَمْ تَفِ بِطُهْرِهِمْ طُهِّرُوا فِي نَهْرِ الْجَحِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: نَهْرُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَنَهْرُ الْحَسَنَاتِ الْمُسْتَغْرِقَةِ لِلْأَوْزَارِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَنَهْرُ الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ الْمُكَفِّرَةِ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَدْخَلَهُ أَحَدَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الثَّلَاثَةِ، فَوَرَدَ الْقِيَامَةَ طَيِّبًا طَاهِرًا، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى النَّهْرِ الرَّابِعِ»(٢).

ونقل ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَنِ اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَفْضَلُ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ

(١) مجموع فتاوى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١٥/ ١٣٠-١٣٣).

(٢) مدارج السالكين في منازل السائرين (١/ ٤٨١ ط. المجمع).

الْمَعْصِيَةِ. وَمُفْسِدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ: أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ»(١).

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّبْرُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِهِ -كَمَا ذَكَرْنَا فِي صَبْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَإِنَّ الصَّبْرَ فِيهِمَا صَبْرُ اخْتِيَارٍ وَإِيثَارٍ وَمَحَبَّةٍ. وَالصَّبْرُ عَلَى أَحْكَامِهِ الْكَوْنِيَّةِ: صَبْرُ ضَرُورَةٍ. وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْبَوْنِ مَا قَدْ عَرَفْتَ. وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ]، عَلَى مَا نَالَهُمْ فِي اللهِ بِاخْتِيَارِهِمْ وَفِعْلِهِمْ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ قَوْمَهُمْ: أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِ أَيُّوبَ عَلَى مَا نَالَهُ فِي اللهِ مِنِ ابْتِلَائِهِ وَامْتِحَانِهِ بِمَا لَيْسَ مُسَبَّبًا عَنْ فِعْلِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرُ إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحِ، وَصَبْرُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ أَكْمَلَ مِنْ صَبْرِ يَعْقُوبَ عَلَى فَقْدِ يُوسُفَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]. فَعَلِمْتَ بِهَذَا أَنَّ الصَّبْرَ لِلهِ أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ بِاللهِ، وَالصَّبْرَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالصَّبْرَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَشَقَّةُ الصَّبْرِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي إِلَى الْفِعْلِ وَسُهُولَتِهِ عَلَى الْعَبْدِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الْفِعْلِ هَذَانِ الْأَمْرَانِ كَانَ الصَّبْرُ عَنْهُ أَشَقَّ شَيْءٍ عَلَى الصَّابِرِ، وَإِنْ فُقِدَا مَعًا سَهُلَ الصَّبْرُ عَنْهُ، وَإِنْ وُجِدَ أَحَدُهُمَا وَفُقِدَ الْآخَرُ سَهُلَ الصَّبْرُ مِنْ وَجْهٍ وَصَعُبَ مِنْ وَجْهٍ، فَمَنْ لَا دَاعِيَ لَهُ إِلَى

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٥٢ ط. المجمع).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٣-٤٧٤ ط. المجمع).

الْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ وَأَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ، وَلَا هُوَ سَهْلٌ عَلَيْهِ فَصَبْرُهُ عَنْهُ مِنْ أَيْسَرِ شَيْءٍ وَأَسْهَلِهِ، وَمَنِ اشْتَدَّ دَاعِيهِ إِلَى ذَلِكَ، وَسَهُلَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ؛ فَصَبْرُهُ عَنْهُ أَشَقُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ صَبْرُ السُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ، وَصَبْرُ الشَّابِّ عَنِ الْفَاحِشَةِ، وَصَبْرُ الْغَنِيِّ عَنْ تَنَاوُلِ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ.

وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ السَّبْعَةُ الْمُذْكُورُونَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ لِكَمَالِ صَبْرِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ، فَإِنَّ صَبْرَ الْإِمَامِ الْمُتَسَلِّطِ عَلَى الْعَدْلِ فِي قِسْمِهِ وَحُكْمِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ، وَصَبْرَ الشَّابِّ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَمُخَالَفَةِ هَوَاهُ، وَصَبْرَ الرَّجِلِ عَلَى مُلَازَمَةِ الْمَسْجِدِ، وَصَبْرَ الْمُتَصِدِّقِ عَلَى إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ حَتَّى عَنْ بَعْضِهِ، وَصَبْرَ الْمَدْعُوِّ إِلى الْفَاحِشَةِ مَعَ كَمَالِ جَمَالِ الدَّاعِي وَمَنْصِبِهِ، وَصَبْرَ الْمُتَحَابَّيْنِ فِي اللهِ عَلَى ذَلِكَ فِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمَا وَافْتِرَاقِهِمَا، وَصَبْرَ الْبَاكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَلَى كِتْمَانِ ذَلِكَ وَعَدَمِ إِظْهَارِهِ لِلنَّاسِ مِنْ أَشَقِّ الصَّبْرِ.

وَلِهَذَا كَانَتْ عُقُوبَةُ الشَّيْخِ الزَّانِي وَالْمَلِكِ الْكَذَّابِ وَالْفَقِيرِ الْمُخْتَالِ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ لِسُهُولَةِ الصَّبْرِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَيْهِمْ لِضَعْفِ دَوَاعِيهَا فِي حَقِّهِمْ، فَكَانَ تَرْكُهُمُ الصَّبْرَ عَنْهَا مَعَ سُهُولَتِهِ عَلَيْهِمْ دَلِيلًا عَلَى تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللهِ وَعُتُوِّهِمْ عَلَيْهِ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ عَنْ مَعَاصِي اللِّسَانِ وَالْفَرْجِ مِنْ أَصْعَبِ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ لَشِدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهِمَا وسهولتهمَا، فَإِنَّ مَعَاصِي اللِّسَانِ فَاكِهَةُ الْإِنْسَانِ؛ كَالنَّمِيمَةِ وَالْغِيبَةِ وَالْكَذِبِ وَالْمِرَاءِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى النَّفْسِ تَعْرِيضًا وَتَصْرِيحًا، وَحِكَايَةَ كَلَامِ النَّاسِ، والطعْنِ عَلَى مَنْ يُبْغِضُهُ، وَمَدْحِ مَنْ يُحِبُّهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ،

فَتَتَّفِقُ قُوَّةُ الدَّاعِي، وَتَيَسُّرُ حَرَكَةِ اللِّسَانِ فَيَضْعُفُ الصَّبْرُ»(١).

وَتَفَكَّرْ مَعِي فِي صَبْرِ يُوسُفَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – عَنِ الْمَعْصِيَةِ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ -قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ- يَقُولُ: وَكَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَنْ شَأْنِهَا: أَكْمَلَ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ. فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، لَا كَسْبَ لَهُ فِيهَا، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرَ الصَّبْرِ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ: فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ وَرِضَا وَمُحَارَبَةٍ لِلنَّفْسِ. وَلَا سِيَّمَا مَعَ الَاسْبَابِ الَّتِي يَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي الْمُوَاقَعَةِ. فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا، وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّةٌ. وَعَزَبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيُبَرِّدُ شَهْوَتَهُ. وَغَرِيبًا، وَالْغَرِيبُ لَا يَسْتَحِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحِي مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِهِ. وَمَمْلُوكًا، وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الْحُرِّ. وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ، وَذَاتُ مَنْصِبٍ. وَهِيَ سَيِّدَتُهُ. وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ. وَهِيَ الدَّاعِيَةُ لَهُ إِلَى نَفْسِهَا. وَالْحَرِيصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحِرْصِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ. وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا، وَإِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ؟!»(٢).

«فَالْبَلَاءُ بِمُخَالَفَةِ دَوَاعِي النَّفْسِ وَالطَّبْعِ مِنْ أَشَدِّ الْبَلَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ. وَأَمَا الْبَلَاءُ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْعَبْدِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَالمَرَضِ وَالْجُوعِ والْعَطَشِ وَنَحْوِهَا، فالصَّبْرُ عَلَيْهِ لا يتوقف عَلَى الإيمانِ،

(١) عُدَّة الصابرين ص (١١٠-١١٢ تحقيق صاحبنا الشيخ سليم الهلالي).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٥١-٤٥٢ ط. المجمع).

بَلْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا مُعَوِّلَ لَهُ إِلَّا الصَّبْرُ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ اخْتِيَارًا صَبَرَ اضْطِرَارًا. وَلِهَذَا كَانَ بَيْنَ ابْتِلَاءِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ ﷺ لِمَا فَعَلَ بِهِ إِخْوَتُهُ مِنَ الْأَذَى، وَالْإِلْقَاءِ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِ بَيْعَ الْعَبِيدِ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ؛ وَابْتِلَائِهِ بِمُرَاوَدَةِ الْمَرْأَةِ لَهُ، وَهُوَ شَابٌّ عَزَبٌ غَرِيبٌ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ لَهَا، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى ذَلِكَ، فَرْقٌ عَظِيمٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَرَاتِبَ الْبَلَاءِ. فَإِنَّ الشَّبَابَ دَاعٍ إِلَى الشَّهْوَةِ، وَالشَّابُّ قَدْ يَسْتَحْيِي بَيْنَ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ مِنْ قَضَاءِ وَطَرِهِ، فَإِذَا صَارَ فِي دَارِ الْغُرْبَةِ زَالَ ذَلِكَ الِاسْتِحْيَاءُ والاحتشامُ، وإِذَا كَانَ عَزَبًا كَانَ أَشَدَّ لِشَهْوَتِهِ، وَإِذَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ هِيَ الطَّالِبَةَ كَانَ أَشَدَّ، وإذا كَانَتْ جَمِيلَةً كَانَ أَعْظَمَ، فَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ كَانَ أَقْوَى فِي الشَّهْوَةِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي دَارِهَا وَتَحْتَ حُكْمِهَا بِحَيْثُ لَا يَخَافُ الْفَضِيحَةَ وَلَا الشُّهْرَةَ كَانَ أَبْلَغَ، فَإِنِ اسْتَوْثَقَتْ بِتَغْلِيقِ الْأَبْوَابِ وَالِاحْتِفَاظِ مِنَ الدَّاخِلِ كَانَ أَقْوَى أَيْضًا لِلطَّلَبِ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَمَمْلُوكِهَا وَهِيَ كَالْحَاكِمَةِ عَلَيْهِ الْآمِرَةِ النَّاهِيَةِ لَهُ، كَانَ أَبْلَغَ فِي الدَّاعِي، فَإِذَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ شَدِيدَةَ الْعِشْقِ وَالْمَحَبَّةِ لِلرَّجُلِ، قَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهَا مِنْ حُبِّهِ، فَهَذَا الِابْتِلَاءُ الَّذِي لَا يَصْبِرُ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الِابْتِلَاءَ أَعْظَمُ مِنَ الِابْتِلَاءِ الْأَوَّلِ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ ابْتِلَاءِ الْخَلِيلِ ﷺ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، إِذْ كِلَاهُمَا ابْتِلَاءٌ بِمُخَالَفَةِ الطَّبْعِ وَدَوَاعِي النَّفْسِ وَالشَّهْوَةِ، وَمُفَارَقَةِ حُكْمِ الطَّبْعِ جُمْلَةً، وَهَذَا بِخِلَافِ الْبَلْوَى الَّتِي أَصَابَتْ ذَا النُّونِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالَّتِي أَصَابَتْ أَيُّوبَ صَلَوَاتُ

اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»(١).

وَمِنَ الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ بعْدَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رضي الله عنه مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ [رضي الله عنهم] فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَمَنَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ، ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَأَتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا [رضي الله عنه]، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ فِي مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»(٢).

وَمِنْهُمْ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ الَّتِي كَانَتْ تُصْرَعُ:

عَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» قَالَتْ: أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٤٩٥-٤٩٧ ط. المجمع).

(٢) (**صحيح**) أخرجه الحاكم (٥٣٢٨) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»(١).

وَمِنْهُمْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ:

عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ رحمه الله: أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ إِلَى الوَلِيْدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي القُرَى، وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئاً، فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، ثُمَّ تَرَقَّى بِهِ الوَجَعُ، وَقَدِمَ عَلَى الوَلِيْدِ وَهُوَ فِي مَحْمِلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، اقْطَعْهَا. قَالَ: دُوْنَكَ، فَدَعَا لَهُ الطَّبِيْبَ، وَقَالَ: اشْرَبْ المُرْقِدَ (الْمُنَوِّم) فَلَمْ يَفْعَلْ، فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ السَّاقِ، فَمَا زَادَ أَنْ يَقُوْلَ: حَسِّ حَسِّ؛ فَقَالَ الوَلِيْدُ: مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا. وَأُصِيْبَ عُرْوَةُ بِابْنِهِ مُحَمَّدٍ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ، رَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فِي اصْطَبْلٍ، فَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً. فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي القُرَى، قَالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [سورة الكهف: ٦٢]. اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُوْنَ سَبْعَةٌ، فَأَخَذْتَ وَاحِدًا أَبْقَيْتَ لِي سِتَّةً، وَكَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ، فَأَخَذْتَ طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثَةً، وَلَئِنْ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ»(٢).

وَمِنْهُمْ أَبُو قِلَابَةَ الجَرْمِيُّ عَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ: تِلْمِيذُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رحمه الله: وَقَدْ أَخْبَرَنِي عَبْدُ المُؤْمِنِ شَيْخُنَا: أَنَّ أَبَا قِلَابَةَ مِمَّنْ ابْتُلِيَ فِي بَدَنِهِ وَدِيْنِهِ، أُرِيْدَ عَلَى القَضَاءِ، فَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ، فَمَاتَ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦) وغيرهما.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٥٥٣)، وحلية الأولياء (٢/ ١٧٩)، وتاريخ ابن عساكر (٤٢/ ٢١١-٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠-٤٣١).

بِعَرِيْشِ مِصْرَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَة، وَقَدْ ذَهَبَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَبَصَرُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ حَامِدٌ شَاكِرٌ»(١).

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ ابْنُ حِبَّانَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي كِتَابِ «الثِّقَاتِ» (٥/ ٣- ٥) قَصَّة مَوْتِهِ وَصَبْرِهِ الْعَجِيبَةَ – فَرَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُرَابِطًا وَكَانَ رَابِطُنَا يَوْمَئِذٍ عَرِيش مِصْرَ قَالَ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى السَّاحِلِ فَإِذَا أَنَا بِبَطِيحَةٍ وَفِي الْبَطِيحَةِ خيمة فِيهَا رجل قد ذهب يَدَاهُ وَرجلَاهُ وَثقل سَمعه وبصره وَمَا لَهُ من جارحة تَنْفَعهُ إِلَّا لِسَانه وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَحْمَدَكَ حَمْدًا أُكَافِئُ بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْت بِهَا عَلَيَّ وَفَضَّلْتَنِي على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْت تَفْضِيلًا.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قُلْتُ: وَاللهِ لآتِيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ، وَلَأَسْأَلَنَّهُ أَنَّى لَهُ هَذَا الْكَلامُ!! فَهْمٌ أَمْ عِلْمٌ أَمْ إِلْهَامٌ أُلْهِمَ؟! فَأَتَيْتُ الرَّجُلَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَحْمَدَكَ حَمْدًا أُكَافِئُ بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَفَضَّلْتَنِي على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلًا. فَأَيُّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ تَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَأَيُّ فَضِيلَةٍ تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْكَ تَشْكُرُهُ عَلَيْهَا؟!! قَالَ: وَمَا تَرَى مَا صَنَعَ رَبِّي، وَاللهِ لَوْ أَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيَّ نَارًا فَأَحْرَقَتْنِي، وَأَمَرَ الْجِبَالَ فَدَمَّرَتْنِي، وَأَمَرَ الْبِحَارَ فَغَرَّقَتْنِي، وَأَمَرَ الْأَرْضَ فَبَلَعَتْنِي، مَا ازْدَدْتُ لِرَبِّي إِلا شُكْرًا لِمَا أَنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي هَذَا، وَلَكِنْ يَا عَبْدَ اللهِ إِذْ أَتَيْتَنِي لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، قَدْ تَرَانِي عَلَى أَيِّ

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٤).

حَالَتِي أَنَا، أَنَا لَسْتُ أَقْدِرُ لِنَفْسِي عَلَى ضُرٍّ وَلا نَفْعٍ، وَلَقَدْ كَانَ مَعِي بُنَيٌّ لِي يَتَعَاهَدُنِي فِي وَقتِ صَلَاتِي فَيُوَضِّينِي، وَإِذَا جُعْتُ أَطْعَمَنِي، وَإِذَا عَطِشْتُ سَقَانِي، وَلَقَدْ فَقَدْتُهُ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فَتَحَسَّسْهُ لِي رَحِمَكَ اللهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا مَشَى خَلْقٌ فِي حَاجَةِ خَلْقٍ كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ أَجْرًا مِمَّنْ يَمْشِي فِي حَاجَةِ مِثْلِكَ، فَمَضَيْتُ فِي طَلَبِ الْغُلامِ، فَمَا مَضَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى صِرْتُ بَيْنَ كُثْبَانٍ مِنَ الرَّمْلِ، فَإِذَا أَنَا بِالْغُلامِ قَدِ افْتَرَسَهُ سَبُعٌ وَأَكَلَ لَحْمَهُ، فَاسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ: أَنَّى لِي وَجْهٌ رَقِيقٌ آتِي بِهِ الرَّجُلَ، فَبَيْنَمَا أَنَا مُقْبِلٌ نَحْوَهُ إِذْ خَطَرَ على قَلْبِي ذِكْرُ أَيُّوبَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقَالَ: أَلَسْتَ بِصَاحِبِي؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: مَا فَعَلْتَ فِي حَاجَتِي!! فَقُلْتُ: أَنْتَ أَكْرَمُ على اللهِ أَمْ أَيُّوبُ النَّبِيُّ؟! قَالَ: بَلْ أَيُّوبُ النَّبِيُّ. قُلْتُ: هَلْ عَلِمْتَ مَا صَنَعَ بِهِ رَبُّهُ؟ أَلَيْسَ قَدِ ابْتَلاهُ بِمَالِهِ وَآلِهِ وَوَلَدِهِ؟! قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ؟ قَالَ: وَجَدَهُ صَابِرًا شَاكِرًا حَامِدًا، قُلْتُ: لَمْ يَرْضَ مِنْهُ ذَلِكَ حَتَّى أَوْحَشَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ رَبُّهُ؟ قَالَ: وَجَدَهُ صَابِرًا شَاكِرًا حَامِدًا. قُلْتُ: فَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِذَلِكَ حَتَّى صَيَّرَهُ عَرَضًا لِمَارِّ الطَّرِيقِ؟ هَلْ عَلِمْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ رَبُّهُ؟ قَالَ: صَابِرًا شَاكِرًا حَامِدًا، أَوْجِزْ رَحِمَكَ اللهُ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْغُلامَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي فِي طَلَبِهِ وَجَدْتُهُ بَيْنَ كُثْبَانِ الرَّمْلِ، وَقَدِ افْتَرَسَهُ سَبُعٌ فَأَكَلَ لَحْمَهُ، فَأَعْظَمَ اللهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ. فَقَالَ الْمُبْتَلَى: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْ ذُرِّيَّتِي خَلْقًا يَعْصِيهِ، فَيُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ. ثُمَّ اسْتَرْجَعَ، وَشَهَقَ شَهْقَةً فَمَاتَ. فَقُلْتُ: إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَظُمَتْ مُصِيبَتِي، رَجُلٌ مِثْلُ هَذَا إِنْ تَرَكْتُهُ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ، وَإِنْ قَعَدْتُ لَمْ أَقْدِرْ على ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ، فَسَجَّيْتُهُ [غَطَّيْتُهُ] بِشَمْلَةٍ

كَانَتْ عَلَيْهِ، وَقَعَدْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ بَاكِيًا، فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ تَهَجَّمَ عَلَيَّ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ!! فَقَالُوا: يَا عَبْدَ اللهِ مَا حَالُكَ؟ وَمَا قِصَّتُكَ؟! فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ قِصَّتِي وَقِصَّتَهُ؛ فَقَالُوا لِي: اكْشِفْ لَنَا عَنْ وَجْهِهِ فَعَسَى أَنْ نَعْرِفَهُ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِهِ، فَانْكَبَّ الْقَوْمُ عَلَيْهِ يُقَبِّلُونَ عَيْنَيْهِ مَرَّةً وَيَدَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُونَ: بِأَبِي، عَيْنٌ طَالَمَا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَبِأَبِي وَجِسْمُهُ طَالَمَا كُنْتَ سَاجِدًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَرْحَمُكُمُ اللهُ!! فَقَالُوا: هَذَا أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِي صَاحِبُ ابن عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما] لَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَغَسَّلْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ بِأَثْوَابٍ كَانَتْ مَعَنَا، وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، وَدَفَنَّاهُ، فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَانْصَرَفْتُ إِلَى رِبَاطِي، فَلَمَّا أَنْ جَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَضَعْتُ رَأْسِي؛ فَرَأَيْتُهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَتْلُو الْوَحْيَ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الرعد:٢٤]. فَقُلْتُ: أَلَسْتَ بِصَاحِبِي؟ قَالَ: بَلَى. فَقُلْتُ: أَنَّى لَكَ هَذَا ؟ قَالَ: إِنَّ للهِ دَرَجَاتٍ لَا تُنَالُ إِلا بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، مَعَ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ».

فَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَبِي قَلَابَةَ وَرضي الله عنه.

وَمِنْهُمْ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي، وَالصِّدِّيقُ الثَّانِي، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ رحمه الله:

صَبَرَ رضي الله عنه عَلَى السِّجْنِ، وَالضَّرْبِ بِالسِّيَاطِ، وَالتَّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ، مَمَّا جَعَلَ صَبْرَهُ وَثَبَاتَهُ مِثَالًا يُحْتَذَى، بَلْ سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ كُلُّهَا مِثَالًا لِلصَّبْرِ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ شَأنَهُ بِهَذَا، حَتَّى لُقِّبَ بِإِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

فَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَرْجَمَتْ لَهُ، تَجِدْ عَجَبًا، وَتَحْصُلْ عَلَى فَوَائِدَ

إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ إبْرَاهِيمُ بْنُ إسْحَاق الْحَرْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ يَكُونُ قَمِيصِي أَنظفَ قَمِيْصٍ، وَإِزَارِي أَوسَخَ إِزَارٍ، مَا حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُمَا يَسْتَوِيَان قَطُّ، وَفَرْدُ عَقِبِي (أي النَّعْل) مَقْطوعٌ، وَفَرْدُ عَقِبِي الْآخَر صَحِيْحٌ، أمْشِي بِهِمَا، وَأدُورُ بَغْدَادَ كُلَّهَا، هَذَا الجَانِبَ وَذَاكَ الجَانِبَ، لَا أُحَدِّث نَفْسِي أَنِّي أُصْلِحْهَا ، وَمَا شَكَوْتُ إِلَى أمِّي، ولَا إخْوَتِي، وَلَا إلَى امْرِأتِي، وَلَا إلَى بَنَاتِي قَطُّ حُمَّى وَجَدْتُهَا، الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُدْخِلُ غَمَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَغُمُّ عِيَالَهُ. كَانَ بِي شَقِيقَةٌ (صُدَاعٌ نِصْفِيٌّ) خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَخْبَرْتُ بِهَا أحَدًا قَطُّ؛ وَلِيَ عَشْرُ سِنِيْنَ أُبْصِرُ بِفَرْدِ عَيْنٍ، مَا أَخْبَرَتُ بِهِ أَحَدًا. وَأَفْنَيْتُ مِنْ عُمُرِي ثَلَاثِيْنَ سَنَةً برَغِيْفَيْنِ، إنْ جَاءَتْنِي بِهِمَا أُمِّي أَوْ أُختِي أكَلْتُ، وإلَّا بَقِيتُ جَائِعًا عَطْشَانَ إلَى اللَّيْلَة الْأُخْرَى. وَالْآنَ آكُلُ نِصْفَ رغِيْفٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ تمرَةً. وَمَرِضَتِ ابْنَتِي فَمَضَتْ امْرَأَتِي فَأَقَامَتْ عِنْدَها شَهْرًا، فَقَامَ إفْطَارِي فِي هَذَا الشَّهْرِ بِدِرْهَمٍ وَدَانِقَيْنِ[(١)] وِنِصْفٍ؛ وَدَخَلْتُ الحَمَّامَ وَاشْتَرَيْتُ لَهُم صَابُونًا بِدَانِقَيْنِ، فَقَامَ نَفَقَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ كُلِّهِ بِدِرْهَمٍ وَأَرْبَعَةِ دَوَانِقٍ وِنِصْفٍ[(٢)].

وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

فَقَدِ اشْتَهَرَ صَبْرُهُ عَلَى الْفَقْرِ، وَعَلَى السِّجْنِ حَتَّى مَاتَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–

---

(١) الدِّرْهَمُ: سِتَّةُ دَوَانِقَ. [المصباح المنير مادة: د ر هـ].

(٢) تاريخ بغداد (٦ / ٣٠-٣١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٧).

سَجِينًا، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ. بَلْ سَارَتِ الرُّكْبَانُ، وَتَحَدَّثَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ بِصَبْرِ ابْنِ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بِمَا يُغْنِي عَنْ ذِكْرِه. فَلِلَّهِ دَرُّهُ، وَعَلَيْهِ شُكْرُهُ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

فَـ«الصَّبْرُ مِنْ آكَدِ الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ، وَأَلْزَمِهَا لِلْمُحِبِّينَ. وَهُمْ أَحْوَجُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ مِنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ. وَهُوَ مِنْ أَعْرَفِ الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِ التَّوْحِيدِ وَأَبْيَنِهَا. وَحَاجَةُ الْمُحِبِّ إِلَيْهِ ضَرُورِيَّةٌ»(١).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٤/١٠٠ ط. المجمع)**:

«فَمَنْ وَفَّى الصَّبْرَ حَقَّهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَمْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ، وَمَتَى ضَعُفَ صَبْرُهُ أَوْيَقِينُهُ أَوْ كِلَاهُمَا اسْتَفَزَّهُ هَؤُلَاءِ وَاسْتَخَفَّهُ هَؤُلَاءِ، فَجَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ ضَعْفِ قُوَّةِ صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ، فَكُلَّمَا ضَعُفَ ذَلِكَ مِنْهُ قَوِيَ جَذْبُهُمْ لَهُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ قَوِيَ انْجِذَابُهُ مِنْهُمْ وَجَذْبُهُ لَهُمْ».

وَأَخْتِمْ هَذَا الْفَصْلَ بِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ «عُدَّة الصَّابِرِين»** ص (٨٧–٨٨ تحقيق صاحبنا الشيخ سليم الهلالي):

كُلُّ أَحَدٍ لَابُدَّ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى بَعْضِ مَا يَكْرَهُ إِمَّا اخْتِيَارًا وَإِمَّا اضْطِرَارًا، فَالْكَرِيمُ يَصْبِرُ اخْتِيَارًا لِعِلْمِهِ بِحُسْنِ عَاقِبَةِ الصَّبْرِ، وَأَنَّهُ يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَيُذَمُّ عَلَى الْجَزَعِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ لَمْ يَرُدَّ الْجَزَعُ عَلَيْهِ فَائِتًا، وَلَمْ يَنْزِعْ مِنْهُ مَكْرُوهًا، وَأَنَّ الْمَقْدُورَ لَا حِيلَةَ فِي دَفْعِهِ، وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ لَا حِيلَةَ فِي تَحْصِيلِهِ،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣ ط. المجمع).

فَالْجَزَعُ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ.

فَإِذَا كَان آخِرُ الْأَمْرِ الصَّبْرَ، وَالْعَبْدُ غَيْرُ مَحْمُودٍ، فَمَا أَحْسَن بِهُ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْأَمْرَ فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَسْتَدْبِرُهُ الْأَحْمَقُ فِي آخِرِهِ.

وقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ صَبْرَ الْكِرَامَ سَلَا سُلُوَّ الْبَهَائِمِ.

فَالْكَرِيمُ يَنْظُرُ إِلَى الْمُصِيبَةِ، فَإِنْ رَأى الْجَزَعَ يَرُدُّهَا، وَيَدْفَعُهَا!! فَهَذَا قَدْ يَنْفَعُهُ الْجَزَعُ!!! وَإِنْ كَانَ الْجَزَعُ لَا يَنْفَعُهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْمُصِيبَةَ مُصِيبَتَيْنِ.

وَأَمَّا اللَّئِيمُ فَإِنَّهُ يَصْبِرُ اضْطِرَارًا، فَإِنَّهُ يَحُومُ حَوْلَ سَاحَةِ الْجَزَعِ فَلَا يَرَاهَا تُجْدِي عَلَيْهِ شَيْئًا، فَيَصْبِرُ صَبْرَ الْمُوثَقِ لِلضَّرْبِ.

وَأَيْضًا: فَالْكَرِيمُ يَصْبِرُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، واللَّئِيم يَصْبِرُ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَاللِّئَامُ أَصْبَرُ النَاسِ فِي طَاعَةِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَأَقَلُّ النَاسِ صَبْرًا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ. فَاللَّئِيمُ يَصْبِرُ عَلَى الْبَذْلِ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ أَتَمَّ صَبْرٍ، وَلَا يَصْبِرُ فِي طَاعَةِ اللهِ فِي أَيْسَرِ شَيْءٍ، وَيَصْبِرُ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ لِهَوَى نَفْسِهِ فِي مَرْضَاةِ عَدُوِّهِ، وَلَا يَصْبِرُ فِي أَدْنَى الْمَشَاقِّ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يُقَالُ فِي عِرْضِهِ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى ما يُقَالُ فِي عِرْضِهِ إِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ، بَلْ يَفِرُّ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ خَشْيَةَ أَنْ يُتَكَلَّمَ فِي عِرْضِهِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَيَبْذُلُ عِرْضَهُ في هَوَى نَفْسِهِ وَهَوَى مَرْضَاتِهِ صَابِرًا عَلَى مَا يُقَالُ فِيهِ. وَكَذَلِكَ يَصْبِرُ عَلَى التَّبَذُّلِ بِنَفْسِهِ وَجَاهِهِ في هَوَى نَفْسِهِ وَمُرَادِهِ، وَلَا يَصْبِر عَلَى التَّبَذُّلِ لِلهِ فِي مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتِهِ، فَهُوَ أَصْبَرُ شَيْءٍ عَلَى التَّبَذُّلِ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَمُرَادِ النَّفْسِ، وَأَعْجَزُ شَيْءٍ عَنِ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ فِي اللهِ، وَهَذَا أَعْظَمُ اللُّؤْمِ، وَلَا يَكُونُ صَاحِبُهُ كَرِيمًا عِنْدَ اللهِ،

وَلَا يَقُومُ مَعَ أَهْلِ الْكَرَمِ إِذَا نُودِيَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْجَمْعِ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ الْيَوْمَ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟!. انتهى.

رَحِمَ اللهُ ابْنَ الْقَيِّمِ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَمَا أَكْثَرَ اللِّئَامِ فِي زَمَانِنَا!! لَا كَثَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: **الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ عَلَى مَنْهَجِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى بَصِيرَةٍ**، فَهِيَ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، فَكُلُّهُمْ قَامُوا بِدَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا** أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[سورة النحل: ٣٦]. وقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٤٨]. وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[سورة العَنْكبوت: ١٨] وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[سورة النساء: ١٦٥]. ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

وَمَا أَجْمَلَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت: ٣٣ – ٣٥].

«فَمَنْ دَعَا إِلَى اللهِ تَعَالَى فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ رَسُولِهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَمنْ دَعَا إِلَى غَيْرِ ذَلِك فَلَيْس عَلَى سَبِيلِهِ، وَلَا هُوَ على بَصِيرَةٍ، وَلَا هُوَ مِنْ أَتْبَاعِهِ. **فَالدَّعْوَةُ إِلَى الله تَعَالَى هِيَ وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ**

وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهُمْ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ فِي أُمَمِهِمْ، وَالنَّاسُ تَبَعٌ لَهُمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَ رَسُولَهُ [ﷺ] أَنْ يُبَلِّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَضَمِنَ لَهُ حِفْظَهُ وَعِصْمَتَهُ مِنَ النَّاسِ، وَهَكَذَا المُبَلِّغُونَ عَنْهُ مِنْ أُمَّتِهِ لَهُمْ مِنْ حِفْظِ اللهِ وَعِصْمَتِهِ إِيَّاهُمْ بِحَسَبِ قِيَامِهِمْ بِدِينِهِ وَتَبْلِيغِهِمْ لَهُ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ وَلَوْ آيَةً، وَدَعَا لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ وَلَوْ حَدِيثًا، وَتَبْلِيغُ سُنَّتِهِ إِلَى الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ تَبْلِيغِ السِّهَامِ إِلَى نُحُورِ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّبْلِيغَ يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَبْلِيغُ السُّنَنِ فَلَا تَقُومُ بِهِ إِلَّا وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَخُلَفَاؤُهُمْ فِي أُمَمِهِمْ، جَعَلَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ(١).

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»(٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه لَمَّا أَرْسَلَهُ لِقِتَالِ أَهْلِ خَيْبَرَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَ اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ**

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ص (٤٩٢-٤٩٣).

(٢) حديث متواتر، جاء عن أكثر من عشرين صحابيًا، وقد جمع طرقه وتكلم عليها العلّامة عبد المحسن العباد في كتابه «**دراسة حديث نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي**..» رواية ودراية.

ومنهم زيد بن ثابت رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٧)، والترمذي (٣٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠) وغيرهم بإسناد صحيح.

اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٣).

وَمَا أَجْمَل مَا قَالَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «الرَّدّ عَلَى الزنادقة والجهمية»:

«الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَمَا أَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، والترمذي (٢٦٦٩)، وأحمد (٦٤٨٦، ٦٨٨٨) وغيرهم

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجه (٢٠٦)، وأحمد (٩١٦٠) وغيرهم.

الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللهِ وَفِي اللهِ وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتَنِ الْمُضِلِّينَ».

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١ /٢٧٦):

«فإِنَّ النَّضْرَةَ هِيَ البَهْجَةُ والحُسْنُ الَّذِي يُكْسَاهُ الوَجْهُ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ، وابْتِهَاجِ البَاطِنِ بهِ وفَرَحِ الْقَلْبِ وسُرُورِهِ والْتِذَاذِهِ بِهِ، كَمَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ١١].

فالنَّضْرَةُ في وُجُوهِهِمْ، وَالسُّرُورُ فِي قُلُوبِهِمْ، فالنَّعِيمُ وَطِيبُ الْقَلْبِ يُظْهِرُ نَضَارَةً فِي الْوَجْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [سورة المطففين: ٢٤].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذِهِ النَّضْرَةَ فِي وَجْهِ مَنْ سَمِعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغهَا، فَهِيَ أَثَرُ تِلْكَ الْحَلَاوَةِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ وَبَاطِنِهِ ». انتهى.

« فَأَمَرَ ﷺ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ؛ لِمَا فِي ذَلِك مِنْ حُصُولِ الْهُدَى بِالتَّبْلِيغِ، وَلَهُ ﷺ أَجْرُ مَنْ بَلَّغَ عَنْهُ، وَأَجْرُ مَنْ قَبِلَ هَذَا الْبَلَاغ. وَكُلَّمَا كَثُرَ التَّبْلِيغُ عَنْهُ تَضَاعف لَهُ الثَّوَاب؛ فَلهُ مِن الأجر بِعَدَد كل مبلّغ وكل مهتدٍ بذلك الْبَلَاغِ سِوَى مَا لَهُ من أجْرِ عَمَلِهِ الْمُخْتَصّ بِهِ، فَكُلُّ مَن هُدِيَ وَاهْتَدَى بِتَبْلِيغِهِ فَلَهُ الْأَجْرُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الدَّاعِي إِلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي تَبْلِيغ الْعِلْمِ عَنْهُ إِلَّا حُصُولُ مَا يُحِبُّهُ ﷺ لَكَفَى بِهِ فَضْلًا.

وَعَلَامَةُ الْمُحِبِّ الصَّادِقِ أَنْ يَسْعَى فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ مَحْبُوبِهِ، وَيَبْذُلَ جُهْدَهُ وَطَاقَتَهُ فِيهَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِيصَالِهِ الْهُدَى إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، فَالْمُبَلِّغُ عَنْهُ سَاعٍ فِي حُصُول محابِّه، فَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِبُهُ وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ، وَكَفَى بِهَذَا فضْلًا وَشَرَفًا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ»(١).

وَتَفَكَّرْ فِي دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العَنْكبوت: ١٤].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ ﴾ [سورة نوح: ٥ – ١٣].

فَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نُوحٍ، مَا أَصْبَرَهُ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِهِ كُلَّ هَذَا الزَّمَانِ الطَّوِيلِ، وَمَا أَعْظَمَ انْشِرَاحَ صَدْرِهِ بِالْقِيَامِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ قَوْمُهُ!!.

وَانْظُرْ لِدَعْوَةِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفَ

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٩).

الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَانْشِرَاحِ صَدْرِهِ لِلدَّعْوَةِ، وَلَوْ كَانَ فِي سِجْنِ الظَّالِمِينَ!! ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [سورة يوسف: ٣٦ – ٤١].

أَمَّا نَبِيُّنَا ﷺ فَقَدْ كَانَ لَهُ الْقَدَحُ الْمُعلَّى فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَإِلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ، وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ، وَإِرَادَةُ الِاخْتِصَارِ؛ لَذَكَرْتُ الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ**

كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(١)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ(٢)؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ

---

(١) قرن الثعالب: هو قرن المنازل ميقات أهل نجد.

(٢) الأخشبان: الجبلان وهما جبل أبي قبيس والذي يقابله.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٦، ٥٦٥٧)، وأبو داود (٣٠٩٥)، وأحمد (١٢٧٩٢، ١٢٧٩٣، ١٣٣٧٥، ١٣٧٣٦، ١٣٩٧٧، ١٣٩٧٨) وغيرهم.

يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة المسد: ١ - ٢](١).

« كُلُّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ فَمِنْ الدَّعْوَةِ إلَى اللهِ الْأَمْرُ بِهِ، وَكُلُّ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ؛ فَمِنْ الدَّعْوَةِ إلَى اللهِ النَّهْيُ عَنْهُ، لَا تَتِمُّ الدَّعْوَةُ إلَى اللهِ إلَّا بِالدَّعْوَةِ إلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَيَتْرُكَ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ أَوْ الظَّاهِرَةِ»(٢).

« فَالدَّعْوَةُ إلَى اللهِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ وَهُمْ أُمَّتُهُ يَدْعُونَ إلَى اللهِ كَمَا دَعَا إلَى اللهِ وَكَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَمْرَهُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهْيَهُمْ عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ وَإِخْبَارَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ ؛ إذْ الدَّعْوَةُ تَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَالنَّهْيَ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ..... وَهَذَا الْوَاجِبُ وَاجِبٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ فَرْضَ كِفَايَةٍ إذَا قَامَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ فَالْأُمَّةُ كُلُّهَا مُخَاطَبَةٌ بِفِعْلِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنْ إذَا قَامَتْ بِهِ طَائِفَةٌ سَقَطَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٥، ٣٥٢٦، ٤٧٧٠، ٤٨٠١، ٤٩٧١، ٤٩٧٢)، ومسلم (٢٠٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٢٦–١٠٩٣٠)، والترمذي (٣٣٦٣)، وأحمد (٢٨٠١) وغيرهم.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٦٤).

عَنْ الْبَاقِينَ.

فَمَجْمُوعُ أُمَّتِهِ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي الدَّعْوَةِ إلَى اللَّهِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ إجْمَاعُهُمْ حُجَّةً قَاطِعَةً فَأُمَّتُهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الْأُمَّةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنْ الدَّعْوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ وَمَا عَجَزَ لَمْ يُطَالَبْ بِهِ. وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ ؛ وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجِبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ تَقَسَّطَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ تَارَةً وَبِحَسَبِ غَيْرِهِ أُخْرَى ؛ فَقَدْ يَدْعُو هَذَا إلَى اعْتِقَادِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إلَى عَمَلٍ ظَاهِرٍ وَاجِبٍ وَهَذَا إلَى عَمَلٍ بَاطِنٍ وَاجِبٍ ؛ فَتَنَوُّعُ الدَّعْوَةِ يَكُونُ فِي الْوُجُوبِ تَارَةً وَفِي الْوُقُوعِ أُخْرَى . وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدَّعْوَةَ إلَى اللَّهِ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ لَكِنَّهَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتَبْلِيغ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ»(١).

وَانْظُرْ وتَفَكَّرْ وتَدَبَّرْ في مَوْقِفِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رضي الله عنه

فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٦٥-١٦٦).

سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ [رضي الله عنه] فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ،

قَالَتْ عَائِشَةُ [ﷺ]: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١) .

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: «خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فُقِدْتَ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِكَ، وَاتَّهَمُوكَ بِالْعَيْبِ لِآبَائِهَا وَأُمَّهَاتِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي رَسُولُ اللهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ**» فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] فَانْطَلَقَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ أَحَدٌ أَكْثَرُ سُرُورًا مِنْهُ بِإِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ فَرَاحَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ جَاءَ الْغَدَ بِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَالْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ فَأَسْلَمُوا رضي الله عنهم.

قَالَتْ [عَائِشَةَ]: لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ». فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه] يُلِحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبُوا فِي

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦، ٢٢٩٧، ٣٩٠٥)، وأحمد (٢٥٦٢٦) وغيرهما.

نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَيْنِ وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ، وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ، وَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ يَتَعَادَوْنَ، فَأَجْلَتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ [رضي الله عنه] وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ، وَلَا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ، وَقَالُوا: وَاللهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ، فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ فَمَسُّوا مِنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَعَذَلُوهُ، ثُمَّ قَامُوا، وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمِّ الْخَيْرِ: انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا، أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ. فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي عَلْمٌ بِصَاحِبِكَ. فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ. فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَإِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكِ إِلَى ابْنِكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيعًا دَنِفًا، فَدَنَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَأَعْلَنَتْ بِالصِّيَاحِ، وَقَالَتْ: وَاللهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ لَأَهْلُ فِسْقٍ وَكُفْرٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ لَكَ. قَالَ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟! قَالَتْ: هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ. قَالَ: فَلَا شَيْءَ عَلَيْكِ مِنْهَا. قَالَتْ: سَالِمٌ صَالِحٌ. قَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ: فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ. قَالَ: فَإِنَّ لِلهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا أَوْ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَأَمْهَلَتَا حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ وَسَكَنَ النَّاسُ، خَرَجَتَا بِهِ يَتَّكِئُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلَتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَكَبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ

ﷺ فَقَبَّلَهُ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ [رضي الله عنه]: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ، فَادْعُهَا إِلَى اللهِ وَادْعُ اللهَ لَهَا عَسَى اللهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَاهَا إِلَى اللهِ فَأَسْلَمَتْ، وَأَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّارِ شَهْرًا، وَهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا»(١).

وَهَذَا فَارُوقُ الْإِسْلَامِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَدْعُو إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ ابْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ [رضي الله عنهما]، قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ، قَالَ: قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ [رضي الله عنهما]، غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى

---

(١) أخرجه خيثمة بن سليمان في حديثه ص (١٢٥–١٢٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٩١٦)، وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة رقم (٣٢٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠ / ٤٦–٤٨).

يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي أَوْ أَكَلَنِي الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ [رضي الله عنهما]، فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدَمٍ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى

لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ، يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما]، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ [رضي الله عنها] وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ [رضي الله عنهم]، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ، فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ

أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلَا خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، «الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ»، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الْإِسْلَامِ، وَجُبَاةُ الْمَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ. وَأُوصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ [رضي الله عنهما]، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ»(١).

وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه

عَنِ الْبَرَاءِ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلاَ يُقْرِئَانِنَا القُرْآنَ»(٢).

«ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ومَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ [رضي الله عنه]، إِنَّمَا بَعَثَهُ بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا كَتَبُوا إِلَيْهِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ فَشَا فِينَا، فَابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهُنَا فِي الْإِسْلَامِ وَيُقِيمُنَا لِسُنَّتِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٤، ٣٩٢٥، ٤٩٤١)، والنسائي في الكبرى (١١٧٧٨)، وأحمد (١٨٥١٢، ١٨٥٦٨) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) وغيره.

وَشَرَائِعِهِ، وَيَؤُمُّنَا فِي صَلَاتِنَا، فَبعَثَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ [رضي الله عنه] فَكَانَ يَنْزِلُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أسعد بن زرارة، وكان مُصْعَبُ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ الْمُقْرِئَ، وَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى دُورِ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُفَقِّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ. وَكَانَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَؤُمَّهُ بَعْضٌ»، فَخَرَجَ بِهِ يَوْمًا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ، وَهِيَ قَرْيَةُ لِبَنِي ظَفَرٍ دُونَ قَرْيَةِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ- وَكَانَا ابْنَيْ عَمٍّ- يُقَالُ لَهَا بِئْرُ مَرْقٍ فَسَمِعَ بِهِمَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ ابْنُ خَالَتِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، فَقَالَ لِأُسَيْدِ ابْنِ حُضَيْرٍ: ائْتِ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ فَازْدَجِرْهُ عَنَّا فَلْيَكُفَّ عَنَّا مَا نَكْرَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِهَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ مَعَهُ يَتَسَفَّهُ بِهِ سُفَهَاؤُنَا وَضُعَفَاؤُنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ. فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْحَرْبَةَ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَاهُمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا وَاللهِ سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ فَأَبْلِ اللهَ فِيهِ بَلَاءً حَسَنًا. قَالَ: إِنْ يَقْعُدْ أُكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا فَقَالَ: يا أسعد! مالنا وَلَكَ تَأْتِينَا بِهَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ يَسْفَهُ بِهِ سُفَهَاؤُنَا وَضُعَفَاؤُنَا، فَقَالَ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ. فَقَالَ: قَدْ أَنْصَفْتُمْ، ثُمَّ رَكَزَ الحربة وجلس، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ [رضي الله عنه] وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فو الله لَعَرَفْنَا الْإِسْلَامَ فِي وَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ، وَكَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا دَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلَ، وَتُطَهِّرَ ثيابك، وتشهد شهادة الحق، وَتُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِي

إِنْ تَابَعَكُمَا لَمْ يُخَالِفْكُمَا أَحَدٌ بَعْدَهُ. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا قَالَ: أَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَجَعَ عَلَيْكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، مَاذَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: قَدِ ازْدَجَرْتُهُمَا، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ يُرِيدُونَ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ لِيُخْفِرُوكَ فِيهِ، لِأَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ سَعْدٌ مُغْضَبًا فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، قَالَ: وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمَا، قَالَ لِمُصْعَبٍ: هَذَا وَاللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِنْ هُوَ تَابَعَكَ لَمْ يُخَالِفْكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ، فَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ [ﷺ]: إِنْ يَسْمَعْ مِنِّي أُكَلِّمْهُ. فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: يَا أَسْعَدُ! مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَغْشَانِي بِمَا أَكْرَهُ- وَهُوَ مُتَشَتِّمٌ- أَمَا وَاللهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا طَمِعْتَ فِي هَذَا مِنِّي، فَقَالَ لَهُ: أَوْ تَجْلِسَ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ أُعْفِيتَ مِمَّا تَكْرَهُ. قَالَ: أَنْصَفْتُمَانِي، ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فو الله لَعَرَفْنَا فِيهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِتَسَهُّلِ وَجْهِهِ. ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَكَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا دَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ فَقَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ، وَتُطَهِّرُ ثيابك وتشهد شهادة الحق، وَتَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَامَ فَفَعَلَ ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ وَانْصَرَفَ عَنْهُمَا إِلَى قَوْمِهِ. فَلَمَّا رَآهُ رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا: نُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدَكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: نَعْلَمُكَ وَاللهِ خَيْرَنَا وَأَفْضَلَنَا فِينَا رَأْيًا، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ نِسَائِكُمْ وَرِجَالِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ، وَتَصَدِّقُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فو الله مَا أَمْسَى فِي ذَلِكَ

الْيَوْمِ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا. ثُمَّ انْصَرَفَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ [رضي الله عنه] إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ [رضي الله عنه] فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَخَطْمَةَ وَوَائِلٍ وَوَاقِفٍ. ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ [رضي الله عنه] رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ»(١).

وَمَا زَالَ أَتْبَاعُهُ صلى الله عليه وآله وسلم فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ، وَزَمَانٍ وَمَكَانٍ، إِلَى زَمَنِنَا هَذَا يَدْعُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، تَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَإِنْ نَالَهُمُ الْإِيذَاءُ وَالتَّعْذِيبُ وَالسَّجْنُ وَالطَّرْدُ وَالتَّشْرِيدُ وَالْقَتْلُ، كُلُّ ذَلِكَ مُنْشَرِحَةٌ صُدُورُهُمْ، صَابِرَةٌ نُفُوسُهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمه الله فِي كِتَابِهِ «صَيْدِ الْخَاطِرِ» ص (٢٣٧ ط. دار القلم):

«وَعَلَى الْحَقِيقَةِ الزُّهَّادُ فِي مَقَامِ الْخَفَافِيشِ، وَقَدْ دَفَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعُزْلَةِ عَنْ نَفْعِ النَّاسِ، وَهِيَ حَالَةٌ حَسَنَةٌ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ مِنْ خَيْرٍ، مِنْ جَمَاعَةٍ، وَاتِّبَاعِ جَنَازَةٍ، وَعِيَادَةِ مَرِيضٍ، إِلَّا أَنَّهَا حَالَةُ الْجُبَنَاءِ، فَأَمَّا الشُّجْعَانُ فَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَهِيَ مَقَامَاتُ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، أَتَرَى كَمْ بَيْنَ الْعَابِدِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ حَادِثَةٌ وَبَيْنَ الْفَقِيهِ؟! بِاللهِ، لَوْ مَالَ الْخَلْقُ إِلَى التَّعَبُّدِ؛ لَضَاعَتِ الشَّرِيعَةُ».

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٧-٣٦٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٣٧-٤٤٠)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٠ -٥٤)، والرقة والبكاء لابن قدامة ص (١٢١-١٢٣).

وَمِنْ أَسْبَابِ انْشَرَاحِ الصُّدُورِ: **تَرْكُ فُضُولِ النَّظَرِ، وَالْكَلَامِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْخُلْطَةِ، وَالَاكْلِ، وَالنَّوْمِ**، فَإِنَّ هَذِهِ الْفُضُولَ تَسْتَحِيلُ آلَامًا وَغُمُومًا وَهُمُومًا فِي الْقَلْبِ، تَحْصُرُهُ وَتَحْبِسُهُ وَتُضَيِّقُهُ وَيَتَعَذَّبُ بِهَا، بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهَا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَضْيَقَ صَدْرَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ آفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ بِسَهْمٍ!!، وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَهُ، وَمَا أَسْوَأَ حَالَهُ، وَمَا أَشَدَّ حَصْرِ قَلْبِهِ!!، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ بِسَهْمٍ! وَكَانَتْ هِمَّتُهُ دَائِرَةً عَلَيْهَا، حَائِمَةً حَوْلَهَا، فَلِهَذَا نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ [تعَالَى]: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [سورة الانفطار: ١٣]. وَلِذَلِكَ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ [تَعَالَى]: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٤] وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ [تبَارَكَ وَتَعَالَى]»(١).

« وَأَمَّا مُفْسِدَاتُ الْقَلْبِ الْخَمْسَةُ فَهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا: مِنْ كَثْرَةِ الْخُلْطَةِ وَالتَّمَنِّي، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ وَالشِّبَعِ، وَالْمَنَامِ، فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ.

اعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ يَسِيرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيَكْشِفُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَنَهْجِهِ، وَآفَاتِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ، وَقِطَاعِ الطَّرِيقِ بِنُورِهِ وَحَيَاتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَصِحَّتِهِ وَعَزْمِهِ، وَسَلَامَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَغَيْبَةِ الشَّوَاغِلِ وَالْقَوَاطِعِ عَنْهُ، وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ تُطْفِئُ نُورَهُ، وَتُعْوِرُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ، وَتُثْقِلُ سَمْعَهُ، إِنْ لَمْ

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٧ ط. الرسالة)، و (٢/ ٣٢ ط. المجمع).

تَصُمَّهُ وَتُبْكِمْهُ، وَتُضْعِفُ قُوَاهُ كُلَّهَا، وَتُوهِنُ صِحَّتَهُ وَتُفَتِّرُ عَزِيمَتَهُ، وَتُوقِفُ هِمَّتَهُ، وَتُنْكِسُهُ إِلَى وَرَائِهِ، وَمَنْ لَا شُعُورَ لَهُ بِهَذَا فَمَيِّتُ الْقَلْبِ، **وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ**، فَهِيَ عَائِقَةٌ لَهُ عَنْ نُبْلِ كَمَالِهِ. قَاطِعَةٌ لَهُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ. وَجُعِلَ نَعِيمُهُ وَسَعَادَتُهُ وَابْتِهَاجُهُ وَلَذَّتُهُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَإِنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا لَذَّةَ، وَلَا ابْتِهَاجَ، وَلَا كَمَالَ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، فَهَذِهِ جَنَّتُهُ الْعَاجِلَةُ، كَمَا أَنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِجِوَارِهِ فِي دَارِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ، فَلَهُ جَنَّتَانِ لَا يَدْخُلُ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا إِنْ لَمْ يَدْخُلِ الْأُولَى.

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْخَمْسَةُ قَاطِعَةٌ عَنْ هَذَا، حَائِلَةٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَهُ، عَائِقَةٌ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ، وَمُحْدِثَةٌ لَهُ أَمْرَاضًا وَعِلَلًا إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهَا الْمَرِيضُ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْهَا.

فَأَمَّا مَا تُؤْثِرُهُ كَثْرَةُ الْخُلْطَةِ: فَامْتِلَاءُ الْقَلْبِ مِنْ دُخَانِ أَنْفَاسِ بَنِي آدَمَ حَتَّى يَسْوَدَّ، يُوجِبُ لَهُ تَشَتُّتًا وَتَفَرُّقًا، وَهَمًّا وَغَمًّا، وَضَعْفًا، وَحَمْلًا لِمَا يَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ مِنْ مُؤْنَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَإِضَاعَةِ مَصَالِحِهِ، وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِهِمْ وَبِأُمُورِهِمْ، وَتَقَسُّمِ فِكْرِهِ فِي أَوْدِيَةِ مَطَالِبِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنْهُ لِلهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ؟. هَذَا، وَكَمْ جَلَبَتْ خُلْطَةُ النَّاسِ مِنْ نِقْمَةٍ، وَدَفَعَتْ مِنْ نِعْمَةٍ؟ وَأَنْزَلَتْ مِنْ مِحْنَةٍ، وَعَطَّلَتْ مِنْ مِنْحَةٍ، وَأَحَلَّتْ مِنْ رَزِيَّةٍ، وَأَوْقَعَتْ فِي بَلِيَّةٍ؟ وَهَلْ آفَةُ النَّاسِ إِلَّا النَّاسُ؟! وَهَلْ كَانَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْوَفَاةِ أَضَرَّ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ؟ لَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى حَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تُوجِبُ

لَهُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ»(١).

وَهَذِهِ الْخُلْطَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوْعِ مَوَدَّةٍ فِي الدُّنْيَا، وَقَضَاءِ وَطَرِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، تَنْقَلِبُ إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ عَدَاوَةً، وَيَعَضُّ الْمُخْلِطُ عَلَيْهَا يَدَيْهِ نَدَمًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [سورة الفرقان: ٢٧ – ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٦٧].

وَالضَّابِطُ النَّافِعُ فِي أَمْرِ الْخُلْطَةِ أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ كَالْجُمُعَةِ

---

(١) روى البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤) وغيرهما مِن حَدِيثِ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [سورة التوبة ١١٣] وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْأَعْيَادِ وَالْحَجِّ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ، وَالْجِهَادِ، وَالنَّصِيحَةِ. وَيَعْتَزِلَهُمْ فِي الشَّرِّ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ، فَإِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى خُلْطَتِهِمْ فِي الشَّرِّ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ اعْتِزَالُهُمْ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَنْ يُوَافِقَهُمْ، وَلْيَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَابُدَّ أَنْ يُؤْذُوهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ. وَلَكِنْ أَذًى يَعْقُبُهُ عِزٌّ وَمَحَبَّةٌ لَهُ وَتَعْظِيمٌ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمُوَافَقَتُهُمْ يَعْقُبُهَا ذُلٌّ وَبُغْضٌ لَهُ، وَمَقْتٌ، وَذَمٌّ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَالصَّبْرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً، وَأَحْمَدُ مَآلًا»(١).

ثم قَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: **مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ الطَّعَامُ:**

وَالْمُفْسِدُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُفْسِدُهُ لِعَيْنِهِ وَذَاتِهِ كَالْمُحَرَّمَاتِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: **مُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ اللهِ** كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَذِي النَّابِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْمِخْلَبِ مِنَ الطَّيْرِ، وَ**مُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ الْعِبَادِ**، كَالْمَسْرُوقِ، وَالْمَغْصُوبِ، وَالْمَنْهُوبِ، وَمَا أُخِذَ بِغَيْرِ رِضَا صَاحِبِهِ، إِمَّا قَهْرًا، وَإِمَّا حَيَاءً وَتَذَمُّمًا.

وَالثَّانِي: مَا يُفْسِدُهُ بِقَدْرِهِ وَتَعَدِّي حَدِّهِ، كَالْإِسْرَافِ فِي الْحَلَالِ، وَالشِّبَعِ الْمُفْرِطِ، فَإِنَّهُ يُثْقِلُهُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَيَشْغَلُهُ بِمُزَاوَلَةِ مُؤْنَةِ الْبِطْنَةِ وَمُحَاوَلَتِهَا، حَتَّى يَظْفَرَ بِهَا، فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا شَغَلَهُ بِمُزَاوَلَةِ تَصَرُّفِهَا وَوِقَايَةِ ضَرَرِهَا، وَالتَّأَذِّي بِثِقَلِهَا، وَقَوَّى عَلَيْهِ مَوَادَّ الشَّهْوَةِ، وَطُرُقَ مَجَارِي الشَّيْطَانِ وَوَسَّعَهَا، فَإِنَّهُ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَالصَّوْمُ يُضَيِّقُ مَجَارِيَهُ، وَيَسُدُّ عَلَيْهِ طُرُقَهُ، وَالشِّبَعُ يَطْرُقُهَا وَيُوَسِّعُهَا، وَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا، فَنَامَ كَثِيرًا،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٧–٩١ ط. المجمع) باختصار.

فَخَسِرَ كَثِيرًا.

[أمّا] **كَثْرَةُ النَّوْمِ:** فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُثَقِّلُ الْبَدَنَ، وَيُضِيعُ الْوَقْتَ، وَيُورِثُ كَثْرَةَ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ ...... وَكَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مُورِثَةٌ لِهَذِهِ الْآفَاتِ، فَمُدَافَعَتُهُ وَهَجْرُهُ مُورِثٌ لِآفَاتٍ أُخْرَى عِظَامٍ: مِنْ سُوءِ الْمِزَاجِ وَيُبْسِهِ، وَانْحِرَافِ النَّفْسِ، وَجَفَافِ الرَّطُوبَاتِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْفَهْمِ وَالْعَمَلِ، وَيُورِثُ أَمْرَاضًا مُتْلِفَةً لَا يَنْتَفِعُ صَاحِبُهَا بِقَلْبِهِ وَلَا بَدَنِهِ مَعَهَا، وَمَا قَامَ الْوُجُودُ إِلَّا بِالْعَدْلِ، فَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ مَجَامِعِ الْخَيْرِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ(١).

«**الْحِرْزُ الْعَاشِرُ:** إِمْسَاكُ فُضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالطَّعَامِ وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ وَيَنَالُ مِنْهُ غَرَضَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِنَّ فُضُولَ النَّظَرِ يَدْعُوهُ إِلَى الِاسْتِحْسَانِ، وَوُقُوعِ صُورَةِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ فِي الْقَلْبِ، وَالِاشْتِغَالِ بِهِ، وَالْفِكْرَةِ فِي الظَّفَرِ بِهِ، فَمَبْدَأُ الْفِتْنَةِ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فُضُولَ النَّظَرِ أَصْلُ الْبَلَاءِ.

وأما فُضُولُ الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهَا تَفْتَحُ لِلْعَبْدِ أَبْوَابًا مِنَ الشَّرِّ، كُلُّهَا مَدَاخِلُ لِلشَّيْطَانِ، فَإِمْسَاكُ فُضُولِ الْكَلَامِ يَسُدُّ عَنْهُ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كُلَّهَا، وَكَمْ مِنْ حَرْبٍ جَرَّتْهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَأَكْثَرُ الْمَعَاصِي إِنَّمَا تَوَلُّدُهَا مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، وَهُمَا أَوْسَعُ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٥-٩٨ ط. المجمع) باختصار.

مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ جَارِحَتَيْهِمَا لَا يَمَلَّانِ وَلَا يَسْأَمَانِ، بِخِلَافِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ، فَإِنَّهُ إِذَا امْتَلَأَ لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِرَادَةٌ لِلطَّعَامِ، وَأَمَّا الْعَيْنُ وَاللِّسَانُ فَلَوْ تُرِكَا لَمْ يَفْتُرَا مِنَ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ، فَجِنَايَتُهُمَا مُتَّسِعَةُ الْأَطْرَافِ، كَثِيرَةُ الشُّعَبِ، عَظِيمَةُ الْآفَاتِ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ، كَمَا يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَكَانُوا يَقُولونَ: «مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى طُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ»(١).

وَأَمَّا فُضُولُ الطَّعَامِ؛ فَهُوَ دَاعٍ إِلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يُحَرِّكُ الْجَوَارِحَ إِلَى الْمَعَاصِي، وَيُثَقِّلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَحَسْبُكَ بِهَذَيْنِ شَرًّا!! فَكَمْ مِنْ مِعْصِيَةٍ جَلَبَهَا الشِّبَعُ وَفُضُولُ الطَّعَامِ، وَكَمْ مِنْ طَاعَةٍ حَالَ دُونَهَا، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بَطْنِهِ فَقَدْ وُقِيَ شَرًّا عَظِيمًا، وَالشَّيْطَانُ أَعْظَمُ مَا يَتَحَكَّمُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا مَلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ: ضَيِّقُوا مَجَارِي الشَّيْطَانِ بِالصَّوْمِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ**»(٢)، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي التَّمَلِّي مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ

---

(١) (**صحيح من كلام ابن مسعود** رضي الله عنه) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٣٨٤)، وكيع في الزهد (٢٨٥)، وأحمد في الزهد (٩٠٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨١٩٨ تحقيق الشثري)، وهناد في الزهد (١٠٩٥ تحقيق الفريوائي)، (١١١١ تحقيق الخيرآبادي)، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٣، ٢٤، ٢٥)، وغيرهم.

(٢) (**صحيح بمجموع طرقه**) جزء من حديث أخرجه أحمد (١٧١٨٦)، والنسائي في الكبرى (٦٩٤٠، ٦٩٤١، ٦٩٤٢ ط. دار التأصيل)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وابن حبان (٦٧٤، ٥٢٣٦)، والحاكم (٧٣٣٥، ٨١٥٩ ط. دار التأصيل).
=

ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا غَفَلَ الْقَلْبُ عَنِ الذِّكْرِ سَاعَةً وَاحِدَةً جَثَمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ وَشَهَّاهُ، وَهَامَ بِهِ فِي كُلِّ وَادٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وَجَالَتْ وَطَافَتْ عَلَى أَبْوَابِ الشَّهَوَاتِ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَنَتْ وَخَشَعَتْ وَذَلَّتْ.

وَأَمَّا فُضُول الْمُخَالَطَةِ؛ فَهِيَ الدَّاءُ الْعُضَالُ الْجَالِبُ لِكُلِّ شَرٍّ، وَكَمْ سَلَبَتِ الْمُخَالَطَةُ وَالمُعَاشَرَةُ مِنْ نِعْمَةٍ، وَكَمْ زَرَعَتْ مِنْ عَدَاوَةٍ، وَكَمْ غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْ حَزَازَاتٍ، تَزُولُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَهِيَ فِي الْقُلُوبِ لَا تَزُولُ، فَفُضُولُ الْمُخَالَطَةِ فِيهِ خُسَارَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمُخَالَطَةِ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ، وَيَجْعَلَ النَّاسَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، مَتَى خَلَطَ أَحَدَ الْأَقْسَامِ بِالْآخَرِ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَهُمَا دخل عَلَيْهِ الشَّرُّ:

أَحَدُهَا: مَنْ مُخَالَطَتُهُ كَالْغِذَاءِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِذَا أَخَذَ حَاجَتَهُ مِنْهُ تَرَكَ الْخُلْطَةَ، ثُمَّ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ خَالَطَهُ هَكَذَا عَلَى الدَّوَامِ، وَهَذَا الضَّرْبُ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ بِاللهِ [تَعَالَى] وَأَمْرِهِ وَمَكَايِدِ عَدُوِّهِ، وَأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَأَدْوِيَتِهَا، النَّاصِحُونَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ [ﷺ] وَلِخَلْقِهِ، فَهَذَا الضَّرْبُ فِي مُخَالَطَتِهِمُ الرِّبْحُ كُلُّهُ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَنْ مُخَالَطَتُهُ كَالدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَرَضِ، فَمَا دُمْتَ صَحِيحًا فَلَا حَاجَة لَكَ فِي خُلْطَتِهِ، وَهُمْ مَنْ لَا يُسْتَغْنَى عنْ مُخَالَطَتِهِمْ فِي مَصْلَحَةِ الْمَعَاشِ، وَقِيَامِ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعَامَلَاتِ

=
وغيرهم. من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه.

وَالْمُشَارَكَاتِ وَالِاسْتِشَارَةِ وَالْعِلَاجِ لِلْأَدْوَاءِ وَنَحْوِهَا، فَإِذَا قَضَيْتَ حَاجَتَكَ مِنْ مُخَالَطَةِ هَذَا الضَّرْبِ بَقِيَتْ مُخَالَطَتُهُمْ مِنَ:

الْقِسْمِ الثَّالِثِ: وَهُمْ مَنْ مُخَالَطَتُهُ كَالدَّاءِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِ وَأَنْوَاعِهِ، وَقُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ مُخَالَطَتُهُ كَالدَّاءِ الْعُضَالِ، وَالمَرَضِ الْمُزْمِنِ، وَهُوَ مَنْ لَا تَرْبَحُ عَلَيْهِ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَابُدَّ مِنْ أَنْ تَخْسَرَ عَلَيْهِ الدِّينَ وَالدُّنْيَا أَوْ أَحَدَهُمَا، فَهَذَا إِذَا تمكنت مُخَالَطَتُهُ وَاتَّصَلَتْ فَهِيَ مَرَضُ الْمَوْتِ الْمَخُوف.

وَمِنْهُمْ مَنْ مُخَالَطَتُهُ كَوَجَعِ الضِّرْسِ يَشْتَدُّ ضَرَبَاتُهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا فَارَقَكَ سَكَنَ الْأَلَمُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ مُخَالَطَتُهُ حُمَّى الرُّوحِ وَهُوَ الثَّقِيلُ الْبَغِيضُ الْعَثِلُ(١)، الَّذِي لَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُفِيدَكَ، وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُنْصِتَ فَيَسْتَفِيدَ مِنْكَ، وَلَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ فَيَضَعُهَا فِي مَنْزِلَتِهَا، بَلْ إِنْ تَكَلَّمَ فَكَلَامُهُ كَالْعِصِيِّ تَنْزِلُ عَلَى قُلُوبِ السَّامِعِينَ، مَعَ إِعْجَابِهِ بِكَلَامِهِ، وَفَرَحِهِ بِهِ، فَهُوَ يُحْدِثُ مِنْ فِيهِ كُلَّمَا تَحَدَّثَ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مِسْكٌ يَطِيبُ بِهِ المَجْلِسُ، وَإِنْ سَكَتَ فَأَثْقَلُ مِنْ نِصْفِ الرَّحَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يُطَاقُ حَمْلُهَا وَلَا جَرُّهَا عَلَى الْأَرْضِ.

وَيُذْكَرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا جَلَسَ إِلَى جَانِبِي ثَقِيلٌ إِلَّا وَجَدْتُ الْجَانِبَ الَّذِي هُوَ فِيهِ أَنْزَلَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ.

وَرَأَيْتُ يَوْمًا عِنْدَ شَيْخِنَا [ابْن تَيْمِيَةَ] قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ رَجُلًا مِنْ هَذَا

---

(١) العثل: العِثْوَلُّ مِنَ الرِّجَالِ: الْجَافِي الغليظُ. [لسان العرب: مادة ع ث ل]

الضَّرْبِ، وَالشَّيْخُ يَحْتَمِلُهُ، وَقَدْ ضَعُفَتِ الْقُوَى عَنْ حَمْلِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: مُجَالَسَةُ الثَّقِيلِ حُمَّى الرِّبْعِ، ثُمَّ قَالَ: لَكِنْ قَدْ أَدْمَنَتْ أَرْوَاحُنَا عَلَى الْحُمَّى، فَصَارَتْ لهَا عَادَةً أَوْ كَمَا قَالَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَمُخَالَطَةُ كُلِّ مُخَالِفٍ حُمَّى لِلرُّوحِ فَعَرَضِيَّةٌ وَلَازِمَةٌ.

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُبْتَلَى بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، وَلَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ ومُخَالَطَتِهِ، فَلْيُعَاشِرْهُ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

الْقِسْمُ الرَّابِعِ: مَنْ مُخَالَطَتُهُ الْهُلْكُ كله، وَمُخَالَطَتُهُ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ السُّمِّ، فَإِنِ اتَّفَقَ لآكِلِهِ تِرْيَاقٌ، وَإِلَّا فَأَحْسَنَ اللهُ فِيهِ الْعَزَاءَ، وَمَا أَكْثَرَ هَذَا الضَّرْبَ فِي النَّاسِ لَا كَثَّرَهُمُ اللهُ، وَهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ، وَالصَّادُّونَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الدَّاعُونَ إِلَى خِلَافِهَا، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، فَيَجْعَلُونَ الْبِدْعَة سُنَّةً، وَالسُّنَةَ بِدْعَةً، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، إِنْ جَرَّدْتَ التَّوْحِيدَ بَيْنَهُمْ قَالُوا: تَنَقَّصْتَ جَنَابَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَإِنْ جَرَّدْتَ الْمُتَابَعَةَ لِرَسُولِ الله ﷺ قَالُوا: أَهْدَرْتَ الْأَئِمَّةَ الْمَتْبُوعِينَ.

وَإِنْ وَصَفْتَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نفسه، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ [ﷺ] مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَقْصِيرٍ، قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمُشَبِّهِينَ، وَإِنْ أَمَرْتَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ [ﷺ] مِنَ الْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمُفَتِّنِينَ، وَإِنِ اتَّبَعْتَ السُّنَةَ وَتَرَكْتَ مَا خَالَفَهَا، قَالُوا: أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُضِلِّينَ. وَإِنِ انْقَطَعْتَ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَخَلَّيْتَ

بَيْنَهُمْ وبَيْنَ جِيفَةِ الدُّنْيَا، قَالُوا: أَنْتَ مِنَ الْمُلَبِّسِينَ، وَإِنْ تَرَكْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَاتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ فَأَنْتَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

فَالْحَزْم كُلُّ الْحَزْمِ الْتِمَاسُ مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ [ﷺ] بِإِغْضَابِهِمْ، وَأَنْ لَا تَشْتَغِلَ بِإِعْتَابِهِمْ ولا بِاسْتِعْتَابِهِمْ، وَلَا تُبَالِي بِذَمِّهِمْ وَلَا بُغْضِهِمْ، فإِنَّهُ عَيْنُ كَمَالِكَ.

فَمَنْ كَانَ بَوَّابَ قَلْبِهِ وَحَارِسَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاخِلِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ بَلَاءِ الْعَالَمِ، وَهِيَ فُضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالطَّعَامِ وَالْمُخَالَطَةِ، وَاسْتَعْمَلَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَسْبَابِ التِّسْعَةِ(١) التي تُحْرِزُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَقَدْ أَخَذَ بِنَصِيبِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَسَدَّ عَلَى نَفْسِهِ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ، وَانْغَمَرَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَيوشِكُ أَنْ يَحْمَدَ عِنْدَ الْمَمَاتِ عاقبةَ هذا الدواءِ، فَعِنْدَ الْمَمَاتِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ التُّقَى، وَفِي الصباح يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى، وَاللهُ الْمُوَفِقُ لَا ربَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلٰه سِوَاهُ(٢).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: فِي «**صَيْدِ الْخَاطِرِ**» ص (٢٤٥-٢٤٧ ط.

(١) وهي: ١- الاستعاذة بالله من الشيطان. ٢- قراءة المعوذتين. ٣- قراءة آية الكرسي. ٤- قراءة سورة البقرة. ٥- قراءة خاتمة سورة البقرة. ٦- قراءة أول سورة حم المؤمن [غافر] إلى قوله تعالى إليه المصير مع آية الكرسي. ٧- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مئة مرة. ٨- كثرة ذكر الله تعالى. ٩- الوضوء والصلاة.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٨١٦-٨٢٥ ط. المجمع) باختصار.

دار القلم): مَا أَعْرِفُ لِلْعَالِمِ قَطُّ لَذَّةً وَلَا عِزًّا وَلَا شَرَفًا وَلَا رَاحَةً وَلَا سَلَامَةً أَفْضَلَ مِنْ الْعُزْلَةِ؛ فَإِنَّهُ يَنَالُ بِهَا سَلَامَةَ بَدَنِهِ وَدِينِهِ وَجَاهِهِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِنْدَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ يَهُونُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَعْظُمُ عِنْدَهُمْ قَدْرُ الْمُخَالِطِ لَهُمْ، وَلِهَذَا عَظُمَ قَدْرُ الْخُلَفَاءِ لِاحْتِجَابِهِمْ، وَإِذَا رَأَى الْعَوَامُّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ مُتَرَخِّصًا فِي أَمْرٍ مُبَاحٍ هَانَ عِنْدَهُمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ صِيَانَةُ عِلْمِهِ وَإِقَامَةُ قَدْرِ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ(١): كُنَّا نَمْزَحُ وَنَضْحَكُ فَإِذَا صِرْنَا يُقْتَدَى بِنَا فَمَا أَرَاهُ يَسَعُنَا ذَلِكَ.

وَبَيَانُ هَذَا أَنَّهُ لَوْ خَرَجَ الْعَالِمُ إِلَى النَّاسِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ، أَوْ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ يَأْكُلُهَا، قَلَّ عِنْدَهُمْ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا، فَيَصِيرُ بِمَثَابَةِ تَخْلِيطِ الطَّبِيبِ الْآمِرِ بِالْحِمْيَةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَنْبَسِطَ عِنْدَ الْعَوَامِّ، حِفْظًا لَهُمْ، وَمَتَى أَرَادَ مُبَاحًا؛ فَلْيَسْتَتِرْ بِهِ عَنْهُمْ.

وَلَا تَلْتَفِتْ يا هَذَا إِلَى مَا تَرَى مِنْ ذلِّ(٢) الْعُلَمَاء عَلَى أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ؛ فَإِنَّ الْعُزْلَةَ أَصْوَنُ لِلْعَالِمِ وَالْعِلْمِ، وَمَا يَخْسَرُهُ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ أَضْعَافُ مَا يَرْبَحُونَهُ. وَقَدْ كَانَ سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ لَا يَغْشَى الْوُلَاةَ، وَعَنْ قَوْلِ هَذَا سَكَتُوا عَنْهُ، وَهَذَا فِعْلُ الْحَازِمِ.

فَإِنْ أَرَدْتَ اللَّذَّةَ وَالرَّاحَةَ؛ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَالِمُ بِقَعْرِ(٣) بَيْتِكَ، وَكُنْ

---

(١) هو الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام في زمانه (مات سنة ١٥٧)، كما في حلية الأولياء (٦/ ١٤٣).

(٢) في طبعة دار القلم: بذل.

(٣) في طبعة دار القلم: بعقر.

مُعْتَزِلًا عَنْ أَهْلِكَ، يَطِيبُ لَكَ عَيْشُكَ، وَاجْعَلْ لِلِقَاءِ الْأَهْلِ وَقْتًا، فَإِذَا عَرَفُوهُ تَصَنَّعُوا لِلِقَائِكَ، فَكَانَتِ الْمُعَاشَرَةُ بِذَلِكَ أَجْوَدَ.

وَلْيَكُنْ لَكَ بَيْتٌ فِي بَيْتِكَ تَخْلُو فِيهِ، وَتُحَادِثُ سُطُورَ كُتُبِكَ، وَتَجْرِي فِي حَلَبَاتِ فِكْرِكَ!! وَاحْتَرِسْ مِنْ لِقَاءِ الْخَلْقِ، وَخُصُوصًا الْعَوَامَّ!! وَاجْتَهِدْ فِي كَسْبٍ يُعِفُّكَ عَنِ الطَّمَعِ!! فَهَذِهِ نِهَايَةُ لَذَّةِ الْعَالِمِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَا لَكَ لَا تُجَالِسُنَا؟! فَقَالَ: أَنَا أَذْهَبُ فَأُجَالِسُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَأَشَارَ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَنْظُرُ فِي كُتُبِهِ.

وَمَتَى رُزِقَ الْعَالِمُ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ وَالْخَلْوَةِ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ فَهْمٌ يَجْلِبُ التَّصَانِيفَ فَقَدْ تَكَامَلَتْ لَذَّتُهُ، وإِنْ رُزِقَ فَهْمًا يَرْتَقِي إِلَى مُعَامَلَةِ الْحَقِّ وَمُنَاجَاتِهِ؛ فَقَدْ تَعَجَّلَ دُخُولَ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ.

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هِمَّةً عَالِيَةً تَسْمُو إِلَى الْكَمَالِ، وَتَوْفِيقًا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ».

وقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : ص **(٢٧٥ -٢٧٧ ط. دار القلم)**:

مَا أَعْرِفُ نَفْعًا كَالْعُزْلَةِ عَنِ الْخَلْقِ، خُصُوصًا لِلْعَالِمِ وَالزَّاهِدِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَرَى إِلَّا شَامِتًا بِنَكْبَةٍ، أَوْ حَسُودًا عَلَى نِعْمَةٍ، أَوْ مَنْ يَأْخُذُ عَلَيْكَ غَلَطَاتِكَ!! فَيَا لَلْعُزْلَةِ!! مَا أَلَذَّهَا!! سَلِمَتْ مِنْ كَدَرِ غِيبَةٍ، وَآفَاتِ تَصَنُّعٍ، وَأَحْوَالِ الْمُدَاجَاةِ(١)، وَتَضْيِيعِ الْوَقْتِ؛ ثُمَّ خَلَا فِيهَا الْقُلْبُ بِالْفِكْرِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَلِذٌّ عَنْهُ بِالْمُخَالَطَةِ، فَدَبَّرَ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ. فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْحِمْيَةِ يَخْلُو

(١) مداراة الناس: هي المداجاة والملاينة. [الصحاح: ٦/ ٢٣٣٥].

فِيهَا الْمِعَى بِالْأَخْلَاطِ فَيُذِيبُهَا.

وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَصْنَعُ الْمُخَالِطُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى حَالَتَهُ الْحَاضِرَةَ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ وَكَلَامِهِمْ، فَيَشْتَغِلُ بِهَا عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ يُرِيدُ سَفَرًا قَدْ أَزِفَ(١)، فَجَالَسَ أَقْوَامًا، فَشَغَلُوهُ بِالْحَدِيثِ، حَتَّى ضَرَبَ الْبُوقُ(٢) وَمَا تَزَوَّدَ.

فَلَوْ لمْ يَكُنْ فِي الْعُزْلَةِ إِلَّا التَّفْكِيرُ فِي زَادِ الرَّحِيلِ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ شَرِّ الْمُخَالَطَةِ؛ كَفَى.

ثُمَّ لَا عُزْلَةَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا لِلْعَالِمِ وَالزَّاهِدِ؛ فَإِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ مَقْصُودَ الْعُزْلَةِ – وَإِنْ كَانَا لَا فِي عُزْلَةَ –.

أَمَّا الْعَالِمِ؛ فَعِلْمُهُ مُؤْنِسُهُ، وَكُتُبُهُ مُحَدِّثُهُ، وَالنَّظَرُ فِي سِيَرِ السَّلَفِ مُقَوِّمُهُ، وَالتَّفَكُّرُ فِي حَوَادِثِ الزَّمَانِ السَّابِقِ فُرْجَتُهُ، فَإِنْ تَرَقَّى بِعِلْمِهِ إِلَى مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ لِلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، وَتَشَبَّثَ بِأَذْيَالِ مَحَبَّتِهِ: تَضَاعَفَتْ لِذَاتِهِ، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَنِ الْأَكْوَانِ وَمَا فِيهَا، فَخَلَا بِحَبِيبِهِ، وَعَمِلَ مَعَهُ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِ.

وَكَذَلِكَ الزَّاهِدُ؛ تَعَبُّدُهُ أَنِيسُهُ، وَمَعْبُودُهُ جَلِيسُهُ، فَإِنْ كُشِفَ لِبَصَرِهِ عَنِ الْمَعْمُولِ مَعَهُ، غَابَ عَنِ الْخَلْقِ، وَغابُوا عَنْهُ – إِنَّمَا اعْتَزَلَا مَا يُؤْذِي، فَهُمَا فِي الْوَحْدَةِ بَيْنَ جَمَاعَةٍ.

---

(١) أزف: دنا واقترب. [لسان العرب: مادة أ ز ف]

(٢) ضرب البوق: إيذان بالسفر والتحرك.

فَهَذَانِ رَجُلَانِ قَدْ سَلِمَا مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ، وَسَلِمَ الْخَلْقُ مِنْ شُرُورِهِمَا، بَلْ هُمَا قُدْوَةٌ لِلْمُتَعَبِّدِينَ، وَعَلَمٌ لِلسَّالِكِينَ، يَنْتَفِعُ بِكَلامِهِمَا السَّامِعُ، وتُجْرِي مَوْعِظَتُهُمَا الْمَدَامِعُ، وَتَنْتَشِرُ هَيْبَتُهُمَا فِي الْمَجَامِعِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِأَحَدِهِمَا، فَلْيُصَابِرِ الْخَلْوَةَ وَإِنْ كَرِهَهَا؛ لِيُثْمِرَ لَهُ الصَّبْرُ العَسَلَ.

وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَالِمٍ مُخَالِطٍ لِلْعَالَمِ، خُصُوصًا لِأَرْبَابِ الْمَالِ وَالسَّلَاطِين، يَجْتَلِبُ وَيُجْتَلَبُ، وَيَخْتَلِبُ وَيُخْتَلَبُ(١)؛ فَمَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَ مِنْ دِينِهِ أَمْثَالُهُ. ثُمَّ أَيْنَ الْأَنَفَةُ مِنَ الذُّلِّ لِلْفُسَّاقِ؟!! فَالَّذِي لَا يُبَالِي بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي لَا يَذُوقُ طَعْمَ الْعِلْمِ، وَلَا يَدْرِي مَا الْمُرَادُ بِهِ، وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ وَقَعَ فِي بَادِيَةٍ جُرُزٍ(٢)، وَقفْرٍ(٣) مُهْلِكٍ فِي تِلْكَ الْبَرَارِي.

وَكَذَلِكَ الْمُتَزَهِّدُ إِذَا خَالِطَ وَخَلَّطَ؛ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ وَالنِّفَاقِ، فَيَفُوتُهُ الْحَظَّانِ، لَا الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا تَحْصُلُ لَهُ وَلَا الْآخِرَةُ. فَنَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلْوَةً حُلْوَةً، وَعُزْلَةً عَنِ الشَّرِّ لَذِيذَةً، يَسْتَصْلِحُنَا فِيهَا لِمُنَاجَاتِهِ، وَيُلْهِمُ كُلًّا مِنَّا طَلَبَ نَجَاتِهِ. إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ».

«وَالْمَقْصُودُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي كُلّ صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصّدْرِ، وَاتّسَاعُ الْقَلْبِ، وَقُرّةُ الْعَيْنِ، وَحَيَاةُ الرّوحِ، فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا الشّرْحِ وَالْحَيَاةِ، وَقُرّةِ الْعَيْنِ، مَعَ مَا خُصّ بِهِ مِنْ الشّرْحِ

---

(١) يَخْدَع ويُخْدع.

(٢) الجرز: الأرض التي لا نبات بها. أو انقطع عنها المطر.

[الصحاح ٣ / ٨٦٦-٨٦٧]

(٣) القفر: الخلاء من الأرض. [لسان العرب مادة ق ف ر]

الْحِسِّيِّ. وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ مُتَابَعَةً لَهُ، أَكْمَلُهُمْ انْشِرَاحًا وَلَذَّةً وَقُرَّةَ عَيْنٍ، وَعَلَى حَسَبِ مُتَابَعَتِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ، وَقُرَّةِ عَيْنِهِ، وَلَذَّةِ رُوحِهِ مَا يَنَالُ، فَهُوَ [ﷺ] فِي ذُرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَرَفْعِ الذِّكْرِ، وَوَضْعِ الْوِزْرِ. وَلِأَتْبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. وَهَكَذَا لِأَتْبَاعِهِ نَصِيبٌ مِنْ حِفْظِ اللهِ لَهُمْ، وَعِصْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَدِفَاعِهِ عَنْهُمْ، وَإِعْزَازِهِ لَهُمْ، وَنَصْرِهِ لَهُمْ، بِحَسْبِ نَصِيبِهِمْ مِنْ الْمُتَابَعَةِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ. فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنّ إِلّا نَفْسَهُ»(١).

«مَحَبَّةُ الْقَوْمِ تَحْمِلُ عَلَى تَعَرُّفِ مَنْزِلَتِهِمْ وَالْعِلْمِ بِهَا، وَإِنْ كَانَتِ النُّفُوسُ مُتَخَلِّفَةً مُنْقَطِعَةً عَنِ اللِّحَاقِ بِهِمْ، فَفِي مَعْرِفَةِ حَالِ الْقَوْمِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ:

مِنْهَا: لَا يَزَالُ الْمُتَخَلِّفُ الْمِسْكِينُ مُزْرِيًا عَلَى نَفْسِه ذَامًّا لَهَا، لَائِمًا لَهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَزَالُ مُنْكِسِرَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، ذَلِيلًا لَهُ حَقِيرًا، وَيَشْهَدُ مَنَازِلَ السَّابِقِينَ، وَهُوَ فِي زُمْرَةِ الْمُنْقَطِعِينَ، وَيَشْهَدُ بَضَائِعَ التُّجَّارِ، وَهُوَ فِي رُفْقَةِ الْمَحْرُومِينَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ عَسَاهُ أَنْ تَنْهَضَ هِمَّتُهُ يَوْمًا مَا إِلَى التَّشَبُّثِ وَالتَّعَلُّقِ بِسَاقَةِ الْقَوْمِ وَلَوْ مِنْ بَعِيدٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَصْدُقَ فِي الرَّغْبَةِ وَاللَّجْأِ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بِالْقَوْمِ، وَيُهَيِّئَهُ لِأَعْمَالِهِمْ، فَيُصَادِفَ سَاعَةَ إِجَابَةٍ لَا يَسْأَلُ اللهِ فِيهَا

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٧-٢٨ ط. الرسالة)، و (٢/ ٣٢-٣٣ ط. المجمع).

شَيْئًا إِلَّا أعْطَاهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ هُوَ مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِ الْعِبَادِ، وَلَيْسَ بَعْدِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ عِلْمٌ أَشْرَفُ مِنْهُ؛ وَهُوَ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا النُّفُوسَ الشَّرِيفَةَ، وَلَا يُنَاسِبُ النُّفُوسَ الدَّنِيئَةَ الْمَهِينَةَ، فَإِذَا رَأَى نَفْسَهُ تُنَاسِبُ هَذَا الْعِلْمَ، وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَتُحِبُّهُ، وَتَأْنَسُ بِأَهْلِهِ، فَلْيُبْشِرْ بِالْخَيْرِ فَقَدْ أُهِّلَ لَهُ؛ فليقل لنفسه: يَا نَفْسُ قَدْ حَصَلَ لَكِ شَطْرُ السَّعَادَة فَاحْرِصِي عَلَى الشَّطْرِ الْآخَرِ، فَإِنَّ السَّعَادَةَ فِي العِلْمِ بهَذَا الشَّأْنِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَقَدْ قَطَعْتِ نِصْفَ الْمَسَافَةِ، فهلَّا تَقْطَعِينَ بَاقِيهَا فَتَفُوزِينَ فَوْزًا عَظِيمًا.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعِلْمَ بِكُلِّ حَالٍ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْلِ، فَإِذَا كَانَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا عَالِمٌ بهَذَا الشَّأْنِ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِهِ وَلَا قَائِمٍ بِهِ، وَآخَرُ جَاهِلٌ بِهِ غَيْرُ مُتَّصِفٍ بِهِ فَهُوَ خِلْوٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ العَالِمَ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الْجَاهِلِ، وَإِنَ كَانَ العَالِمُ الْمُتَّصِفُ بِهِ خَيْرًا مِنْهُمَا، فَيَنْبَغِي أن يُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُنَزَّلَ فِي مَرْتَبَتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعِلْمُ بهَذَا الشَّأْنِ هَمَّهُ وَمطْلُوبَهُ، فَلَابُدَّ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ وَلَوْ لَمْظَةً، وَلَوْ بَارِقَةً، وَلَوْ أَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالنَّهْضَةِ إِلَيْهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَعَلَّهُ يَجْرِي مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ بِقَصْدِهِ أو بِغَيْرِ قَصْدِهِ، وَاللهُ لَا يُضِيعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَعَسَى أَنْ يُرْحَمَ بِذَلِكَ الْعَامِلُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَفَوَائِدُ الْعِلْمِ بهَذَا الشَّأْنِ لَا تَنْحَصِرُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُصْغِيَ إِلَى مَنْ يُثَبِّطُكَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَنْفَعُ، بَلِ احْذَرْهُ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَلَكِنْ لَا تَغْتَرَّ.

فَنَبأ الْقَوْمِ عَجِيبٌ، وَحَالُهُمْ أعْجَبُ، وَأمْرُهُمْ أخْفَى إلَّا عَلَى مَنْ لَهُ مُشَارَكَةٌ مَعَ الْقَوْمِ؛ فَإنَّهُ يَطَّلِعُ مِنْ حَالِهِمْ عَلَى مَا يُرِيهِ إيَّاهُ القدرُ الْمُشْتَرَكُ.

وَجُمْلَةُ أمْرِهِمْ أنَّهُمْ قَوْمٌ قَدِ امْتَلَأتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ مِعْرفَةِ اللهِ، وَعُمِرَتْ بِمَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَإجْلَالِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، فَسَرَتِ الْمَحَبَّةُ فِي أجْزَائِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ الْحُبُّ. قَدْ أنْسَاهُمْ حُبُّهُ ذِكْرَ غَيْرِهِ، وَأوْحَشُهُمْ أُنْسُهُمْ بِهِ مِمَّنْ سِوَاهُ. قَدْ فَنَوْا بِحُبِّهِ عَنْ حُبِّ مَنْ سِوَاهُ، وَبِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَاهُ، وَبِخَوْفِهِ، وَرَجَائِهِ، وَالرَّغْبَةِ إلَيْهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإنَابَةِ إلَيْهِ، وَالسُّكُونِ إلَيْهِ، وَالتَّذلُّلِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ عَنْ تَعَلُّقِ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِغَيْرِهِ.

فَإذَا وَضَعَ أحَدُهُمْ جَنْبَهُ عَلَى مَضْجَعِهِ صَعَدَتْ أنْفَاسُهُ إلَى إلَهِهِ وَمَوْلَاهُ، وَاجْتَمَعَ هَمُّهُ عَلَيْهِ، مُتَذَكِّرًا صِفَاتِهِ الْعُلَى وَأسْمَاءَهُ الْحُسْنَى، مُشَاهِدًا لَهُ فِي أسْمَائه وَصِفَاتِهِ، قَدْ تَجَلَّتْ عَلَى قَلْبِهِ أنْوَارُهَا، فَانْصَبَغَ قَلْبُهُ بِمعْرفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَبَاتَ جِسْمُهُ فِي فِرَاشِهِ يَتَجَافَى عَنْ مَضْجَعِهِ، وَقَلْبُهُ قَدْ أوَى إلَى مَوْلَاهُ وَحَبِيبِهِ، فَآوَاهُ إلَيْهِ، وَأسْجَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ خَاضِعًا خَاشِعًا ذَلِيلًا مُنْكِسِرًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ، فَيَا لَهَا سَجْدَةً مَا أشْرَفَهَا مِنْ سَجْدَةٍ، لَا يَرْفَعُ رَأسَهُ مِنْهَا إلَى يَوْمِ اللِّقَاءِ»(١).

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص (٤٤٦-٤٥٠ ط. المجمع) باختصار.

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ الْكِتَابِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْؤُولُ، والْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ، والْمَرْجُوُّ الْإِجَابَةِ، الْمَأْمُولُ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يُعِيذَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. وَأَنْ يَجْعَلَ نُفُوسَنَا مُطْمَئِنَّةً إِلَيْهِ، عَاكِفَةً بِهِمَّتِهَا عَلَيْهِ، رَاهِبَةً مِنْهُ، رَاغِبَةً فِيمَا لَدَيْهِ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. وَ لَا يَجْعَلَنَا مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. وَأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابِ ذُخْرًا لِمُؤَلِّفِهِ وَوَالِدَيْهِ وَزَوْجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَجَمِيعِ أَحْبَابِهِ يَوْمَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ.

إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَأَهْلُ الرَّجَاءِ. وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الْفَهَارِسُ:

فِهْرَسُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ

فِهْرَسُ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ

فِهْرَسُ أقْوَالِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ

فِهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

فِهْرَسُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ

(سورة البقرة)

(سورة آل عمران)

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٤٦	٣١٢
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ ﴾ ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ ﴾	١٧٣-١٧٤ ١٩٠	٥٠ ٢٢٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ﴾	٢٠٠	٣١٢

(سورة النساء)

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾	٦٥ ٦٩	١٣١ ٥٨
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	١٢٣ ١٤٢ ١٦٥	١٥٨ ١١٥ ٣٣١

(سورة المَائدة)

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ ﴾ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾	١٥-١٦ ٢٧-٣٢	١١٧ ٣٠٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ	٤١	٣٠٨
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ﴾	٩١	٩١
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾	١١٦-١١٨	٤٩-٥٠

(سورة الأنعام)

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٤٨	٣٣١
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾	٧٤-٨٣	٤٣ - ٤٤
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾	٨١	٥١-٥٢
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾	٨٢	٥٢
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾	١٢٢ ١٢٥	١٣٢ ١٥

(سورة الأعراف)

﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾	١٢	١٨
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾	٥٩ -٦٤	٣٩-٤٠
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾	١٠٣-١٢٩	٤٨-٤٩
﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾	١٥٢	١٥٢
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦-١٥٧	١٣٣

(سورة الأنفال)

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٤٦	٣١١

(سورة التوبة)

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٥٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾	١١١ ١١٣	٢٣٦ ٣٥٢ هـ

(سورة هود)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	٢٥ – ٤٨ ٥٠ – ٥٨	٤٠ – ٤٢ ٤٢ – ٤٣
﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٦٩ ٨٤ – ٩٤	٢٨٥ ٤٧ – ٤٨

(سورة يوسف)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾	٣٣ ٣٦ – ٤١	٣١٦ ٣٣٦
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾	٩٠	٣١٢
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٣٣١

(سورة الرعد)

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾	١٩	١٧١
﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٤	٣٢٦

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾	٢٨	٩٠، ٩٧

(سورة إبراهيم)

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾	١٧	٢٦٦

(سورة النحل)

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾	٣٦	٢٥، ٣٣١
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾	٩٧	٧٣
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾	١١٠	٧١-٧٢
﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾	١٢٣	٦٦
﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٢٦	٣١٢

(سورة الإسراء)

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾	٩	١١٧
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٨٢	١١٧

(سورة الكهف)

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ ﴾	٦٠	١٧١
﴿ لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾	٦٢	٣٢٣
﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾	٦٦	١٧١

(سورة طه)

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٢٤-٣٥	٤٨
﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾	٢٥-٢٦	١٦
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾	١١٤	١٦٦
﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾	١٢٤	٢٥

(سورة الأنبياء)

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	٣٠
﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾	٤٢	٢٢٠-٢٢١
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ ﴾	٥١-٧٠	٤٥-٤٦

(سورة الحج)

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا ﴾	٣٤-٣٥	٩٢

(سورة المُؤمنون)

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾	٢٣- ٢٩	٤٠
﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ ... ﴾	١١١	٣١٣

(سورة النور)

﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ ﴾	٢٢	٢٨٦
﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾	٥٤	١٣٣

(سورة الفرقان)

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ ﴾	٢٧-٢٩	٣٥٢

(سورة الشعراء)

﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾	٦٢	٤٩
﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٢٨٣

(سورة القصص)

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾	٣٨	١٧
﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾	٣٨-٣٩	١٧
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾	٤٠-٤٢	١٧
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾	٥٦	٣٥٢ هـ
﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	٧٨	١٧
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾	٨٠	٣١٣
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾	٨١	١٧

(سورة العَنْكبوت)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ	١٤	٣٣٥
﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٨	٣٣١
﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾	٤٥	٩٧

(سورة الرُّوم)

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾	٣٢	١٥٧

(سورة لقمان)

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٥٢

(سورة السجدة)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾	٢٤	٣١٢

(سورة الأحزاب)

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾	١٦	٢٣٩-٢٤٠
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	٢٥٠
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	٣٥	٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾	٥٦	٢١٢

(سورة فاطر)

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾	١٠	٣٨
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	١٦٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٢٩-٣٠	١١٧، ٢١١

(سورة يس)

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	٦٣

(سورة الصافات)

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾	١٠١-١١١	٤٦

(سورة ص)

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾	٧٦	١٨

(سورة الزمر)

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٣١٤
﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾	٢٢	١٨، ٩٠
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾	٢٣	٩٠، ٩٢

(سورة فصلت)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٣٣-٣٥	٧٣، ٣٣١
﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ ﴾	٣٤-٣٥	٣١٣، ٣٣١
﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾	٣٥	٣١٣، ٣٣١
﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾	٤١-٤٢	٨٥
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	٤٦	٣١٠

(سورة الشورى)

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	٣٠٠

(سورة الزخرف)

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾	٢٢	٢٦٧-٢٦٨
﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ... ﴾	٢٣	١٥٨
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾	٣٦	٩٠
﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	٦٧	٣٥٢

(سورة الفتح)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ ﴾	٢٩	٢٣٦-٢٣٧

(سورة الحجرات)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	١	١٤٠

(سورة ق)

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾	٣٧	١٢٠

(سورة الذاريات)

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾	١٧-١٨	٢٢٣
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾	٢٦	٢٨٥

سورة الطور

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	٣٥-٣٧	١١٨

(سورة الرحمن)

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾	٢٩	٦١

(سورة الحديد)

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ ﴾	١٣	٩٨
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾	١٦	٩٠

(سورة المُجادلة)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾	١١	١٦٧
﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾	١٩	٩١

(سورة الحشر)

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ﴾	٦	١٤٦
﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾	٩	٢٧٩

(سورة المُمتحنة)

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٤-٦	٤٣

(سورة الصف)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ﴾	١٠-١١	٢٣٦

(سورة المُنافقون)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾	٩	٩١

(سورة التغابن)

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾	١٦	٢٨٠

(سورة المُعارج)

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	١٩-٢١	٢١١
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾	٢٢-٢٣	٢١١
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ﴾	٣٤-٣٥	٢١١

(سورة نوح)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	٥-١٣	٣٣٥

(سورة الجن)

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ﴾	١٧	٩٠

(سورة المُدثر)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾	١-٤	٣٠٧

(سورة القيامة)

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾	١٤-١٥	١٣٢

(سورة الإنسان)

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾	١١	٣٣٤

(سورة النازعات)

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	٢٤	١٧

(سورة التكوير)

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	٢٨-٢٩	٧٠

(سورة الانفطار)

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾	١٣-١٤	٣٥٠

(سورة المُطففين)

﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	٣٣٤

(سورة الفجر)

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ ﴾	٢٧-٣٠	٧١

(سورة الشرح)

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾	١-٤	١٥

(سورة الْمَسد)

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ ﴾	١-٢	٣٣٨

فِهْرَسُ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ

فِهْرَسُ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ

كَانَ يُسَبِّحُ فِي اليَوْمِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ تَسبِيْحَةٍ	خَالِدُ بنُ مَعْدَانَ	١٠٢
كَانَ إِذَا قَعَدَ، لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُم يَذْكُرُ الدُّنْيَا	خَالِدُ بنُ مَعْدَانَ	١٠٢
يُسَبِّحُ مئَةَ أَلفٍ، إِلَّا أَنْ تُخطِئَ الْأَصَابِعُ	عُمَيْرُ بنُ هَانِئٍ العَبْسِيُّ	١٠٢
تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ	الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ	١٠٥
انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ	١٢٣
مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ	أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ	١٢٣
أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ	أُمُّ أَيْمَنَ	١٢٣
خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّابِعُونَ	الْأَوْزَاعِيُّ	١٢٤
أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ	عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْنٍ	١٢٤
إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيضَعُ بِهِ آخَرِينَ	الْأَعْمَشُ	١٢٤
دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ	إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصَ	١٢٥
بِذَنْبٍ مِنِّي وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ	١٢٥
يَا عِبَادَ اللهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ	الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ	١٣٥
وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ	١٤٣
لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ	أَبُو بَكْرٍ	١٤٣
قَدْ عَلِمْتُ نُصْحَكُمْ وَلَكِنِّي تَرَكْتُ صَاحِبَيَّ عَلَى جَادَّةٍ	عُمَرُ	١٤٤
إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ (الْمَعْرِفَةُ بِحَدِيثِ الْفِتَنِ)	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	١٤٥
الْبَابُ (الْمُغْلَقُ ضِدَّ الْفِتَنِ) عُمَرُ	حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ	١٤٥

مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ	ابْنُ مَسْعُودٍ	١٧٣
يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٧٣
إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرَضِيهِمْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٧٣
لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ:	ابْنُ عَبَّاسٍ	١٧٤
بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ	جَابِرٌ	١٧٥
إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ	١٧٦
كُنْتُ عَبْدًا بِمِصْرَ لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي هُذَيْلٍ فَأَعْتَقَتْنِي	مَكْحُولٌ	١٧٦
مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي	رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ	٢٠٢
مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ	بِلَالٌ	٢٠٢
كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، كَأَنَّهُ عُودٌ	مُجَاهِد بْنُ جَبْرٍ	٢٠٢
كُنْتُ أَمُرُّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ خَلْفَ المَقَامِ يُصَلِّي، كَأَنَّهُ	ثَابِتٌ	٢٠٣
كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي فِي الحِجْرِ، وَالمِنْجَنِيْقُ يَصُبُّ	عَمْرُو بْنُ دِينَار	٢٠٣
كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُنَازَعُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَجَاعَةٍ	عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ	٢٠٣
مَا فَاتَتْنِي الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ	٢٠٣
مَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلَاثِيْنَ سَنَةً، إِلَّا وَأَنَا فِي	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ	٢٠٣
مَا فَاتَتْنِي التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ	٢٠٣
أَنَا أَوْلَى بِالسَّوْطِ مِنَ البَهَائِمِ	أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ	٢٠٤
لَوْ رَأَيْتُ الجَنَّةَ عِيَانًا، أَوِ النَّارَ عِيَانًا	أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ	٢٠٤

إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً	خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ	٢٤٠
يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	٢٤٥
افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةٍ	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	٢٤٦
إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ (يَوْمَ اليَرْمُوكِ)	الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ	٢٤٨
أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ (سَيْف رَسُولِ اللهِ ﷺ)	أَبُو دُجَانَةَ	٢٤٨
وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ	سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ	٢٤٩
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ	أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ	٢٥٠
يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ	أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ	٢٥٠
لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ	خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ	٢٥١
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ ﷺ	خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ	٢٥٢
وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَهُوَ قَتِيلٌ	ابْنُ عُمَرَ	٢٥٢
إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	٢٨٢
لَا أَسْبِقُهُ (أَبَا بَكْرٍ) إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	٢٨٦
وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ	٢٨٦
بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ	٢٨٦
فَأَيْنَ اللهُ!! ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ اشْتَرَاهُ بَعْدُ، فَأَعْتَقَهُ	ابْنُ عُمَرَ	٢٨٧
اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ	ابْنُ عُمَرَ	٢٨٨
هُوَ (نَافِعٌ) حُرٌّ لوجهِ اللهِ	ابْنُ عُمَرَ	٢٨٨

فِهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ